

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن بعد المائة

٢٦ ربيع أول سنة ١٣٦٥

١ مارس سنة ١٩٤٦

التعليم ومراميه

كيف تفك الاغلال وتطلق في رحاب الحرية

نشرت في مقتطف يناير الماضي بحثاً في الثقافة التقليدية وعلاقتها بالترية القومية عنوانه « فك الاغلال » دار البحث فيه حول أمرين جوهرين. أولهما: الغرض من التعليم : وانتهت فيه الى أن الغرض من التعليم هو إخراج رجال مستقلين ونساء مستقلات في الحياة . وثانيهما : الطريق الذي يوصلنا الى هذه الغاية العليا ، وانتهت فيه الى أن اتصالنا بالثقافة التقليدية هو ذلك الطريق . قلت :

« عهد الأوربيون منذ عهد النهضة الأدبية الحديثة الى الاتصال بثقافتين أوروبيتين كانتا العهد الأول والسادس العظمى في تلك النهضة . عمدوا الى ثقافة اليونان وثقافة الرومان حتى لقد قالوا في ذلك بأخذ اللغة اللاتينية لغة رسمية في العلم وفي الأدب وفي الفن . فأحيوا بذلك ثقافتين لم يكن لها مناص من أحباطهما لتكرنا الوسلة بينهم وبين ماضئ صبغ ثقافة حوض البحر المتوسط قرونًا بصبغة خاصة ولون خاص . ولا تزال جامعات أوروبا حتى اليوم تعنى العناية كلها بتلقيح عقول الناشئين بتراث الثقافتين معاً . بل وتجعل درس اللغتين اليونانية واللاتينية أملاً من أصول التدبير العالمي فلم كاذ ذلك في ولاي من الأسباب

الجمهورية التي نمر بها الأوروبيون في بدء نهضتهم ترجع هذه الظاهرة ؟ أما ترجع كما قلنا إلى أن الثقافة التقليدية هي الأصل الذي يجب أن يظل ثابتاً في بناء الأمم الأدبي والاجتماعي ليكون ملقحاً للأراء والنظريات وضروب الثقافات الدخيلة احتفاظاً بالطابع الأصلي في الأمة ، ذلك الطابع الذي هو جزء من كيانها وقطعة من وجودها ، وليكون في الوقت ذاته العدة في تمثيل ما يتصل بثقافة الأمة من الثقافات المنتحلة غير الأصلية ، وتكييفها تكييفاً يتفق ووظائفها ومشاعرها وأخيلتها . وعلى الجملة يتفق وثقافتها التقليدية . فهل اتبعنا في نهضتنا هذه السبيل القويم ؟ وهل كفّل لنا التعليم الوصول إلى هذه الغايات العليا ؟

انتهيت من ذلك إلى القول بأن التعليم لم يكفل لنا شيئاً من هذا — « وأقصد به التعليم بناحيته : الناحية التي تمثل وراثتنا عن العرب لغةً وديناً ، وأعني بها الأزهر ، فإنه لم يلقح بشيء من الأحاديث الحديثة التي يجب أن يلقح بها لتكون له عناية الدم الجديد يجري في العروق القديمة ، وكذلك لم نمن الناحية التي تمثل ثقافتنا الدخيلة : أي الثقافة الأوروبية . وأعني بها ناحية التعليم الزماني ، بأن تكون فينا تلك القطرة التي تصلنا بثقافتنا التقليدية ، لتكون مبعلاً حديثاً يتصل فيه ما يصلنا من أوروبا ويخرج منه مصبوغاً بصبغة مصرية أصيلة . ومثل الأزهر في ذلك كمثل كائن حي هضم ولم يأكل ، ومثل التعليم الزماني كمثل كائن حي أكل ولم يهضم : فتاحية جائعة ، وناحية متخومة » .

وظاهر من هذا الاتجاه أن وجهتي في القول بالثقافة التقليدية ووجوب اتخاذها أساساً لفلسفة التعليم في مصر ، لسمو على البحث في التفاصيل ، وتسمر على البحوث التي يجري عليها الرأي في إصلاح التعليم في وزارة المعارف أو غيرها من الجهات التي تعنى بالكلام والبحث في التعليم .

الناحية التي تكلمت فيها في « فك الأغلال » هي الناحية الثقافية من التعليم ، الناحية التي تنظر إلى الفرض الأعلى من التعليم ، وكيف ينبغي أن يكون أسلوب التعليم ليشتمل بمناقضات الدنوية والفكرية . لايرحمي بعد الاستد بالأمور التي تقوم عليها هذه الفكرة ، أن

يكون التعليم في رحلة منه مقمماً درجة أو درجتين أو عشرين درجة . وإنما الذي ينبغي أن نسري روح هذه الفكرة التلفية في مدارج التعليم جميعاً .

الفكرة التي بنشأ في فك الأغلل لا تعني بالتعليم العام وكيف يجب أن يكون من الناحية العملية . ولا تصل بفكرة تعليم الشعب جميعه أو الانتصار على نسبة معينة منه . إنما هي تعني بما يجب أن يكون عليه نرج التعليم موجهاً وجهة تقليدية صرفة ، تعلمنا بأيد الماضي كما تعلمنا ببرهه الحاضر . هي تعني بالفلسفة العليا التي تتجه بالفكر الى غاية سامية هي اخراج ذوات قاتلة حرة مستقلة تعرف أن ماضيها أساس مستقبلها ، وتخلق فيهم القدرة على تمثيل ما تتلقى من مختلف الثقافات .

من الأشياء التي تقع في نفسي موقع الفكاهة ، بل أنه مما يجب أن يقتدر به ، قول البعض أن فلاناً ثقافته سكونية وفلاناً ثقافته لاتينية ، وغيرهما ثقافته المانية أو روسية . شيء يثير الضحك ويثير البكاء معاً ، وأين الانسان الذي ثقافته مصرية ؟ فاق عنه إذن

بمصالح ديوجينيس ا

معنى هذا أن فلاناً سكوني الثقافة أنه انجليزي في إهاب مصري اومضى أن فلاناً فرسي الثقافة انه لاتيني في جلد مصري ! وأين فلان المصري ؟ لقد ذهب ولا شك مع الريح . ربح الاستعمار الذي وضع لنا أسس التعليم ولا يزال نجري على روحها ، نظمها من ناحية ، ونحوها فيها من ناحية أخرى ، من غير أن نعمل ساعة واحدة على ازهاق تلك الروح الخبيثة ، التي سائقنا أمامها حتى بلغ بنا الجهد هذا المبلغ الذي يشمرنا بأننا على أبواب مشكلة ، هي ولا شك مشكلة المستقبل القريب .

كيف السبيل الى خلق المصري الذي يشمر بأن له ذلك الماضي المتصل بمصر الفرعونية ، ومصر العربية ، القادر على أن يخلق بما يخلق عن ماضيه وتقاليدته تصوراً جديداً يجعله من أبناء القرن العشرين ؟ ذلك هو الغرض الذي رميت اليه في بحثي الذي أشرت اليه .
الطبقة غير المتعلمة وبخاصة طبقة الفلاح ، هي الطبقة المتمثلة بثقافة مصر التقليدية . ثقافة تلقاها الفلاح بالتوارث . ولكنها على ثقافتها ثقافة أخرجت لنا الرجال بالذكايز . أخرجت

الزلاخ الذي هو قنار مصر. أخرجته رجلاً مستقلاً منتجماً أضواء ما يستهلك. فهو قوة عامة مستقلة حررة منتجة .

والطبقة المتعددة ماذا أخرجت لنا بتعليمها ؟ أخرجت لنا موظف الحكومة المتراكل على مرتبه ، وأخرجت لنا التعمل ، وأخرجت لنا رجل المعنى ، وأخرجت لنا الأناك والمستهر . ولكن ما السبب في هذا ؟

« السبب في كل هذا أننا بعدنا عن ثقافتنا التقليدية ، بل أننا قطعنا صلتنا بالماضي ، وهنا في فترات لا نعرف فيها طريقاً يسلك ، لا الى الامام لتصير أوروبيين صرفاً ، ولا الى الوراء لتعود الى مصرتنا مرة أخرى . وإذن فنحن في التيه . ولكنه التيه الذي سوف لا نخرج من ظلماته ما دمنا غير قادرين على تقييم حقائق وجودنا تقييماً صحيحاً . وما دمنا طاهرين عن إدراك تلك الحقيقة الاولية . حقيقة أن ثقافتنا التقليدية هي الماعب الأخير الذي يوقظ فينا « الروح المصرية » التي من طريقها نكوّن الأدب المصري الذي ينبغي أن يكون من حياتنا الأدبية بمثابة الجهاز الهضمي من الحيوان . فيه تهضم الآداب الأخرى ثم عمل أدباً جديداً ملائماً لأدبنا ومشاعرنا وأخيلتنا . وفي الوقت نفسه تعرد التغيّات. تلك التغيّات التي تسم أدبنا وتفسده . لأن أدبنا الجديد أضعف من أن يبرزها الى خارج جسمه المهدم الثقيل » (١)

إذا أردنا أن نحيا المصرية الصحيحة ، فلا بدّ لنا أولاً من الاتصال بثقافتنا التقليدية ، ثقافة مصر ، وثقافة العرب ، فنهما ميراثنا . وكل تعليم لا يقوم على هذا الأساس بعيد أن يخرج لنا الرجل المستقل الحر المتج .

إذا أردنا أن يكون لتعليم غاية ، فلنعمل على اخراج الرجل المستقل والمرأة المستقلة . ولكن أين هما الآن ؟ فتنس عنهما بمصباح ديوجينيس .

اسماعيل مظهر

خطاب المدح

في القرآن الكريم

- ١ -

في القرآن الكريم من اتقى الروحية والآداب ، والحكم والأمانات والقواعد والأحكام ،
والمواعظ والأخبار . ما جعله قبلة أنظار العلماء قاطبة .
فأعقبه ، والنعوي ، والبلاغي ، والتصانيف الأخلاقي ، والمصلح الاجتماعي ، الكل
يحد فيه بعينه ، حتى العالم الذي يعنى بالحقائق الموضوعية البحتة يحد فيه ما يدفعه إلى البحث
ويشجعه عليه .

لذلك ترى العلماء قد عنوا به أهد عناية ، وخدموه أجل خدمة بحثوا فيها حواه من
كل نواحيه . بحثوا في أسباب نزول الآيات ، وفي مكان نزولها ، وفيما نزل منها في السفر
أو الحضر ، وفي الليل أو النهار ، وفي الصيف أو الشتاء . بحثوا في كل هذا ، وبحثوا فيه
من ناحية لفظه عن الغريب ، والمعرب ، والمشارك ، والمرادف ، والمجاز ، والاستعارة ،
والتشبيه . كما بحثوا فيه من ناحية معناه عن المطلق والمقيد ، والناسخ والمنسوخ ، والعام
والمخصوص ، والعام الذي أريد به الخصوص ، وسرد هذا أمر يطول ويخرجنا عن الغرض
الذي نهدف إليه .

وتراهم قد بحثوا فيه من ناحية الأداء عن كيفية الرفع والابتداء والامالة والتخفيف .
وبحثوا في وجوه خطابه عن خطاب الجنس ، والشروع ، واليمين ، وخطاب المدح وهو ما نحن
نصدد الكلام فيه . ووجوه الخطاب في القرآن الكريم حصرها ابن الجوزي في خمسة عشر

نوعاً وقال غيره هي أكثر من ثلاثين . وعلى كل فنها خطاب المدح وهو كل آية وردت مصدره بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا »

ولقد عنيت بهذا الخطاب في جميع سور القرآن الكريم على أثر كل قرأتها لابن مسعود رواها أبو نعيم في « الحلية » والسيوطي في « الاتقان » بسنتين مختلفين وها هي ذي :
 إذا سمعت الله يقول : « يا أيها الذين آمنوا فأوعها فصمك فانه خير يؤمر به ، أو شر ينهى عنه . وابن مسعود هذا وزير من وزراء النبي صلوات الله عليه ، وعلم من أعلام السابقين المهاجرين المعروفين بالنسك من المعمرين وكان فقيهاً يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وكان يقول اني لا كره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة . وإذا كان القرآن مأدبة الله كما كان يقول فاني أقدم لقراءه المقتطف أولاً من هذا الخطاب خطاب المدح غذاء للعقل والقلب .

إن هذا الخطاب في القرآن الكريم خير يؤمر به ، أو شر ينهى عنه ، وهذه المجموعة الجيدة من الأوامر والنواهي خلقية بأن ترفع بني آدم — إذا آمنوا بها حتى الإيمان — من حضيض البهيمية المظلمة إلى سماء الروحية الميرة .

وهذه التوجيهات العظيمة التي ترسم القيم الروحية ، وتضرب الأمثال العليا . وتخط الآداب السامية ، خوطب بها الذين يؤمنون لأن قوة الشعور في بني الانسان إنما تنبى على التقاليد ، وهذه التقاليد لا تتم إلا بأمثلة تضرب من جانب المؤمنين ليقندي بهم طامة الناس لذلك كان على العلماء والتقاداة : والمصلحين وأرباب الرأي أن يكونوا أولاً وقبل كل شيء مثلاً علياً وإلاً فأثرهم ضعيف ضئيل ، إن أمكن أن يكون لهم أثر .

إن الشرق كان يحمل نواه النهضة يوم كان فيه مثل عليا في العلم والأخلاق والأحسان وتقديس الحق ، فأحرارنا أن نعيد للشرق مجده بضرب الأمثال .

إن سعيد بن المسيب دعى للبيعة الوليد والسليمان بعد عبد الملك بن مروان فقال :
 لأبأس أذن ما احتلف الجبل والنهار فقبل له ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر . قال :
 والله لا يقندي في أحد من الناس مائة صراط فلم يدركه هذا المثلد عن رأيه .

فاذا أردنا أن نتبرأ مكاننا بين الأمم فبالعلم والعمل، فويل لمن لا يعلم، وويل لمن يعلم ولا يعمل. وفي خطاب المدح في القرآن الكريم مادة غريبة إن أراد أن يروض نفسه على ذلك.

وأول خطاب تقرأه في القرآن الكريم أني يعالج ناحية هي في واقع الأمر الأساس الأول في الاجتماع. تلك هي ناحية تخير الألفاظ في الحديث. فلقد نهي عن استعمال الألفاظ الجافة التي تحمل معنى نازلاً ومدلولاً لا يناسب حال المخاطب.

« يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم »

وكلمة راعنا هذه التي كرهها الله في هذا الخطاب مأخوذة من الرعى والرعى حفظ الغير لمصلحة شخصية لا حفظه للعالم انعام. وذلك محل تعظيمه صلوات الله عليه. وفيه نفاضة وتجهم. وكلمة انظرنا التي أمرنا أن يقيموها مقام الكلمة الأولى خالياً مدلولها من التدليس التي تحمل الكلمة المنهي عنها إذ معناها ارقبنا نعيم وتبين ما تقول والنظر إلى الانسان وقت الخطاب أقوى في الافهام والتعليم. وروي في سبب نزول هذا الخطاب أن اليهود كانوا يقولون ذلك للنبي بنية خيئة، فقدم المسلمون في ذلك فترك هذه الآية بالنهاي عن الكلمة التي تحمل معنى التدليس الى كلمة خالية منه. وهذا تعليم فيه ممو ورفعة يقوي الروابط الاجتماعية بين أفراد الجمعية الانسانية. أما الكلام الفارع من المعنى السامي فيوقعنا في العراك والخضاء. فكلم من أسرة قائمة انهارت بسبب كلمة نابية. وكلم من تخاصم سيئته كلمة لم يفكر في اختيارها قبل أن تطلق من عقابها. وعبد الله بن مسعود هذا الذي تقدم الكلام عليه كان يقول: « والله الذي لا إله إلا هو ما على ظهر الارض شيء أخرج الى طول سخن من لسانه، وجاءه رجل فقال له أوصني يا أبا عبد الرحمن. فقال له: ليسمك بيتك وأكف لسانك، وابك على ذكر خطيئتك. وهذا قليل من كثير ورد في هذا المعنى. ولست في حاجة الى التنبيه على أن المراد سخن اللسان وكفه، إنما يتعلق بالسكوت المتفارقة التي لا تصبر ولا تنفع.

وهذه الناحية ناحية تغيير ألفاظ الحديث عنى بها خطاب المدح في موضع آخر . فقال تعالى في سورة الحجرات « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ ولا تذبذبوا أنفسكم ولا تنازروا بالألقاب بشئٍ الا مسمًى الفسوق بعد الإيمان ومن لم يأت بأولئك هم الظالمون »

روى في أسباب نزول هذا الخطاب أن خطيب الأنصار وخطيب النبي صلوات الله عليه ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنيه وقرء وكان إذا أتى رسول الله أو سمعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول فيأخذ يوماً وقد أخذ الناس بما إليهم جعل يتخلى رقاب الناس ويقول : تفسحوا تفسحوا . فقال له رجل : أصبت مجلساً فجلس . فجلس ثابت مضطرباً . ثم قال لارجل : يا فلان ابن فلانة يريد أمسا كان يعير بها في الجاهلية . فسكت الرجل استجابة . هذه حادثة . وروى عن ابن عباس حادثة أخرى . وهي أن صغية بنت حبي زوج النبي أتته يوماً فقالت له : إن النساء يعيرنني ويقطن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها : هلا قلت : إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد . فنزل هذا الخطاب الكريم بعد هذه الحادثة مع النساء ، وتلك مع الرجال .

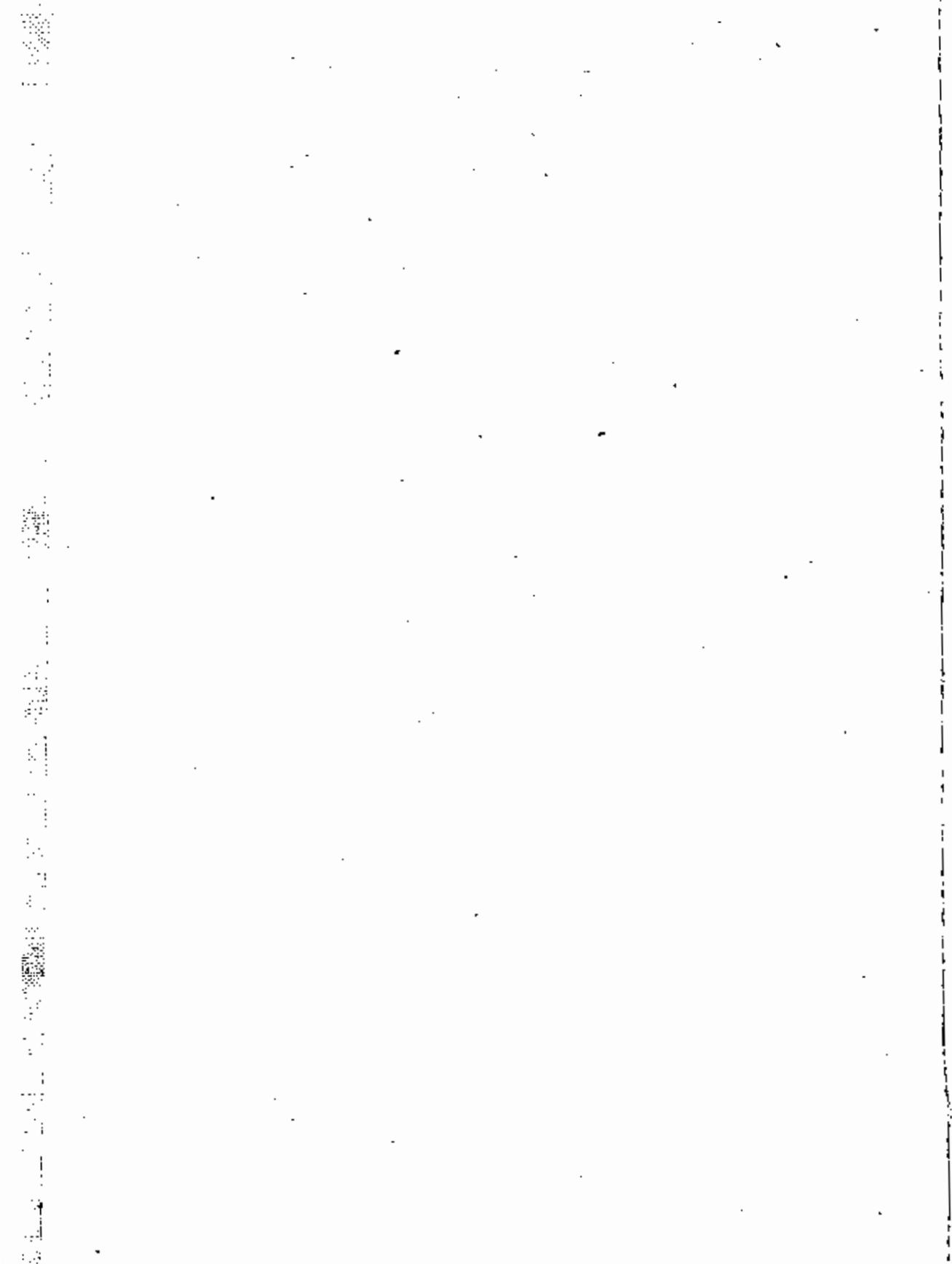
نهى هذا الخطاب عن السخرية فلا يحل لشخص أن يسخر من آخر لقرءه . أو لثوب ارتكبه أو لغير ذلك . ونهى عن اللز ، وهو السب خلف اللسان . وعن التناز بالألقاب وهو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة .

هذا مثل من الأدب الرفيع الذي جاء به خطاب المدح والذي سار على سنته بعض الناس فسادوا ، فصدت بشره رجا أن نسجي من أقتناء وتأنف مما يتألف هذه الآداب . وليس يحتاج الأمر أكثر من تمرين النفس عليها وتدريبها اليها بعزيمة من عزمات أولي العقول ، وما أشد حاجتنا إلى ذلك ، فانك إذ سمعت إلى الناس في الظروف والبيوت والأندية لا تكاد تصدق أن هؤلاء يقرأ بينهم كتاب الله سبحانه أو لا تكاد تصدق أن هؤلاء قد فضلوا بنعمة العقل .

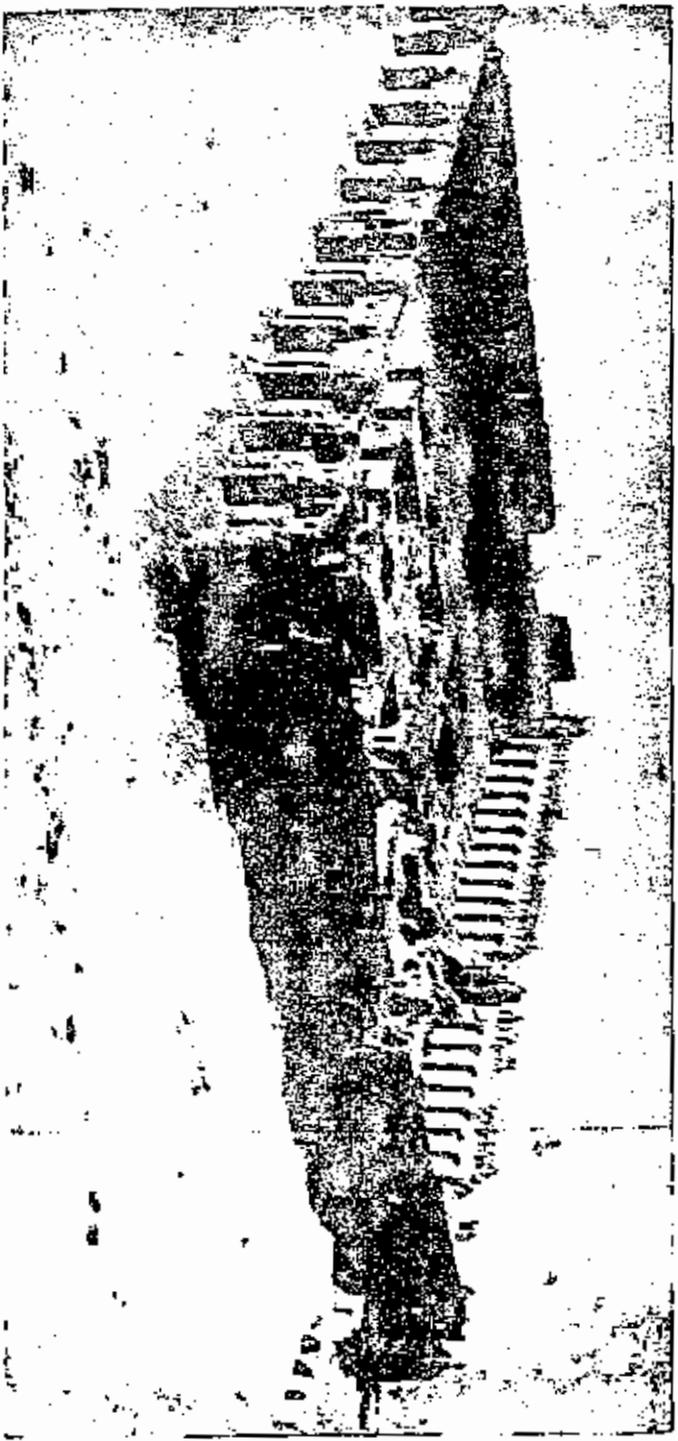
شهر رجب

الدرس بحجة أسرار القرآن

د. يحيى



منظر عام من حطين الأحيى بالبراق - د حمن عين النسر المتبق ٢٠١٠م - ٢٠٨١م



حصن الاخضر بالعراق

وحصن عين التمر

من فتوح خالد بن الوليد

إن حصن الاخضر هو حصن جَبَّار الآثار ولبئته فخامة وعظمة ما زالتنا تستدبران
هم الآثارين^(١) والمؤرخين في بلاد الشرق والغرب . فقد عني بوسمه كثير من أولئك
وقليل من السياح ، وألّفت فيه كتب وحُبرت مقالات بمختلف اللغات ، ولم يعرف أحد
إلى يومنا حقيقة تاريخه غيرنا ، فقد لبثنا سنين تتحرّى حقيقته وتوخى تاريخه حتى وقفنا
عليها وقرعنا مؤيلاً باليقين .

إنّ الاخضر من العبارات التي كان يجمع بين منفعتين : السكنى والتحصن للدفاع ، فهو
في لطف^(٢) بإدبة العراق الغربية غربي نهر الفرات ، على مسافة خمسة وخمسين كيلومتراً من
غربي مدينة « كربلاء » الجنوبي . وفي كربلاء — كما هو معلوم — مشهد الحسين بن علي
— رض — وعلى مقربة حصن الاخضر وأدّ تتجسّر فيه مياه المطر يعرف بالشعيب تارةً
وبالابيض « نصير ابيض » تارةً أخرى ، وفي عقبة أحداثا وهي جمع حادي وهو
موضع رمل تحته صلابة فإذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فنته الصلابة أن يفيض
ومتع الرمل السماء أن تنشقّه فإذا بُعث ذلك الرمل أميد الماء^(٣) - والوادي الابيض
متد نحو الغرب مسافات بعيدة . متصل بوادي حوران ، وفي حفافيه تنبت أروع معشوشبة

(١) نسبة الى الآثار النخبة ، أما « الآريون » هم الذين يستقلون بالآثار النبوي الشريف أي الحديث
والرب تنب ذوي الحرف والفتون والذئاب الى الخلع كالأصولي والامشاطي والشويزي والنفوي
(٢) تلف انهر والارض شامته وما ارتفع . قال اليعاقري في أساس البلاغة « قتل الحادي - رض -
بطقت الفرات وهو شامته وما ارتفع من جانيه » (٣) رابع كتاب الكامل للبيهقي ج ١ ص ٢٩٠ من
مبنة المطبوع

تنتجها عدة قبائل أشهرها من كل سنة ، والظاهر لنا أن اسم « الأخضر » منتزع من الخضرة التي تكون في تلك المرابي .

وإن موضع حصن الأخضر ميناء لطرق القوافل والطرق الحربية في قديم الزمان . ولا تزال آثار الأعلام والصوى والمناظر شاخصة في بعض تلك الطرق ، والحصن نفسه اليوم في صحراء بعيدة عن القُرات ، وقد ازداد بعده سنة بعد تحول مجرى القرات نحو الشرق . ومن المعلوم أن الحسين بن علي قتل في طفلة القرات أي شاطئه وقبره اليوم لا تقل المسافة بينه وبين القرات عن خمسة عشر كيلومتراً ، فكروناُ حصن الأخضر هناك وإطلاله على البادية وحصاته ومناعته تذكرنا الحروب النازسية الرومية والحروب الفارسية العربية ، والجوامع والمسالح والحصون التي كان الفرس يتخذونها للدفع عن امبراطوريتهم من الشرق وتُعيدُ إلى أذهاننا أخبار البيهمن التي كانت تُشحنُ بها الحصون للامتناع والتحصن ومنع العدو من الايقال في البلاد لأنه يعني أن يدهم المتحصنون من ورائه ، وفي ذلك ما فيه من الهلاك .

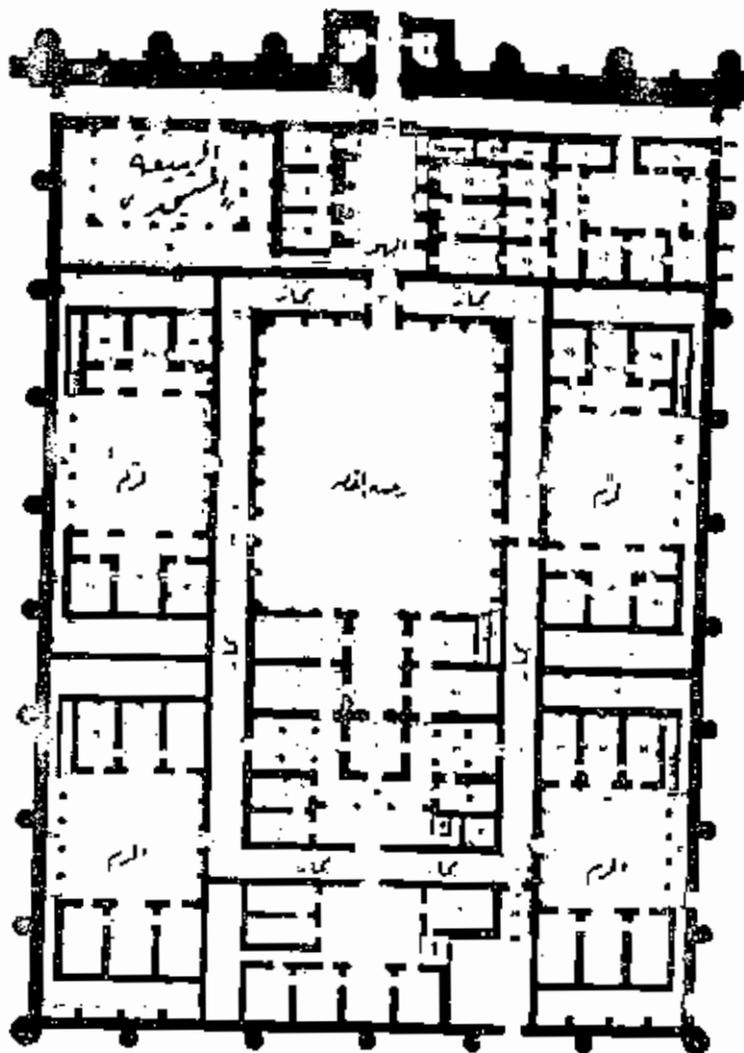
صفة حصن الأخضر

فلنا إن الأخضر من العبارات التي كانت تجمع بين منعمتين السكنى والتحصن والدفاع . وهو مربع الشكل طول ضلعه نحو من ١٦٩ متراً ومسور بسور سمكه (١) ٢١ متراً ونخاته أربعة أمتار ونصف متر في قاعدته ، وعلى ثمانين متراً من الحصن آثار سور ثان خارج ذي ثلاث أضلاع ، ودخل السور الأدنى قصر عظيم شديد متطيل شكله طوله ١١٢ متراً وعرضه نحو من ٨٠ متراً وهو متصل بالسور المذكور في وسط الجهة الشمالية ، وبينهما في سائر الجهات الثلاث أفنية ، الفناء الشرقي والفناء الغربي عرضهما ثلاثون متراً والفناء الجنوبي عرضه نحو من خمسين متراً . والقصر كله مبني على طبقتين أصليتين وكان على الطبقة الثانية بعض الطليات (٢) التي كانت تتخذ مناظر ومراقب ، وأصلها كثيرة بحكمة التنبؤ

(١) انسك هو الارتفاع ، وقد أدى مسيح اللغة العربية إلى استعماله بمعنى « التخزين والتخانة »

(٢) التلات والتلال جمع « التلة » وهي الترفعة أي بيت لمر العليقة الثانية في فرقها

غالب عليها التناظر إلا الذي أصابته الرمسة وغيرت من شكله حاثة الناس بمقتضى زمانهم ودولهم ، وأرى أن النظر الى « تخطيط » ذلك الحصن الهائل وقصره أدل من غيره على تبيين



تخطيط حصن الاخضر بالبراق

أقسامه وتصوير خامته وتقدير ضخامة عمارته « راجع تخطيط الحصن » .
إن صور حصن الاخضر الأثري ذو ساحة من البروج متصلة من كل جهاته ، وفي كل

ركن من أركان السور برج عظيم فطره منحرف من حمة أمتار ، وفي وسط كل ضلع من أضلاع السور برج كبير ذو باب داخل ، وبين برج كل ركن و برج وسط الضلع حمة أبراج يزيد نصف قطر كل منها على ثلاثة أمتار ، فعددة البروج التي في سور الحصن من كل الجهات ٤٨ برجاً . ثم إن القصر نفسه قد بني في جداره الخارج بروج صغيرة ، وبها يكون له ثلاثة خطوط للدفاع — كما يقال اليوم — . وبما زاد السور مناعة أنه بعد عشرة أمتار من سمكه فوق الأرض منقسم إلى جدارين : داخل وخارج بينهما ممر تمتد كما يمتد السور و متصل بفرقة مدوّرة داخل كل برج من البروج ، وفي جدران تلك الغرف والممر كوى حربية ضيقة تتخذ لرمي السهام وغيرها من رميات الحروب الدفاعية ، وكان هذا الممر مؤزجاً أي مبنياً أعلاه بقود متصلة ، وكذلك سائر الغرف والمحجرات الكثيرة والأبهاء ، فلم يستعمل في سقفها الخشب لأنه يمكن الاحراق ومعرض للبل والنخر وغير ذلك من آفات العماره .

وحصن الأخيضر وسوره جميعاً مبنيان بالحجارة غير المنتهمة والحصن إلا عقد الجهر الكبير وهو الايوان وعدة عقود أخرى فأنها مبنية بالآجر المعروف في العراق بالطابوق^(١) وفي مصر بالطوب ، وكانت الجدران مبيحة بالبورق في أكثر أجزائها ولا تزال آثار هذا السلاء باقية على أكثر أقسام الحصن ، وكان على أشكال هندسية زخرفية في بعض المواضع كما رؤي في أروقة قسم من أقسام القصر الشمالية الغربية ، اتخذ مسجداً في العصر الاسلامي بعد أن كان غير ذلك ، على ما نحن ذاكروه في مقالنا هذا ، وفي حناظر^(٢) حجريين من الحجر الكثير . والوصف الموجز لذلك الحصن العظيم يُثبت على إيجازه أنه كان غاية في الحصانة والمناعة .

وما ظنك بسور نحن قاعدته أربعة أمتار ونصف متر ، وسمكه واحد وعشرون متراً ، ومحص مساحته ثمانية وعشرون ألف متر مربع وتسعمائة متر مربع ؟ إذن كان يمكن الدولة

١١ قال الجوهري في الصحاح « الطابوق الآجر الكبير فارسي معرب » وفي الفانوس أنه معرب

١٢ « كالمطابق »

(٢) الحناظر جمع الحنطرة ، قال الجوهري « الحنطرة : عند الطابوق المبيح ... »



منظر الركن الشمالي الشرقي من حرم الأحيضر لسوره الأعلى من خارج



التي هو لها أن تجمع فيه أوفاً كثيرة من الجنود والرعية أيام الحصار الذي يباشره العدو . وهذا أحد الأدلة على أنه كان حصناً لدولة عظيمة لأنّ مئات ألوف الدنانير لا يُنقَم لها وزن في بناء مثل هذا الحصن ، فبناؤه خارج عن طاقة الرعايا والأغنياء والأثرياء . بل أنه مبني في ميناء طرق تجارية وبحرية في صحراء غير مضمونة الماء ولا الاتصال بالمدن والمزارع .

تاريخ حصن الاخضر

ليس من شك في أنّ الآثار العتيقة كحصن الاخضر تعسّف على الباحث والآثاري معرفة تاريخها بلحواها من كتابة منقوشة أو آثار مكتوبة تعين على فهم التاريخ ، ثمّ إنّ كون الحصن المذكور على طرق صحراوية دراسة للاهمل الناس إيقاها ، زاد تاريخه استبهاماً واستمعجماً ، ولكنّ عظمته ونفامته وسعت حيز الآثاريين إليه فانه إحدى العاديات العجيبة في الآثار العتيقة ، وقد اختلفت الافوال في تاريخه كما اختلفت في تقوّم والعمارات القائمة في مشارف الشام العتيقة العريقة في القدم ، ولم يكن الاختلاف مقصوداً على المؤرخين بل جاوزهم الى الآثاريين الذين يستدلون بطرز البناء وفنون الزخرفة والرياسة قبل استدلالهم بالكتابة والرقم ، فلم ينفصل بعضهم عن بعض في النزاع ، ونحن نرى أنّ سبب ذلك هو أنّ الفنون الانسانية متصلة الحلقات بحيث يصعب على المتحرّي تمييز بعضها عن بعض بأوصاف مستقلة وتاريخ مضبوط ، وآخر رسالة مستقلة رأيناها مؤلفة في البحث عن تاريخ الاخضر هي رسالة « مديرية الآثار القديمة » في العراق ^(١) ، على عهد مديرها الأستاذ الشهير صالح الحصري ، فقد جاء في الصفحة ٣٣ منها قول كاتبها « من الغريب أنّ تاريخ هذا القصر والحصن غير معلوم بالضبط ^(٢) ، بالرغم من ضخامة بنائه ودقة تخطيطه وأهمية موقعه ، لانه لا توجد في القصر أو الحصن كتابة تدل على شيء من تاريخه كما لا يوجد في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة إشارات صريحة تدل عليه ، فإنّ أقدم الاشارات التي تدل على الاخضر

(١) راجع الاخضر طبع مطبعة الحكومة العراقية فيها ١٣ شكلاً و ١٦ لوحاً ، سنة ١٩٣٧

(٢) بل موغيب معلوم أصلاً و فرغاً و ضيقاً و غير مضبوط و سيأتي عليه

بصورة أكيدة ترجع إلى القرن السابع عشر حيث شاهده بعض الرُواد من الأوربيين ،
ولهذا نستطيع أن نقول إن كل ما يعرف عن تاريخ الاخضر لا يتعدى في الحالة الحاضرة
حدود التخمينات والترصيات .

وذكر في الحاشية السياحين الذين رأوا حصن الاخضر على حسب التاريخ فأولهم
« بيترودي لاثاله Pietro della Valle في أوائل القرن السابع عشر ، ونيسير K. Neibuhr
في أواسط القرن الثامن عشر ، وشيخنا الاستاذ لويس ماسنيون Le. Massignon سنة ١٩٠٨
والمس بل Gertrude Bell سنة ١٩٠٩ ، وفيوله M. H. Violette ، وديولافرا Al. Dieulafoy
وموزيل Alois Musil ، وأوسكار رويتر Oskar Reuther بين سنة ١٩١٠ و ١٩١٢ .

لقد جاءت أسماء أكثر هؤلاء في مقالة عنوانها « قصر الاخضر ورأي العلامة الألومي
فيه » نشرت في إحدى المجلات العراقية الشهيرة ^(١) وقد جاء فيها أن المهندس الآثاري
ديولافوا المذكور يذهب الى أن هذا القصر يرتقي الى الربع الأخير من القرن السادس لليلاد
أي قبيل الاسلام . ويقول : ان الزيارة ^(٢) « فن تزويق الابنية كانا قد بلغا أوج السكال منذ
عصر سامراء ، ومن ثم يتضح أن كل بناء لا ترى فيه الزيارة الأ في بنيتها أو نقوشه فهو على
الارجح سابق للاسلام كقصر الاخضر في العراق » ثم ذكر كاتب المقالة أن رأي المهندس
فيوله على الضد من رأي المذكور ، فهو يعد الحصن والقصر من الابنية التي شيدت في صميم
العصور الاسلامية . وكذلك قول الأئمة « بل » المذكورة ، ثم أشار الى رأي الامتاذ ماسنيون
في أن حصن الاخضر ان لم يكن « المخرنق » أو « السدير » فلا يعد أن يكون (قصر
متداد) ذا الشرفات ، ويخلص الكاتب الى رأي السيد محمود شكري الألومي وهو أن
أسله (الاكيدر) باسم الاكيدر الملك السكوني الكندي ثم صحفه الناس الى (الاخضر)
وهو قول لا يصبر على النقد ، وختم الكاتب مقاله بأن القصر هو في سنة ١٩١٢ انتهى

(١) مجلة العرب ، متداد ، ص ١ من ٤٥ سنة ١٩١٢ ، (٢) قال المتخيم لقوله مفسر الزيارة « في
البناء » وقد جاء في أسس البلاغ (رررت منيعتي : قلت عليه وأصلحتي وهو راز البنايين : رأسه
وكذلك راز أهل كل صناعة وكان راز سفينة نوح جديلا و — و — لانه بروز ما بينته ولانه راز
الدعاة حتى تقنيا . وأصله راز كندك في شائك ولذلك جمع على رازة فندس في ساسة »

قائمة^(١) الرزازة أراجع أربها الى فهد بك من قبيلة عنزة وهو أيضاً آخر حدود مديرية شقاعة ، وان فهد بك يزعم أن القصر له ، ومدير شقاعة قد استخص عين ماء مجاورة له وهي العين الوحيدة التي ليس في مائها مادة كبريتية في تلك النواحي .

وورد في المجلة نفسها في أثناء الكلام على قصر (بلكوارا) باسمراً وعشور الدكتور هرتسفيلد عليه سنة ١٩١٣ وأنه هو الأخيرة المعروفة عند المعاصرين له باسم المنقور قول الكاتب :

« وهيئة هذا القصر بهيئة القصرين الشهيرين المعروف أحدهما بالمشى (بتشديد التاء) الذي بناه يزيد الثاني من خلفاء الأمويين والأخيضر المنسوب الى الأكيدر صاحب دومة الجندل إلا أنه أكبر منهما بكثير ، وكان الدكتور هرتسفيلد ذهب الى أن أصل ذينك القصرين على مثال السدير أو السدي أو الحاري بكين الذي وصفه صاحب روج الذهب »

وقد ثبت عندنا إن الدكتور هرتسفيلد لم يعرف موضع قصر (بلكوارا)^(٢) فكيف ينسب على ذلك الأقيسة وينظر بين النظائر ويخلل حصن الأخيضر فيها ؟ إن قصر بلكوارا كان بالقادسية التي بين سامرا وبغداد ، قال الجهشيارى (وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف بركوارا . ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه المعز بالله وجعل أعذاره فيه وكان أحسن أبنية المتوكل وأجملها) وقال قبل ذلك « وبين القادسية وسراً من رأى أربعة فراسخ والمفايزة بينهما^(٣) » فكان إذن بين سامراً والقادسية زهاء اثنين وثلاثين كيلو متراً ، والذي زادنا استغراباً أن أحد مؤرخي فن العمارة الإسلامية من الأوربيين الفضلاء عدّ قصر الأخيضر بناءً إسلامياً وقاس به غيره بالاستدلال على عروبه وإسلاميته فناً وتاريخياً^(٤) مع أن بين « طاق إروان » الذي ذكر صورته التماثل المذكور ، وجدوان الأخيضر مشابه واضحة المعالم^(٥) ، وطاق إروان من الأبنية الساسانية كما هو معلوم .

(١) القائمة: رتبة القائم بالقام (٢) راجع مجلة لنة العرب « مج ١ ص ١٣٤ - ١٣٨ »

(٣) أصول التاريخ والادب « مج ١ ص ١١٠ » وهو من مجموعتنا المطبوعة ، فعلا عن كذاب

« الهياكل » لعل بن محمد الشافعي .

(٤) K. A. Cresswell Early Muslim Architecture, V. 1 p. 50, 280

(٥) المرجع المذكور « ج ١ ص ٢٨٢ »

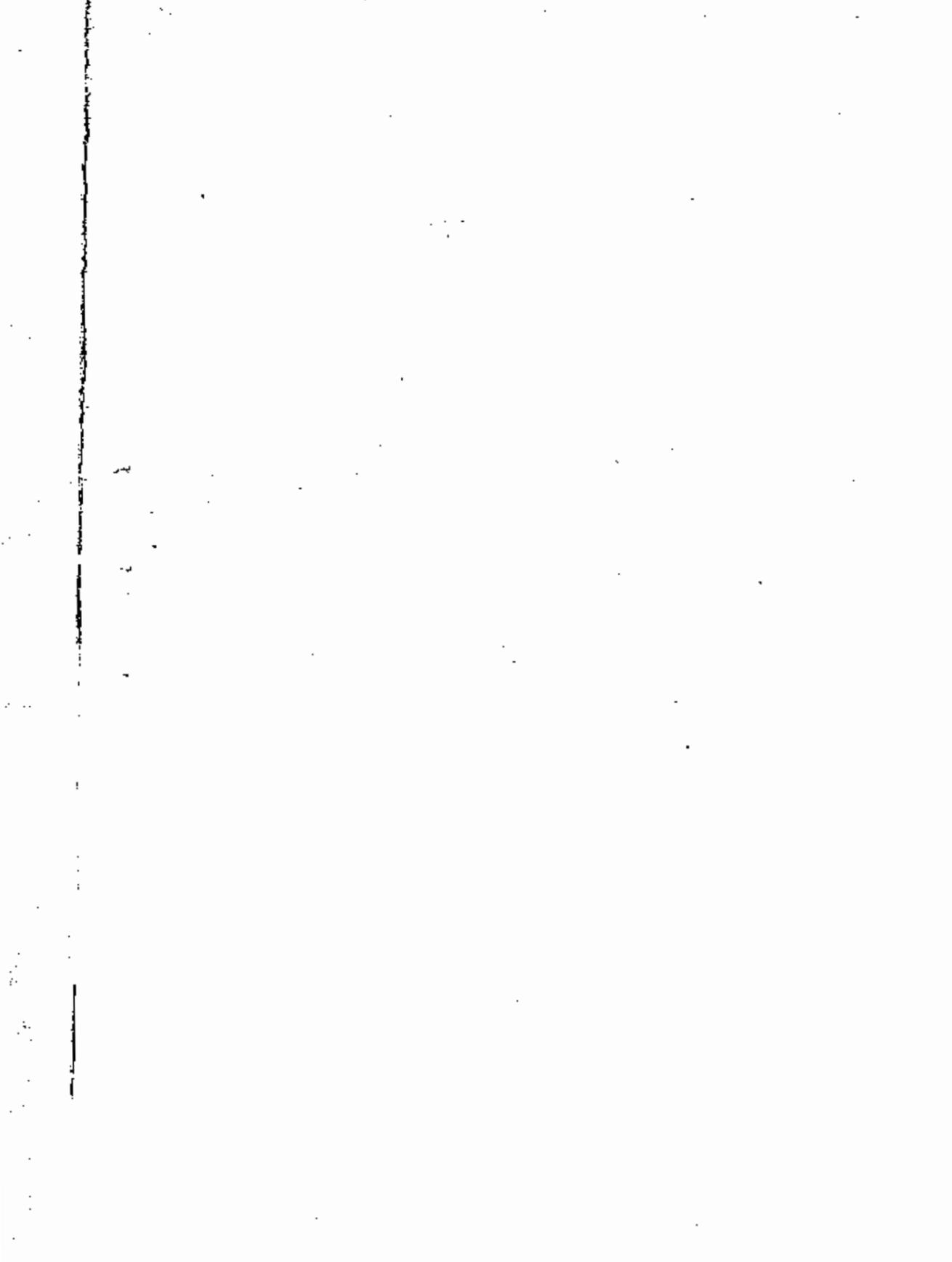
وقد احتوى حصن الأخيضر على دورين من أدوار العماره — كما يسمونه اليوم — فإن
واضحاً وصفه في شهر آذار «مارس» سنة ١٩١٣ بأن فيه إيواناً معقوداً من الطابق «الطوب»
عقداً محزباً^(١) وبنائه أشبه شيء ببناء الإيوان الذي في قصر الخليفة بسامرا بل هو هو...
ولنظن أن بناء هذا الإيوان بعد قصر الأخيضر بقرن أو قرنين أو أكثر من ذلك، لأن ليس فيه
ما يشابه قطعاً^(٢)». وكنا أشرنا إلى أن النهو الكبير وهو الإيوان مبني من الحجر.
وورد في رسالة الأخيضر قول كاتبها « نستطيع أن نحوم بأن جميع مباني الأخيضر لم
تشيّد في وقت واحد، بل إن البناية الملحقة الداخلة كالبناية الاضافية الخارجية، استحدثت
بعد أمام تشييد القصر والحصن بمدة وذلك لأن وضع هاتين البنايتين وتخطيطهما لا يتناسبان
بوجه من الوجوه مع التنظيم الدقيق الذي يشاهد في تسميات القصر والحصن والتناظر التام
الذي يسرد تخطيطهما باستثناء هاتين للبنايتين. إذاً فيحتمل لنا أن نقول: أنهما لم تندخلا في
التخطيط الأصلي ولم تشيدا إلا بعد اكمال القصر والحصن بمدة بناء على الحاجات الجديدة التي
تولدت خلال استعمال القصر وتطورات الاحوال^(٣)».

إن في هذا القول تصريحاً بدوري العماره اللذين أشرنا اليهما، على أن في كل ما قدمنا
ذكره من أقوال الباحثين اضطرراً ظاهراً واختلافاً بيننا منعا أن تكون للباحث نتيجة عميقة
ولفترات مدققة. ومن الباحثين من ذهب إلى أنه « قصر مقاتل^(٤) » أو « قصر بني مقاتل »
على تسمية أخرى، وهو قصر وصفه ياقوت ومن بعده بأنه « قصر كان بين عين النمر والشام
منسوب إلى مقاتل بن حيان وهو قرب القطقانة » وهو قصر مشهور بمرضعه كان قرب
الكوفة على الطريق بينها وبين الشام، والقطقانة تعرف اليوم بالقطقانة وهي أقرب إلى
الكوفة منها إلى موضع الأخيضر، وما لنا نستر على تسويد السطور فيما هو داخل بنفسه
لأمور كثيرة منها جهل القائل بذلك للموضع والمسافات التي بينها وحقائق التصور والمحمون

(١) في أسانين ابلاغه « بيت محرد : مسم كانكوخ » وفي الدخح « تحريد الذي : تدويجه كالطاق
ومنه قبر بيت محرد أي مسم » (٢) لغة العرب « ميج م من م » (٣) رسالة مديرية الآثار
ببغداد « م ٣٧ » ١٤١٠ والمثل الذي يرى قدامنا يقول يوماً ما انه « خان » على وزن حسان فقد كان حتماً
أيضاً قرب الكوفة ا



الايوان الاعظم في حصن الأخيضر وهو من الدور الميزي الثاني
التي دخل فيه الأجر أي الطوب . وذلك في العصور الاسلامية
وفيه تقليد لبناء الساماني



وامتدادات البدايين كقولهم « كان » مما يدل على الغناء والاندثار ، وأين قصر مجهول الحقيقة والموضع لغائه ودروحه من هذا الحصن العظيم الراسخ القواعد المبني للتحصن والدفاع قبل كل ارتفاع ولا تزال آثاره شاهدة بأنه حصن امبراطورية .

والحقيقة أن حصن الاخضر وحيد الشكل والقضامة والهيئة في العراق ، فهو لم يُبن للدفاع عن مدينة عظيمة ولا عُرف في عهد الاسلام ببناء مثله لسقوط منقته وإنما بني للدفاع عن دولة عظيمة كالامبراطورية الساسانية قبل الفتح الاسلامي ، جرباً على القواعد القديمة في الحروب بين الدول العظيمة ، — كما أشرنا اليه في أول مقالتنا .

وهذا الحصن العظيم كان يُسمى « حصن عين التمر ^(١) » وقد فتحه خالد بن الوليد القائد العظيم في سنة ١٢ هـ بعد أن فرغ من حرب المرتدين بالجماعة وارتفع نحو الطوف التي بين غربي العراق وبادية السماوة ، وكونه — أعني الحصن — مضافاً إلى عين التمر إنما جرى بسبب قربه من تلك البلدة وسيأتي فيما نعرض من أخباره أنه سُمي حيناً بقصر شفاثا وهي إحدى قرى عين التمر ، وذلك يدل على أن عين التمر كانت على مسافة ما منه وكان هو مستقلاً عنها لأنه بني كما قلنا للدفاع عن حدود الامبراطورية الساسانية الغربية .

أخبار حصن الاخضر

وما أسلفنا من القول يعلم القارىء أن « حصن الاخضر » من الابنية الفارسية الكسروية ، وأن غمامته وعظمنه يمنعان أن لا يكون له ذكر في أخبار الفرس والفتوح العربية الاسلامية ، وأول ما نذكر من ذلك قول البلاذري « كانت عيون الطف مثل عين الصيد والقططانة والرهية ^(٢) وعين جل وذواتها للموكلين بالمسالح التي وراء السواد وهي عيون خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب للموكلين بمسالح الخندق وذيرهم ^(٣) »

(١) جاء في مرادف الاطلاع على الامكنة والبغايا « عين التمر » بلدة في طرف البادية على غربي انقراة وحولها قرى منها شفاثا وشراف (عين التمر) بلدة الدين ، أكثر تحملها القصب ويحمل حسبها آل سائر الاماكن قال مصطلح جواد : ولا تزال قرية شفاثا طامة قرب حصن الاخضر ، وأما عين التمر فالظاهر أن عيون ماها ظهرت بعد القرن السابع للهجرة فدنوت وغول بعضهم انها رأس الدين الحالية وم (٢) لا تزال « الرهية » مدرونة بين القططانة والسكونة ، وهي المذكورة في شعر المتنبي (٣) فتح البلدان « ص ٢٩٦ » من ضمة الطبعة المعروفة سنة ١٩٣٢

وفي معجم البلدان لباقوت ومرامد الاطلاع أن « خندق سابور في برية الكوفة خضره سابور ملك الفرس بينه وبين العرب من هيت قطف البادية إلى كاطمة مما يلي البصرة إلى البحر وبني عليه المناظر والجوامق ونظمه بالمساح » .

ومن هذا يتضح بادية ذي بدء أن حصن الاخضر من تلك المساح والجوامق التي بناها سابور لحماية مملكته من الجهة الغربية ، وهو سابور الملقب ذا الاكتاف الذي ملك في الدولة الساسانية من سنة ٣١٠ م إلى سنة ٣٨١ م في مثل هذا العهد الجليل يبني مثل ذلك الحصن العظيم ، ولقد جاء في أخبار سابور أنه بعد أن افتتح حصن الحضرة بل مدينة الحضرة بجميال تكريت بين دجلة والفرات على نهر الثراء سبي ابنة ملكها وأعرس بها بعين التمر^(١) . وفي هذا الخبر إيماء إلى أن في عين التمر إذ ذاك ما كان يوافق الامبراطور الفارسي من مسكن ذي جلاله ورفاهة دون سائر البلاد القريبة من طرف البادية ، فلهذا أعرس بها في الاخضر ومما يدل على أنه كان لعين التمر حصن عظيم هائل قول البلاذري في غرر خالد بن الوليد لغربي العراق في السنة التي ذكرناها آنفاً - أعني سنة ١٢ هـ - : « ثم أتى خالد عين التمر فألفق بحصنها وكانت فيه مسلحة للاطجم عظيمة ، فخرج أهل الحصن فقاتلوا ، ثم لزموا حصنهم فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الامان فأبى أن يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة وقتل وصي ووجد في كنيسة هناك جماعة سبام فكان من ذلك السي حران بن أبان ابن خالد التمري . وسيرين أبو محمد بن سيرين واخوته ومم يحيى بن سيرين وأنس بن سيرين ومعبد ابن سيرين وهو أكبر اخوته . وكان من ذلك السي أيضاً أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الاعلى الشاعر ويسار جد محمد بن اسحاق صاحب الديرة . وكان منهم امرأة أبو عبيد جد محمد بن زيد ابن عبيد بن مرة ونقيس^(٢) بن محمد بن زيد بن عبيد . ونصير أبو موسى بن نصير صاحب المغرب » ثم ذكر أن هلال بن عفة بن قيس بن البشر التمري كان على التمر بن قاسط بعين التمر فجمع نخاله وقتله فظفر به (خالد) فقتله وصلبه^(٣) ، وفي رواية ابن السككي أنه عفة ابن قيس بن البشر لا ابنه هلال » .

(١) أبو الفرج الاسفهانى في « الاقاني ج ٢ ص ١٤٠ ، وما بعده ، منبع دار الكتب

(٢) أي وجد قيس بن محمد ، نقيس معطوف على محمد بن زيد ١٣١ شرح البلدان ص ٢١٨ - ٢١٩

من عليه المذكورة

وقد فصل أبو جعفر الطبري خبر فتح الحصن وذكر أن بعين التمر يومئذ من القراء الفارسيين «مهران بن بهرام بن جوبين» في جمع من العظيم من المعجم، ومن العرب عتة ابن أبي عتة قيس في جمع عظيم من التمر وتغلب وإياد ومن أفت لهم، فلو لم يهزأ من عين التمر وألقى بأبناء العرب على خالد وأصحابه حتى يهتوا ثم يلتاقم هو وأصحابه المعجم، وكان مهران مرابطاً في حصن عين التمر الذي قلنا أنه الأخضر مع رابطة^(١) فارس، وهزم جيش خالد العرب المذكورين ومن معهم من المعجم وراجعت فلولهم إلى الحصن واقتحموه، فاعتصموا به. ولما جاء الخبر بمهران هزيمة العرب الذين جعلهم وقاية له حرب في جنده وترك الحصن، وأقبل خالد وأصحابه حتى نزل على الحصن ونزل المتصمون به أنه يغير على ما كان خارجه ويتركهم لوجهه كسادة العرب. ولكن خالداً حاولهم وواتهم وحاصرهم وصارهم يغارت شوسهم بعد أن رأوا هروب المعجم فأجابوا خالداً إلى حكا فيهم واستندوا إليه فأمر من في الحصن من الرجال وضرب أعناقهم أجمعين. قال الطبري «وسعى خالد كل من حوى حصنهم وغنم ما فيه ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعدون الانجيل عليهم باب مطلق فكسره عنهم وقال: ما أنتم؟ قالوا: رهن فقتلهم في أهل البلاد، منهم أبو زياد مولى تقيف^(٢) وحرث وعلائة. ومنهم مير وأبو قيس» ثم ذكر أن منهم فلاناً وفلاناً^(٣).

فقول البلاذري إن في حصن عين التمر يومئذك مسلحة عظيمة للاطاحم وذكره هو والطبري لكنيسة فيه وجدها خالد بن الوليد مغلقة على أربعين غلاماً يتعدون الانجيل وقول الطبري ثانية إن في حصن عين التمر رابطة من جنود المعجم وضعهم فيه كسرى كل ذلك يترب منا أوصاف حصن الأخضر الحالي. فإزال الكنيسة فأتمه الدعائم واضحة المعالم وهي التي حوت مسجداً بعد الفتح الإسلامي، وهي على عيني الداخل لذلك الحصن «راجع التخطيط». ومن الغريب أن الذين ذكروا المسجد لم يلاحظوا أنفسهم تحقيق قبلته، على أن

(١) الرابطة هي الحلة المرابطون. وقد الشاري في موضع آخر بإسناده أنه ما زال حتى نزل على عين التمر فأثار على أهلها غضبهم وروابط حصناً بها فيه. ثم قال كان كسرى وشبهه حتى استنزلهم فحرب أعزهم وسعى من عين التمر ومن ذلك الرابطة ما بالكعبة ويث بها إلى بكر الحج ١ من ١١ من سنة الطبية الحسينية بعد ١٢١ هـ من ذكره بلاذري البلاذري (٣) الطبري في ج ١ ص ٤٤٤، ٤٤٦.

لا يتكر أن في حضرة (١) المسجد قد أدخل شيء من الأجر وهو مادة جديدة بالنسبة إلى مادة الحصن وهي الحجارة غير المهتمة .

سكن العرب حصن عين التمر أي حصن الاخضر بعد الفتح الاسلامي وتداولوه ولا سيما أهل البادية منهم كبنو أسد وكان قد تحصن فيه ضبة بن محمد بن يزيد العيني (٢) وأبث يخيف السبل وينهب القرى ويستبيح الأموال وغيرها وكلما طلب دخل الحصن واعتصم به ، وله قصة مع أبي الطيب التنجي ، قال أحد جماع ديوانه :

« كان قوم من أهل العراق نزلوا ابن يزيد (٣) العيني ... ونشأ له من امرأته ولد بالعين (٤) يسمى ضبة يفدر بكل من نزل به وأكل ممسه أو شرب . واجتاز أبو الطيب بالطف نزل بأصدقاءه ، وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه المنير معهم فدخل العبد الحصن وامتنع به وأقاموا عليه أياماً لا سلاح له إلا شتمهم من وراء الحصن أقبح شتم ويسمي أبا الطيب (٥) ويشتمه وعلم أنه لو مبه لهم مبرصاً لم يعمل فيه عمل التصريح ولم يقم ، فطاعبه على ألسنتهم من حيث هو فقال في جمادى الآخرة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة :

ما أنصف القوم ضبة وأمه الفرطية (٦)

وفي نسخة أخرى « وسار أصدقاء أبي الطيب لمحاربة هذا العبد وسألوا أبا الطيب المير معهم فأجاب إلى ذلك فلما نزلوا تحت حصن هو فيه جعل يشتمهم أقبح شتمة ويسب أبا الطيب باسمه فسألوا أبا الطيب أن يجره (٧) »

وقد ظل ضبة الأسدي يسد في تلك الأرض نيفاً وثلاثين سنة ، وفي سنة ٣٦٩ هـ قد عكر إلى عين التمر في طلب ضبة بن محمد الأسدي . قال مسكويه : « وقد مر ذكره وأنه من يسلك سبيل الدثار ويسفك الدماء ويخيف أنسبل وينهب القرى ويبسح الأموال والتفروج وانتهاك حرمة المشهد بالخائز . فلما أخل عليه المسكر المجرّد هرب بمخاضته إلى البادية وأسلم أهله

(١) قال في أسس البلاغة « وجمع الحفرة يريد به دار ، وهي عدة البناء من الآجر والحجر وغيره »
 (٢) انتهى نسبة إلى « بيت التمر » وهي نسبة إلى الشهية وغيره وفي ديوان التنجي الجديد الطبع من
 ٥١٠ « العيني » وهو خطأ

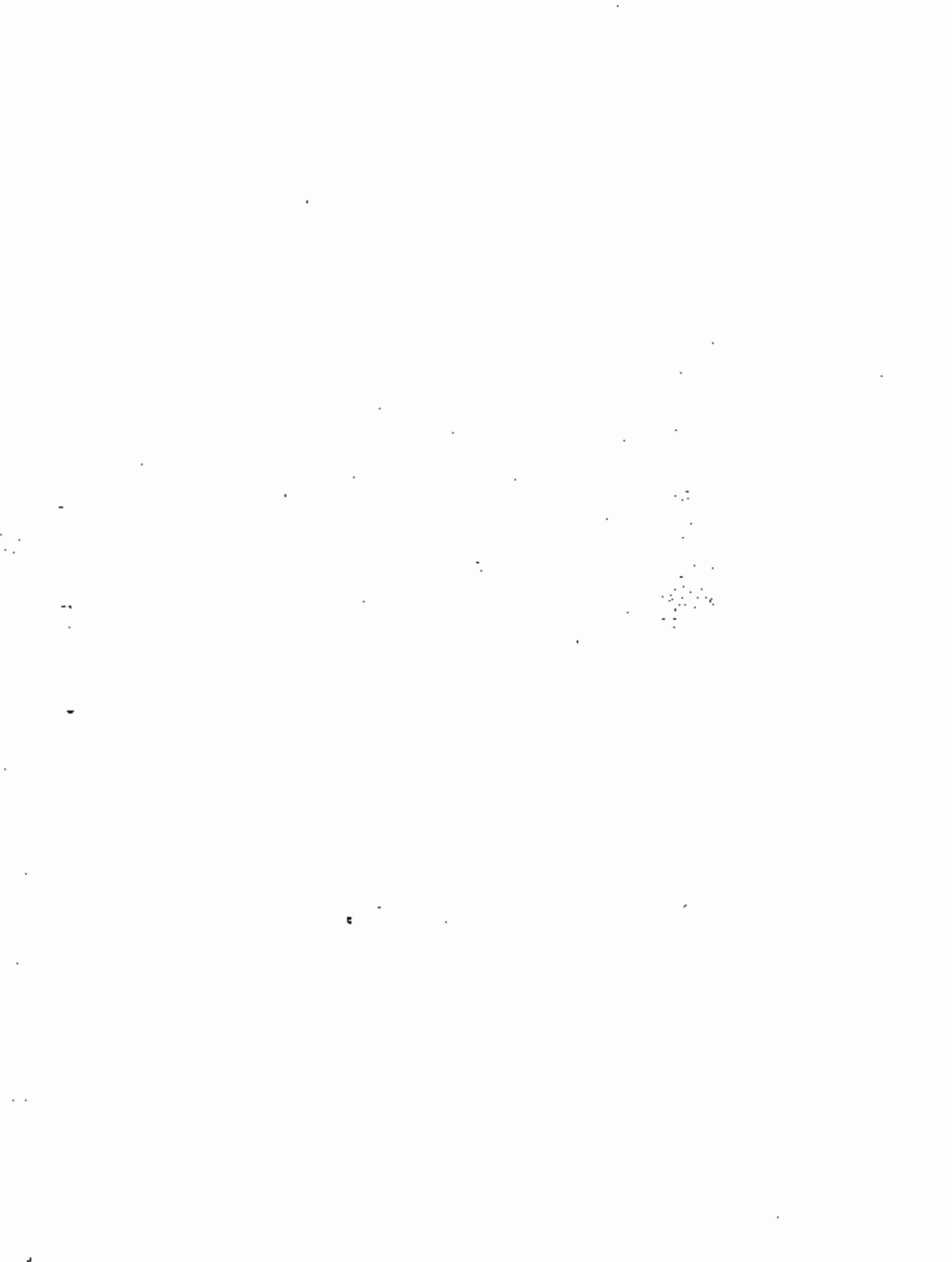
(٣) قدمنا أن اسمه (محمد) (٤) أي بين العين (٥) أي كان يسب التنجي خاصة

(٦) ديوان التنجي ، مخطوط في دار الكتب الوطنية بباريس ، رقم ٣٠٩١ في الورقة ١٩١ و ١٩٥

(٧) المخطوطات رقم ٣٠٩٣ ر الورقة ١٣٢



دعامة وخيبرة في داخل حصن الأخيضر
« الأجر أو الطوب من الدور العماري الثاني »



وحرمه لحصل أكثرهم في الأمر وملكك عين التمر^(١) . . . وقال أبو الفرج ابن الجوزي :
 « وكان من أكبر الدمار وقد قتل النفوس ونهب الأموال وتحصن بعين التمر نيقاً وثلاثين
 سنة والوصول إليها يصعب فلما أظلم عليه حرب^(٢) . . . » وقال ابن الأثير « وفيها أمر
 سرية إلى عين التمر وبها ضبة بن محمد الأسيدي وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطريق فلم
 يشعر إلا والمساكر معه ، فترك أهله وماله ونجا بنفسه تريباً وأخذ ماله وأهله وملكك
 عين التمر وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين فعوقب بهذا »^(٣) .

ويستبين من الأخبار التي ذكرناها أن ذلك الداعر القاطع للطريق كان يأوي إلى حصن
 حصين ويعتصم وراء سور مرتين طوال تلك السنين ، بحيث أن الملك عضد الدولة الذي دوح
 البلاد شرقاً وغرباً أنفذ إليه عسكرياً لحاصرته والاستيلاء على حصنه ولكنه هرب ولم يتحصن
 كما كانت مادته لا اعتقاده أنهم يقتحمون عليه الحصن .

وفي أواسط القرن الخامس للهجرة كانت السيطرة في العقوف لقبيلة خفاجة وذهبت
 سلطة بني أسد ، وتصرف في حصن عين التمر أعني حصن الأخيضر رؤساءهم ، ومنهم محمود
 ابن الأخرم الخفاجي ، نسبة إلى قبيلة خفاجة^(٤) ، وقد ظهر لي أنه في أيام استيلاء الخفاجيين
 على ذلك الحصن العظيم أحدثوا فيه أبنية وزيادات عمارة وترميمات وتعميمات ، حتى أصبح
 يسمى « قلعة عين التمر » وكان محمود بن الأخرم رئيس قبيلة خفاجة قد قصد إلى الخليفة
 المستنصر بالله الفاطمي بمصر ورجع في سنة ٤٤٨ هـ ومعه أموال غنم بغفانا^(٥) وعين التمر
 وبالكوفة للمستنصر المذكور^(٦) ومعنى ذلك أنه خطب له بحصن الأخيضر كسائر بلادهم واستعد
 الأحداث . وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٨ هـ « وفيها خطب محمود الخفاجي للمستنصر
 العلوي صاحب مصر بغفانا والعين وصار في طاعته »^(٧)

١١. تجارب السلاجق ج ٦ ص ١١٤ (٢) المنتظم ج ٧ ص ١٠٠ — ١
 (٣) الكامل في حوادث سنة ٣٦٩ (٤) قال القفندي في نهاية الأرب في أساطير العرب
 ص ٢٠٧ : « بنو خفاجة بطن من بني عقيل بن كعب بن طاس بن مسعدة . . . وقد انتقلوا في آخر الأيام
 إلى العراق والجزيرة وكان لهم بقى الثرات حولة . . . »
 (٥) قدمت في تلك الأثناء من قرى عين التمر ولا تزال تعرف بهذا الاسم في أيامنا ومنهم من يسميها
 (شنة) مصفاً (٦) أبو الفرج ابن الجوزي في (النتظم ج ٨ ص ١٧٣) وسراة الزمان لخطاب ابن
 الجوزي ، مخطوط رقم ١٥٠٦ بدار الكتب بباريس في الورقة ١٨ (٧) الكامل في حوادث سنة ٤٤٨

ولكن محموداً سرطان ما تقض عهده لاستنصر الفاطمي وأصلح أمره مع الخليفة القائم بأمر الله العباسي والسلطان طغرل بك السلجوقي^(١). ثم احتل أبو الحارث أرسلان الباصيري بغداد والعراق وخطب لاستنصر المذكور وجعل محمود بن الأخرم الخفاجي أميراً على الكوفة وسقي الفرات^(٢)، وقال سبط بن الجوزي في حوادث أصغر من سنة «٤٥٠»: وفي هذا الشهر أتت أهل شنانا وقلعة العين التي لمحمود بن الأخرم أمير بني خفاجة وهي معقل الخفاجيين إلى السلطان طغرل بك فسلموها إليه فأعطاهما أبو شروان ابن زوجته فتسلمها أصحابه^(٣) « فقد استبان من قول المؤرخ «قلعة عين النمر» و«معقل الخفاجيين» وغير ذلك غمّة تلك القلعة وسمتها وحصانها ومثانة بنياتها.

وفي سنة «٤٥٢» خلع السلطان طغرل بك على محمود بن الأخرم الخفاجي وردت إليه إمارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة، وكان قد وليها رجب بن منيع الخفاجي فصرف عنها^(٤). وفي سنة «٤٥٥» تل رجب بن منيع المذكور ورجل آخر محمود بن الأخرم الخفاجي بأرض الجامعين ونهب جارية له كانت حظية عنده، قال سبط بن الجوزي «وأخذها إلى قلعة شنانا... وألقت نفسها من أعلى القلعة فهلكت^(٥)». وإنا عسى المؤرخ بقلعة هنانا قلعة عين النمر على ما ظهر لنا فإننا لم نجد لشنانا قلعة في التاريخ، والسبب في ذلك تقارب البلديتين إحداهما من الأخرى — كما أشرنا إليه في أول المقالة — وبذلك تكون الجارية قد ألقت نفسها من حصن الأخيضر وقد ذكرنا أن صمكة أي ارتفاعه واحد وعشرون متراً وقلعاً ينجم من الموت من يرمي نفسه من هذا السمك إلى الأرض.

وكون الأخيضر معقل الخفاجيين — على ما قلنا ذكره — يوضح لنا القول الشائع في قبيلة الرولة ببلاد الشام من أن الأخيضر هو عتدم «قصر الخفاجي»^(٦) ويظهر كل الظهور أن الدلائل والقصافر الحوادث والأخبار على أن حصن الأخيضر الجليل هو حصن

(١) الكامن في سنة ٤١٩ (٢) المذكور في سنة ٤٥٠ (٣) سريّة الزمان في المطرحة المذكور (الورقة) ٤٥ (٤) الكامن وحوادث سنة ٤٥٢ (٥) سريّة الزمان في المطرحة المذكور (الورقة) ٩٠

(٦) A. Musil, *Revue géographique*, p. 155, 240

عين التمر اعتيق لئسنا من الاتفاق ولا الشبهات ولا بنات الظنون .

وفي التاريخ من الحوادث ما يدل على أن حصن عين التمر أي قلعتها على تسمية سابقة لبعض المؤرخين ، قد تضعف وفقد من مناعته وحصانته ؛ ففي سنة ٦٩٣ هـ أنشد يار وأحد القواد المغول بالعراق في زمان السلطان كيخسرو الأيلخاني جماعة من جنده إلى « عين التمر » والكيبات فنهوا الرعيّة وسبوا وأسروا ونخلوا كل منكر^(١) ، وآخر ما وجدنا فيه ذكر العين ديوان الشاعر الكبير صفي الدين عبد العزيز الجيلي فقد جاء في « باب المراني » منه أن صاحبه رأى صديقاً له رتب ناظرًا ببلد العين بالعراق وتوفي بها قال :

وأصبح العين بلا ناظر كأنها العين بلا عين^(٢)

الخاتمة

وخاتمة البحث أن « حصن الأخضر » القائم حتى اليوم بالعراق على قمة وخمين كيلومتراً من كربلاء غربي الثمرات من الحصون العتيقة النخمة الهائلة لا نجد له مثيلاً في البلاد ولا سوا العراق ، فهو متميز بكونه مبنياً من الحجارة الصم الصلاب المرصومة المروفة بالرخام^(٣) ، على قلتها بل ندورها في أرض الحصن ولا يشبهه في ذلك إلا مدينة « الحضر » بين دجلة والفرات فهي مبنية بالرخام المنهدمة . وتبين أن حصن الأخضر عتيق جداً إعادة بنائه وطرزه وعظمه وسمته ونفحاته فهو من الحصون التي لا تبني بسنة واحدة ولا تستطيع بنائه إلا دولة كبيرة قوية ، وعلم أن موضعه كان ميناء للطرق التجارية والطرق الحربية بين الشام والجزيرة والعراق ، وأنه إنما بني للدفاع عن الامبراطورية الساسانية واسترجح كون بنائه على عهد سابور ذي الاكتاف « ٣١٠ - ٣٨١ » هـ وفيه مشابهة من إيوان كسرى ، ثم أدخل في بنائه الآجر . وهو معروف عند العرب بحصن عين التمر ، وقد فتحه خالد بن الوليد وبني في أيدي عرب العراق ورمم غير مرة وأضيفت إليه عمارات وزيدت فيه بنايات .

مصطفى مهدي

(بغداد)

(١) ابن النوطي في الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اللغة الناصية (ج ١ ص ٢٧٦) من طبعته

(٢) ديوان صفي الدين الحلبي (٢٢٥-٦) حنية مطبوع الآداب بيروت ١٩١٠ (٣) الرخام والرصاص

جميعها مسخور ميثاكة فإذا ردت كبرها في الرخام

التأله : Mysticism.

(Or. Musticos = mystic; from mustes = one initiated into mysteries)

- (١) الآراء أو الميول القلبية أو الفكرية أو الشعورية التي ينتملها المتألهون.
- (٢) مذاهب التأله أو روحها أو ملعبتها .
- (٣) اعتقاد أن الاتصال بالنامية القدسية ، من طريق التأمل والزهدي ممكن.
- (٤) الاعتماد على أن الإلهام الروحي أو المشاعر العليا السامية ، وسيلة الى معرفة الاسرار التي يجز العقل عن ادراكها .
- (٥) حلة أن يكون المرء متألهاً ، أو من أهل التأله .
- (٦) ضرب من الاعتقاد الديني قائم على التجارب الروحية ، من غير رجوع الى العقل أو التفكير .

(٧) تقيض الأسلوب العقلي (Rationalism) في البحوث الدينية ، وهو الرجوع الى العقل باعتباره أسس الواهب الانسانية ، وأنه الموثق ببحث المذاهب الدينية وتقدمها ، بخلاف التأله الذي يقضي بأن الحق الروحي لا يمكن ادراكه بمهنية المنطق ، ولا يستطيع التبرير عنه بقية الادراك .

(٨) له يستعمل هذا الاصلاح في مواطن السخرية للدلالة على :

اولاً — الاعتلاسي أو اختلاط الافكار .

ثانياً — النظريات الفلسفية أو العلمية التي يظن أن فيها ملجأ (١) أو

عموماً يحار فيه العقل .

Mysticism is a phase of thought, or rather perhaps of feeling, which from its very nature is hardly susceptible of exact definition. It appears in connection with the endeavour of the human mind to grasp the divine essence or the ultimate reality of things, and to enjoy the blessedness of actual communication with the "Highest." Encycl. Brit. vol. XVII, 128.

(١) الملجأ — ملجأ يهتج أخيراً لا يؤمن به ، والملجأ (بالضم) الاضناث في النوم (قدوس)

صفحة مطوية

من تراث العرب العلمي

عنى العرب منذ اتصالهم بالثقافة الأجنبية بدراسة جميع الموضوعات التي بحث فيها الأقدمون وكان غرضهم في بحوثهم هذه علمياً محضاً ، يرمى إلى تنقية الآراء التي سبقهم بها فيها من الخطأ والتضليل ، وتأسيس ثقافة عربية إسلامية كان لها الأثر الأكبر في نهضة العالم الحاضرة . وإذا تفحصنا مناحي نشاطهم العلمي ألفتناها زخرفة بألوان من الدقة والصبر والتجارب التي سمحت بها عصورهم ، مما لا يدع مجالاً للشك في أن الأمة العربية قد خلقت آثاراً جليلة في ميادين المعرفة طادت على الحضارة بالتقدم والرفق . وقد لا يكون هناك أمة لها ما للأمة العربية من تراث خالد وأثر بليغ في سير العلوم ، فلولا نتائج التريفة العربية لتأخر سير المدنية بضعة قرون .

وكان مما عني به العرب علم الهيئة الذي أضافوا فيه إلى آراء من تقدمهم معلومات جديدة واستنباطات مهدت السبيل لرواد النهضة الحاضرة ، وقد بحث عصور الأبحاث والاضطراب وتقلب الفزاة وضعف الثقافة كثيراً من الآثار الجيدة التي خلفها العرب . وقد عثرنا على مخطوطة في هذا العام وهي موضوع بحثنا وقد تكون فريدة بمهولة ، لأن جميع المراجع التي وصلنا إليها لم تكشف لنا عن حقيقتها أو وجود نسخ منها وهي مسبوقة إلى صلاح الدين محمد بن محمد المعروف بقاضي زاده الرومي شرحاً على مقالة محمود بن محمد بن عمر المعروف بالقميني في علم الهيئة .

والقميني هذا من قرية من قرى خوارزم ، ومن الغريب أن هذا الاسم مجهول ومغفود من جميع المراجع القديمة والحديثة . وكل ما وصلنا إليه هو معرفة الشارح لهذه المقالة قاضي زاده الرومي وهو من علماء الهيئة الذين اشتهروا في القرن التاسع للهجرة وتوفي في سمرقند بين سنة ٨٣٠ - سنة ٨٤٠ هجرية ويعتبره بعض الباحثين من أشهر علماء القرن الخامس عشر الميلادي مع زميله غياث الدين حميد الذين كان لها الفضل الأكبر في الرصد في رده وأبلغ بك في سمرقند . وقد درس مسأله العلوم على علماء زمانه ثم لازم على شمس الدين « متلاقدي » وقد رغب في طلب العلم على علماء خراسان وما وراء النهر فرحل إلى تلك

الديار حيث درس على علماءها العلوم الرياضية . وقد اشتهر في سمرقند وذاع صيته فاستداه
أولغ بك الى سمرقند وقرّبه وأغدق عليه العطايا وعينه أستاذاً له .

وكان أولغ بك هذا من الذين أولعوا بالعلوم وخصوصاً الرياضية والفلكية منها ، وقد
عينه أولغ بك مديراً لمدرسة طالية أثر عنه خلالها أنه كان شديد المحافظة على كرامة العلماء
والأساتذة ، مما اضطره إلى الابتعاد عن التدريس عند ما عزل أولغ بك أخذ الأساتذة ،
فلم يجد السلطان بُدّاً من الخضوع لأمره وإرجاع المدرس بعد أن قطع على نفسه عهداً بعدم
التعرض لحرية الأساتذة والمعلمين .

وقد أنشأ أولغ بك مرصداً لفلك في سمرقند سنة ٨٢٧ هـ عهد الى قاضي زادة الرومي
وغياث الدين جمشيد من علماء سمرقند في اجراء الرصد فيه وتتبّع البحوث الفلكية ، ولكن
القاضي توفي قبل انعام الرصد . ولقاضي زاده رسائل نفيسة ومؤلفات قيمة أشهرها رسالة
عربية في الحساب وقد ألفها سنة ٧٨٤ هـ وكتاب شرح ملخص الهجلا (المخطوط) الذي نحن
بصدده : وله أيضاً رسالة « الجيب » وهي تبحث في قوس ذي درجة واحدة وعدة كتب أخرى .
أما المخطوطة التي نحن بصددها الآن فتأليفها موسى بن احمد القسطنطيني من تلاميذ مدرسة
حيدر باشا بالقسطنطينية وقد انتهى من نسخها في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٨٦ هـ .
وتبتدىء المخطوطة بافتتاحية جميلة تقتطف منها ما يأتي (الحمد لله الذي جعل الشمس
ضياءً والقمر نوراً وبسط على بساط السيفنة ظلاً وحروراً . رفع حفراء ذات بروج وسراج ،
وخض غبراء ذات مروج وبنج ، ومدّ بحراً مسجوراً خلفه سبع سموات ، ومن الأرض
مثلهم في ستة أيام . ودبر الأمر ينزل بينهن على ترتيب ونظام كما كان في الكتاب مسطوراً .
وبعد أن ينتهي من افتتاحيته على هذا الغراز من الأسلوب المسجع ، يتطرق الى محطه في علم
المهية حيث يعرفه على النحو الآتي :

علم المهية : (هو العلم الذي يبحث فيه عن أحوال الاجرام السيفنة العلوية والسفلية من
حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها) . وبعد ذلك يقسم الكتاب
مقالتين . في المقالة الأولى يبحث عن أحوال الاجرام العلوية ، وفي الاخرى عن أحوال
البسائط السفلية . والمخطوطة تنفع في ١٤٩ صفحة من الحجم المتوسط بخط فارسي مقروء داخل
مستطيل خط بخط أحمر فان يحيطه بعض المشروحات المكتوبة بخط صغير جداً يقرأ بعد عنها .
وهو مزين بأشكال بدعيّة ملونة للخسوف والكسوف وأوجه القمر وحركات الاجرام
الساوية الى غير ما هنالك من الرسوم الفلكية البدعيّة .

وبعد أن انتهى النسخ من نسخها أورد في التمهيد الى كل ما جاء فيها من الآراء

والأفلاك بما لا يزيد عن صفحات الكتاب نفسه استهلها بما يأتي :
 « الحمد لله ربّ المشرق والمغرب ، مزين السماء بالكواكب الثوابق ، والصلاة والسلام
 على محمد سيد من خلق في أحسن تقويم وعلى آله وأحبابه ومن اتبع الصراط المستقيم :
 وبعد فهذه تعليقات على المواضع المشكّلات وتنبّهات على رموز المباحث الخفية ، في شرح
 الملخص في الهيئة لصاحبه ، قاضي الأئمة الحنبلية المدقق والتحرير المحقق قدوة أفضل العلماء
 وصفوة أمثال الأذكياء المشهور بموسى القاضي الرومي .

بعد أن أوردنا ما تقدم من ترجمة موسى القاضي الرومي ومن نظرة إجمالية إلى ما في
 الكتاب ، تتطرق الآن إلى بحث الكتاب نفسه . ففي المقالة الأولى بيان في بيضة الأفلاك
 التي هي كرات متحركة بالذات على الاستدارة دائماً وما يتعلق بها من الكواكب والحركات
 والقنبي والدوائر وقد قسم هذه المقالة إلى خمسة أبواب يبحث فيها عن بيضة الأفلاك . وقد
 ابتدأ بفلك الشمس وهو يعتقد أن الشمس جرم كروي مصمت غير مجوف ليس له إلا سطح
 واحد ثم يتطرق إلى حركات الأفلاك الشاملة للأرض على كرتها . وهي قسمان حركة من
 المشرق إلى المغرب في جميع الدورات ، وحركة من المغرب إلى المشرق كذلك . وهو يعتقد أن
 هذه الحركة تنعدم عند خط عرض ٩٠ لأنه لا يوجد هناك لا شرق ولا غرب . أما الحركة
 التي من المشرق إلى المغرب فمما حركة الفلك الأنظم حول مركز العالم . وأما الحركة التي من
 المغرب إلى المشرق فمما حركة الفلك الثوابت كالأجرام وحركتها حركة بسيطة بطيئة حول العالم
 ويعتقد أنه يتم الدرجة الواحدة من ٣٦٠ درجة من حركتها في ٦٦ سنة . ثم ينتقل في بحثه
 هذا إلى منطقة البروج فيقسمها أربعة أقسام ثلاثة منها ربيعية وهي : الحمل والجوزاء والنور .
 وثلاثة صيفية وهي السرطان والأسد والسنبل . وهذه البروج الستة شمالية وثلاثة خريفية
 وهي الميزان والعقرب والقوس وثلاثة شتوية وهي : الجدي والدلو (ويسمى ساكب الماء)
 والحوت وهذه الستة جنوبية . وهو يعتقد أن هذه الأسماء مأخوذة من صور وهيبة على
 المنطقة من كواكب ثابتة تنظمها خطوط موهومة وسمت وقت التسمية في تلك الأقسام .
 فثلاً للحمل ثلاثة عشر كوكباً على صور غم ذي قرنين مقدمه إلى المغرب ومؤخره إلى المشرق
 وظهره إلى الشمال ورجلاه في الجنوب . وللميزان ثمانية على صورة ميزان كفتاه نحو المغرب
 وعمده نحو المشرق . وللحوت أربعة وثلاثون على صورة سمكتين ، قد وصل ذنب إحداهما
 بذنب الأخرى بحيث يطول من كواكب تسمى خط الكتان وإحدى السمكتين رأسها إلى
 المغرب والأخرى إلى الشمال . وعلى هذه الطريقة يورد السبب في تسمية كل من هذه البروج
 وينتقل بعد ذلك إلى حركة القمر الشهرية وما ينتج عنها من أوجه القمر معتمداً في ذلك على

رسوم هي غاية في الدقة والاثقان لا تختلف في شيء عن الرسوم الجغرافية الفلكية في العصر الحاضر. أضف الى ذلك أنه شرح الخسوف والكسوف شرحاً وافياً مع الرسم بطريقة لا تختلف عما هو متعارف في عصرنا هذا .

أما المقالة الثانية فتبحث في الأرض وما عليها فهو ينص على أن الأرض جسم كروي . ثم يمثل على هذا الجسم خطاً من الشرق الى الغرب يعرف بخط الاستواء . وخطاً آخر من الشمال الى الجنوب يقسم هذين القسمين أربعة أقسام متساوية إثنان في الشمال وإثنان في الجنوب ، وهو يعتقد أن أحد القسمين الشماليين هما وبقي الأقسام الثلاثة خراب ، وهو يقول ما نعه (يتمثل أن يكون بيننا وبينهم بحار مفرقة وجبال شاهقة تمنع وصول أخبارهم إلينا ، غير أن أحد الرعيين الجنوبيين قد حكى أن فيه قليلاً من العارية) وأنا أعتقد أنه يقصد بهذا الربع الجزء الجنوبي من أفريقيا وقسماً من استراليا .

وعند ما يصل في بحثه الى خط الاستواء يورد البلاد التي يمر فيها هذا الخط على النحو الآتي : ساحل البحر المحيط الغربي ويمر على جنوب السودان وشمال جبال القمر التي بها منابع النيل ، ثم على صحاري السودان وبلادهم ، ثم على شمال جزائر الرنج ، وعلى جنوب جزيرة سرنديب ويقسم المنطقة الواقعة الى شمال خط الاستواء سبعة أقسام بحسب خطوط العرض . أما الجزء الجنوبي من خط الاستواء فهو أرض محترقة على رأيه ويقصد بالمحترقة أنها خالية من العار . ويقسم القصور عن خط الاستواء ثمانية فصول ، صيفان وشتاءان وخريفان وريضان . وبعد ذلك يأتي شرح بعض المصطلحات الجغرافية فيعرف السنة الشمسية بأنها المدة التي تعضي بين مفارقة الشمس أي نقطة تعرض من فلك البروج الى عودها إليها بحركتها الخامة التي لها من المغرب الى المشرق ومدتها ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وخمس ساعات وخمس وخسون دقيقة واثنتا عشر ثانية . وأما الشهر القمري الحقيقي فهو مفارقة القمر ، أي وضع يرض من الشمس الى عوده اليه ومدته ٢٩ يوم ، ٣١ دقيقة ، وخمسون ثانية .

عما تقدم يظهر لنا جلياً ما كان للعرب من التفوق العلمي في القرون الغابرة وقد ظهر عندهم عبارة استطاعوا أن يقدموا جليل الخدمات للعالم ولذا يجب أن نذكر بروفيتنا ونتميز بمخازرتنا وأن نؤمن بكيانتنا ومركزنا في عالم الاختراع والاكتشاف ، فإمنا أمة نستطيع احترام حاضرنا اذا لم تكن على صلة بماضيها وبذلك لا نغيره نستطيع تلك الأمة أن نسرنا عاشقنا بأن لها كياناً محترماً وماضياً مجيداً . وهذا ما يدفع بالأمة الى العصور بالمجد والعظمة .

أرباب سليم نهرسى

ستاذ الرياضيات بكلية بيرزيت - فلسطين

لا تتعب!

التعب هبوط ، يديب عضلاتنا أو أعضائنا ، لرسوب حمض اللاكتيك بها Lactic Acid على أثر مجهاد جسماني ، أو عقلي .
والنوب ، يكون عرضة للاصابة بالامراض المبدية ، أكثر من غيره ، لان التعب يضيف المناعة .

ومن علامات التعب فقد الشهية . وهذا علاج تفرغ الطبيعة على الانسان . لان الامتاع عن الاكل يتيح فرصة للدم ، لان يبادل الاحماض المترابكة من التعب في العضلات أو الاعصاب .

والنوب هو الدامل الاول فيما يصيب المرء من شيخوخة مبكرة ... ووضف في الاعصاب . كما يخلق من الانسان شخصية ضعيفة متناقضة .

ولتجنب التعب أو ازالته احرص على اتباع التعاليم والارشادات التالية : -

١ - للجسم ، كالأعصاب والعقل ، طاقة معينة ، فاعمل في حدودها ولا ترمق تنكك
٢ - قلم عن الاسترخاء Relaxation .. وهو أن تسلم أو تفكر وأنت رضي البال غير متوتر الأعصاب .

٣ - لا تواصل العمل دون فترات لراحة .. بل خذ قسطاً منها .. لفترات ممدودات بين ساعة وأخرى .

٤ - تجنب الرياضة العنيفة ... وابتعد عن منها .. كاللعي والسياسة .. وإذا كانت رياضتك من النوع الضيف .. يلقي أن يدك جسك اختصاصي في التديلك سرعة في الاجرع على الاقل .

٥ - الحمام الساخن كل مساء يزيل عنك التعب تماماً .

٦ - لا تنكك تسك تنككياً وكما بالتهوية أو التنزي . بل اجتنبها لانها يزيدان التعب بطبيعتها الخدية .. واستبدلها بالكاكار .. لانه قوي الأعصاب .. لا يحتويه من مادة الفسفور .

٧ - في حالة التعب افسر وحيثك على الفاكهة تنط .

٨ - ينبغي أن يتركب غذاءك من ٢٠ ٪ اطعمة حلحبة كالسك ، والاحم ، والبيض ، والحين ، والشأ والسكر . و ٨٠ ٪ اطعمة قنوية كالخبز ، وصغار البيض ، والفاكهة ، والخمير .

٩ - أكثر من الاطعمة الغنية بالنيامين B كالخبز الكامل ، والفول السوداني ، والطماطم ، والبرنخال ، والخرشوف ، والبطاطة ، والكرتب .
واعلم أنك إذا عملت بهذا الصبح .. فان التعب لا يعرف اليك سيلا .

فهني عطا الله

العلم والفلسفة

« الفلسفة » إحدى الكلمات الغامضات التي لا يجني الباحث فائدة تذكر من محاولة ضغطها في حدود تعريف عام . والفلسف هو السبيل الوحيد للوصول الى معنى حقيقي للفلسفة . ولما كان الناس على مذاهب شتى في طريقة تفلسفهم ، فلاغراية إذا قرأنا آراء مختلفة حول موضوعها ، ولا يجب إذا اختلف الناس حول تيمها الانسانية . والظير كل الظير في ترك مسألة تعريفها تتشكل في ذهن كل فرد كلما تقدم في الدرس والاطلاع . ونعمق في بحر الفلسفة المنبع الأطراف الصحيح الثور . غير أن هناك بعض الملاحظات العامة التي يجب ذكرها للفرقة بين الفلسفة وبين ثمرة نظية أخرى من ثمار العقل البشري ، وأعني بها « العلم » .

لم تكن الفلسفة والعلم على وفاقر تام دائماً . فالعدهاء بنوع خاص يستخفون بالفلسفة ، لأنهم عند ما يقارنونها بالعلم ، يظنون أنها حدى محض ، وتحمين صرف ، وأنها لا ترتكن إلى أسس ثابتة وحقائق واقعة كالعلم ، ولا يصل الباحث إليها عن طريق أغصاء معلومة حقيقية ، رهينة نتائجها بالانبيات العملي . ويبدو أن هذا الشعور العدائي بين العلم والفلسفة ، لم يكن متسلفاً في أي وقت مضى كما هو الآن ، ولم يجد منقلاً قوياً . وتعضيداً كبيراً إلا حديثاً ، وهذا العدهاء يعدّ تعرضاً للعلاقة التاريخية الطيبة بين المشكلتين العلمية والفلسفية .

وواقع أننا لا نستطيع أن نترق تماماً بين الفلسفة والعلم وسواء أطلقنا عن «طاليس»

Thales ومن خلفه لقب «فلاسفة» أو «علماء» فاننا لا نخطئ كثيراً . والقارىء غير
 في إطلاق أي التقيين عليهم كإنها علماء ميله . وقد كان تقدم الفلسفة والعلم وتطورهما منذ
 عصر طاليس إلى اليوم ، متضامراً ومتحدداً لدرجة لا يمكن معها فهم إحداهما تماماً دون
 الأخرى . ومعظم المصوّر الفلسفية العظيمة ، التي كانت أوفر محصولاً فكرياً وإنتاجياً
 ثقافياً من سواها ، استمدت ثمرتها من المكتشفات الحديثة عن طبيعة العالم ، وهي التي
 يعدّ العلم المسزول الأول عن كشفها . وقد يتخذ البعض هذه ذريعة لتعريض مقام العلم ضد
 الفلسفة ، والقول بأن الفلسفة طفيلية محضة ، تتخذ النتائج العلمية لفرض التعليل بمخيلات
 وهمية غير جائزة ولا مشروعة . ولكن مهلاً ، فإن في هذا إلا نواح كبيرة الشأن ،
 وتفاضياً عن نواح مهمة في الحالة الواقعية الراهنة . فبينما يرى أن الكثير من الأعمال العلمية
 التيسية هي دون شك من النوع اللواتي الصرف ، ولا تحاول أن تذهب إلى ما وراء الوصف
 بينما ترى هذا ، يرى أيضاً أن كبار العلماء لا يكتفون بهذا ، ولا يقفون عند هذا الحد .
 وهم في هذا كالفلاسفة ، يريدون أن يفسروا نتائج أبحاثهم متبعين طرقهم هم ، وهم
 لا يعدّون الوسائل التصورية التي شككتها التطلعات الماضية لحسب ، بل يعملون في كثير من
 الأحيان على تطبيق النتائج التي يصلون إليها على العالم ، بطريقة لا تختلف كثيراً عن طريقة
 الفلاسفة ، تلك الطريقة التي يوجه اليوم والنقد اليهم بشأنها .

وانبدأ بضعة يشترك فيها العلم والفلسفة معاً ، وهي أنهما ينتجان عن رغبة ذهنية زيرية
 في المعرفة للمعرفة ذاتها ، دون عناية بالنتائج المباشرة ، أو برأى لجائزة أو ثواب من وراءها .
 فالفيلسوف والعالم ، كل منهما يبحث عن الحقائق ويريد معرفة كنهها حتى يشبع رغبته
 الفكرية ، ويفضي عقله الجائع . الفيلسوف يبحث عن الحقيقة التي يعتقد أنها حق ، دون
 اعتبار للأراء المختلفة أو النظريات السائدة ، غير أن بعض الفلاسفة لم يتمكنوا من التخلص
 من القبول التي فرضتها عليهم بيئتهم ، واضطرّ البعض منهم إلى تغيير اتجاه تفكيره في هذا
 التيار أو ذلك تبعاً للاتجاه السائد . ولكن الفلاسفة السامية ، على أي حال ، هي مسألة ذاتية

محضة ، أي أن الفرد يفكر بعقله هو ، ويخلص من تفكيره بنظراته هو ، فيقال مثلا إن هذه فلسفة ديكارتية أو أفلاطونية أو رواقية ، نسبة إلى ديكارت ، وأفلاطون ، والمدرسة الرواقية . وكذلك العالم يبحث عن الحقيقة بكل جوارحه ، ولكنه يسلك طريقا مخالفا لطريق الفيلسوف ، وينهج نهجا آخر .

والفارق الأول بين الفلسفة والعلم ، هو فارق نسبي لا يمكن تحديده تحديدا ظاهرا ، ويمكننا القول أن الرجل يصبح عالما حينما يحاول تطبيق القوانين الرواقية ، التي تفسر الحقائق والأوضاع ، على العالم . ويدخل الرجل حدود الفلسفة طالما يأخذ على طاقته مهنة وضع آراء ونظريات عامة حول طبيعة العالم المصغى ، في جوهرها وكميتها .

والأخيرة تمثل مشكلة الفلسفة الأساسية ، وقد صاغها اليونانيون في قوالب كثيرة منها : ما هي الأشياء الحقيقية ؟ وحينما يسأل الفرد نفسه هذا السؤال ، ويحاول الإجابة عنه ، يصبح فيلسوفا . ولأن السؤال يفرض نفسه قرصا واضحا على عقل كل فرد يفكر تفكيراً زهياً في السلام ، يصعب من الناحية التاريخية الفصل بين العلم والفلسفة ، غير أننا نستطيع هنا أن نوسم حدوداً تقريبية تفرق بينهما . فإذا أراد شخص معرفة العلاقات التفاضلية ونسبها ، أو العلاقات الرقبة ، فإنه يصبح عالماً أو رياضياً . ولكنه إذا سأل نفسه : « ما هو الفراغ ؟ » أو « ما هو الرقم ؟ » ، أصبح فيلسوفا . وإذا أنكر شخص وجود أي شيء يستحق أن يُسمى « حقيقة » فإنه يكون قد أصبح فيلسوفاً .

والفرق الثاني بين العلم والفلسفة هو أن الطريق العلمي على الأساس ، إذ تطلق نظرياته عملياً على أشياء مدروسة . أما الفلسفة ، فإن طرقها ليست عملية . ويهتم الفيلسوف مادة بالنظريات والآراء ، وليس بالحقائق والوقائع . فالجزء الأكبر من مهنته يتعلق بقدرته على التحليل المنطقي ، وحينما نجد رجلاً يهتمون اهتماماً كبيراً بتحليل النظريات تحليلاً منطقياً وقد الآراء بالأسلوب ذاته فإننا نكون مصيبين حينما نسميهم فلاسفة . أما العلماء ، فإنهم

يقولون مثلاً إن الهواء الجوي خليط من الأكسجين والأزوت . وهذا الكلام ليس من تصورات عقولهم أو يدعي منظمهم ، بل هو ما أثبتته التجارب وأيدته الحوادث ، ويمكن لأجل المجهل الماهلين أن يرى بعينه بعد تجربة عملية بسيطة ، أن كلامهم صادق ، وادعاهم أهم في محلها .

أما الصفة الثالثة للهكاهة الفلسفية فهي صفة أضيقت نوعاً وأكثر تحديداً . العالم كالأرجل العادي ، يسلّم بأن لنا كمية محدودة من المعرفة ، ويحاول جهد استطاعته جعل هذه المعرفة أقرب ما يكون إلى التمام حتى يمكن الاعتماد عليها . أما الفيلسوف ، فإنه لا يعلم بهذا ويرى ما يُشغل فكره ، ويقالب تنابها عقله ، لسكي يتقلب من صدق هذا الإدعاء أو بطلانه . قبل أن يحكم على شيء بأنه حقيقي أم لا ، يجب أن يمرره في سُرْشَح دقته أولاً ويختبر الطرق التي بها تصير الحقيقة معروفة له كإنسان . لذلك كانت نظرية المعرفة منذ البدء ، عظيمة الشأن للفيلسوف . وإذا رأينا أنظار الناس معقودة على « المعرفة » أدركنا أننا في ميدان الفلسفة وليس العلم .

رثمة مشكلة أخيرة تتعلق بالفلسفة ، وهي أعظمها شأنًا . وهنا يصبح الفيلسوف على اتصال وثيق برغبات الناس وميولهم عامة . فكما أن عمل العلوم الطبيعية قد يكون معرفة الحقائق التي يهتم علم الطبيعة بها ، كذلك ميول الناس الاجتماعية والنفسية فانها قد تتخذ شكلاً طلياً وبدلاً من أن يسألوا عن طبيعة الكائن *being* ، يسألون عن طبيعة الخير *Good* والخير نفسه قد يكون نوعاً من الحقائق . وهنا تكون الفلاسفة قد انقلبت إلى ما جرىنا على تسميته « فلسفة الحياة » . وهذا يعني أننا قد اتخذنا ، مرة أخرى ، النظرة الدهنية النظرية الناقدة ، بدلاً من الاكتفاء بأنواع معينة من الخير كما يعرفها العامة . والخير هو الغاية العظمى التي عليها قامت معظم الفلاسفات العظيمة السامية ، وهي غاية لو تحققت ، لأعطينا حلولاً للمعضلات التي من أجلها قامت الفلسفة .

ربيع فلسطين

الطيور . Aves .

الاصطلاح من اللاتينية avis ومعناها طير bird

كل حيوان كسي ريشاً . والطيور تؤلف الشعب (Class) الثاني من شحوب الفقاريات ، أما الشعب الأول من الفقاريات ، فالثدييات . وكل طبقات هذا الشعب منسوبة إلى الزواحف (Reptiles) ، ولكنها تمتاز من الزواحف بأن دمها ثابت الحرارة ، وأن لها ريشاً ، وأن طرفيها الامامين قد تكيفتا لتتحولا جناحين لطيران .

ولقد يتم بين المصنفين الطيور إلى الزواحف ، ويفرود لها طبقة خاصة ، فيشربونها شعباً أعلى (Super-class) ويطلقون عليه اصطلاح (Sauropsida) تيميراً لها من الثدييات . ومن شعب أعلى آخر يطلقون عليه اصطلاح (Ichthyopsida) ويشمل الغوازيب (Amphibians) والاسماك (Pisces) .

ومن خواص الطيور : (١) الريش ، والريش بمثابة هيكل خارجي (exoskeleton) ليس ليرها من صفوف الحيوان ، (٢) دم ثابت الحرارة ، (٣) دورة دموية مزدوجة لكل الأذواج ، (٤) قلب تام التكوين ذو أربع فجوات ، (٥) فوس (أورطية) ذات البين ، (٦) رثان . (٧) مجار هوائية ، تمتد حتى تعبر كياساً هوائية ، وقد تصل منتظمة إلى داخل بعض عظام الهيكل (٨) تناسل بيضي ، (٩) استواء البيض على جزأين : جزء غذائي وهو الأكبر ، وجزء تكويني وهو الأخر ، وجزؤه الأكبر غذائي (Meroblastic) ويحتوي على مخ وزلال ومن يوتها بيض متين لمنظفها ، (١٠) أربعة أطراف ، تكيف الانتان القدمان منها فأصبحتا جناحين للطيران بما فيها من الريش الكبير ، والجزءان الاماميان منها قد عرضتا وتكثرتا فلم يبق في كل منها سوى ثلاث أصابع أثرية ، لا تخالب فيها ، (١١) أمتاط قد يكون التحامها كثيراً وقد يكون قليلاً . ومن الأرساغ رستان لها القدرة على الحركة عند البلوغ ، (١٢) عظم نسي كبير زورتي الشكل ، وعضلات صدرية كبيرة قوية ، (١٣) فقرات عجزية عظيمة ، وفقرات عضدية وعجب ، فقامت جميعاً ففارت عظماً عجيباً ، (١٤) عظام حرقفية ممتدة في الامتداد إلى الامام ، وأخرى حرقفية وعظمية امتدت إلى الخوا ، بنير مرافق مشحنة تنوسطها (١٥) تجويف مني منقب ، (١٦) مدار قنطرة ذو مفصلات تكون عند اتصاله بالعظام الحرقفية ، والشظية من تحت الفخذ غير تامة التكوين ، (١٧) عظم الكعب مشحوم بالفضة وله علاقة بتكوين القدم القاعدية ، (١٨) فم راسي يتوسط عظام القدم (١٩) عظام وظيفية (نسبة إلى الوظيفة) منها ثلاث ملتصقة ، وأصابع لا تزيد على الأربع . أما السلاميات فقد تكون ٢ أو ٣ أو ٤ أو ٥ عدا (٢٠) الطرقان المؤخران وقد أعدا للنسي (٢١) ليس للطيور التي نشأت في العصر الارضية الحديثة أسنان ، والتفكوك مطور عادة قرنية (٢٢) تطورت الطيور تطوراً مشابهاً منذ أول ظهورها في العصر الجوراسي (Jurassic) . أما تصنيفها ، فمن المصطلحات التي اختلف فيها تقات أهل النظر .

السيطرة على القنبلة الذرية

ماذا قال علماءها هذا الشأن

منذ رميت القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما وجنّست قلوب الأمم التكبري والصغرى لأنها صمرت في اللال أنه إذا لم يتغير الله قلوب الناس فالسالم كله على شفا الدمار . وكانت روسيا أشد الدول وجوفاً لأنها كانت تحس أن محالقتها مع انكلترا وأميركا ليست متينة ، وما هي بمخالقة صداقة خالصة . بل هي مخالقة نفعية مبنية على التوفيق بين المصالح حتى إذا ضعف هذا التوافق انحلت المخالفة ، فكيف بها إذا اختل التوازن بين قوتي جانبي الحلف بوجود القنبلة الذرية التي يحتكر سرّها جانب واحد . لذلك طلبت روسيا وفرنسا والصين أن تبرح انكلترا وأميركا لها بسرّ القنبلة ، وإلاّ فهن لا يأمنّ جانبها بل يحقّ لمن أن يشقّ الظنّ بهما . فامضى أن تكلم السر عن حليفتهما إذا كاتتا مخلصتين في المخالفة . وإلاّ فاتها مخالفة بين اللدب والأحمد .

واحتدم نقاش الدول الخمس بهذا الشأن الى أن اتفقنّ مبدئياً على أن يودع السر في مجلس الأمن الذي تنتخبه هيئة الدول الاحدى والخمسين المتحددة . وكان من جرّاء هذا التنازع على سرّ القنبلة أن اضطرب جميع مفكري العالم وصامتة لأنهم رأوا أن العالم يبقى تحت رحمة الدولة التي تحتكر هذا السر . وإذا ذلك يستقي توازن العدل الاجتماعي ويترزعع الأمن العام .

وكان الشعب الاميركي أشد الشعوب اضطراباً بسبب طلب الدول الثلاث الاملاخ على السر ، لأن هذا الشعب وهو صاحب السرّ الأول يفقد قوة الدفاع عن نفسه إذا انفضح السرّ لسائر الدول الكبرى أو للعالم أجمع . وهو يزعم أنه لا يريد العالم بقنبلته لأنه لا يطاع في أكثر من أن يكون أقوى الأمر بالدفاع عن النفس ولا يطاع الى فتح أو استعمار . فلهذا

لا يضمن اعتمادنا على حقوق الأمم الأخرى . إذن فلا خطر على الأمم الأخرى منه . هذا ما يزعمه الشعب الأميركي بل إن صانعيه وكبرائهم . ولكن الدول لا تطمئن إلى هذا الزعم إذا لم يكن تمت فيد لأميركا يحظر عليها أن تخون عهدها . ولو كان الصدق شيمة الدول لما صارت المواثيق الدولية منذ عهد غليوم الثاني قمامات ورق لا قيمة لها .

ثم اشتد اضطراب الشعب الأميركي واستحال اضطرابه إلى خوف حين صرح العلامة أوبنهايمر رئيس لجنة العلماء الذين صنعوا القنبلة أنه إذا أبيع مرة القنبلة للأمم الأخرى ثم صنعت أية دولة قنبلة ضخمة متقنة وهاجمتنا على غفلة قتلت منا ٤٠ مليون نسيم دفعة واحدة . فزع الأميركيون لهذا التصريح المرعب وقالوا : إذن فلا نسلم مرة قنبلتنا لأحد لئلا تقع تحت رحمة أية دولة طامعة بالسر . بل يجب أن نحفظه لآمتنا . واشتد توجسهم حين وأوا أن التجنيد عندهم لا يزال جارياً كما كان في زمن الحرب ، والترصانات لا تزال تصنع البوابج وملحقاتها ، ومعامل الطائرات الحربية لا تزال تصنع طائرات كأن الحرب التالية على الأبواب .

ورجال الحرب لا يفكرون الآن إلا في كيف يستعدون لكي يكسبوا الحرب القادمة لا في كيف يدافعون عن البلاد . وفي رأيهم أن القنبلة الذرية ليست إلا تومماً في السلاح فإذا لم يكن لاعدو قنبلة مثلها فعنده التنازل للطائرة والصاروخية وغيرها من الأسلحة الجهنمية فكسب الحرب لا يقتصر على القنبلة الذرية وحدها .

ويقترح النائب كلاي روث لوس أن تكف الحكومة الأميركية عن التخط في هذه المسألة وفي معثون الجيش الحربية والبحرية والجوية وأن تقصر همها على إنشاء غاري عميقة تحت الأرض ضد قذائف الطائرات والتنازل الماروخية والطائرة والذرية وغيرها لأن سر القنبلة الذرية لن يبقى مكتوماً وإن لم نبيع نحن به فالأمم الأخرى تبحثه وتهتدي اليه . ويقترح آخر أن تخرج المدن الكبرى إلى مدن صغيرة مشتقة لكيلا يكون التدمير بالجملة . وهو مشروع يكلف الأمة مالا جماً .

وقد زاد مشهورهم أفضة أن رئيسهم ترومان صرح بعد ذلك في الكونغرس أنه لا يعتقد أن أميركا تستطيع أن تحتفظ بالسر لنفسها . ولذلك يرى أن يفاوض الدول في جمل السري

عمدة هيئة دولية عليا . ومن ثمت انتهت المفاوضات بين الدول الحس الكبرى بأن يودع السري في عمدة مجلس الأمن الدولي بشروط وتبوء وعهود وثيقة .

واقترح العلامة الدكتور هارولد أوري أن تفرض هيئة الأمم على كل أمة أن تبلغ الأمم الأخرى عما يحدث عند علمائها من التقدم في بحث الذرة وفي أي بحث علي يمكن أن يستعمل في التسليح ، وأن تعين لجنة من العلماء للتفتيش في المعاهد العلمية الدولية . ولكن ليس كل العلماء يعتقدون أن التفتيش يمكن وأنه يضبط كل سر علي .

وأما رجال السياسة فيعتقدون أن أفضل حل لمسألة اتقاء الخطر من القنبلة سواء كانت مع أميركا وانكلترا أو مع غيرها هو أن تكون الأمم جمعا دولة متحدة وأحدة تسيطر سيطرة صوموية على كل قوة علمية واجتماعية واقتصادية . ولكن ان أمكن تحقيق هذا الحلم فبالطبع تكون الأمم كلها أمة واحدة والأمة الواحدة لا تقاقل نفسها . هل يتحقق هذا الحلم السعيد ؟ ومتى ؟

على ان هيئة الأمم المتحدة التي تمخضت عنها هذه الحرب الشواء يمكنها أن تقوم مقام الدولة المتحدة المقترحة بل هي دولة الدول ولاسيما لأنها ستكون مسلحة فتستطيع السيطرة بكل أمانة . والقنبلة تكون من جملة أسلحتها - اللهم إذا كانت نيات رجالها صالحة .

وفي ابلن هذا الصراع السياسي حول هذه القنبلة المجهتية كان بعض البارزين من العلماء والساسة وأصحاب الأشغال يقترحون أن يتولى البحث الذري جماعة من العلماء يتقيدون بقواعد تحد من حريتهم في البحث . وعليهم أن يخلصوا اليقين بأنهم لا يبوحون لأحد بما ينتج من أبحاثهم .

وكان من جراء ذلك أن كثيرين من ذوي الرأي يلقون مسؤولية القنبلة الذرية على رهط العلماء الذين اشتغلوا بها . أي انه إذا أصاب أميركا ضرر من جرائمها كانوا هم سبب هذا البلاء .

وكيف يكون جزاء سناز غير هكذا ؟ لما كان العلماء يشتغلون في تحطيم الذرة أو فلنقلها لم يكونوا يعلمون أن المطلوب من بحوثهم اختراع قنبلة تدمر البلاد فلا تبق ولا تترك . بل كانوا يظنون انهم يشتغلون في مهنة علمي على حساب الحكومة لكي يتوجهوا الى اختراع

الطاقة من الذرة لأجل الاتفاع بها كما انتفع العالم من استخراج القوة من البغاري والكهرباء وسائط الماء الخ . قتل الناس في آفهام العلماء باضرار القنبلة الذرية كمثل العمال الذي تقموا على العلم لانه أفضى الى اختراع الآلات المختلفة التي حلت محل العمال . فقالوا : لعنة الله على العلم وعلماؤه . فهو سبب فقرنا وغنى أصحاب المعامل وجهلنا أن سبب فقرهم هو النظام الرأسمالي . هكذا حظ علماء الذرة من علمهم أن يلقي العالم عليهم تبعة خراب العالم . وهم ، يا غافل لك الله ، لم يكونوا الا قليلهم يدرون أنهم يشتغلون بصنع قنبلة ذرية . وما علموا ماذا كان يرمي اليه بحشهم الا حين مسحت القنبلة الأولى هيروشيا . والى الآن لا يعرف سر التقنية التكنيكي الا بضعة منهم يقال انهم لا يتجاوزون البضعة الصغيرة . فذلك هبت ثمانية من كبار العلماء يدافعون عن زملائهم وعن حريتهم في البحوث . وكتبوا ونشروا مقالات الدفاع . واتجهت آراؤهم الى الكونغرس (البرلمان) اذ تقلمت اليه في شهر مايو لائحة بشأن السيطرة على سر التقنية الذرية . وكان منهم جميع العلماء الذين اشتغلوا بالذرة في جامعة شيكاغو . ثم اختارت من بينهم ثلاثة من هؤلاء العلماء الكبار لكي يصوغوا مذكرة دفاعهم ، وهم دكتور العلوم والفلسفة : دايثد هل ، عالم طبيعي ، ووجين راينوتني عالم كياوي طبيعي ، وجون ممبسون . عالم طبيعي ببحاث في نواة الذرة . وهاك ملخص مذكرتهم : -

كان العلماء يتوقعون أن تكون نتائج بحوثهم معمرة لا مدسرة ، وترمي الى سعادة الجنس البشري . وكانوا يجتهدون أن تصبح سيطرة الانسان على مواد الحرب في خير كان وفي كل حال لم يكن العلماء مسئولين عن نتائج أعمالهم إذا وجدت الى التدمير لأن هذه المسؤولية تلقى على طائر حكومات بلادهم .

وهناك سببان جوهريان لاخلاء العلماء من كل مسؤولية . الأول : لم يلقي أحد على علماء الزمن الماضي مسؤولية قط عما نتج من مباحثهم من قوات التدمير كالتفجرات وسواها وان كانت لهم اليد الطولى في اعتقادها . ولم تنتج القنبلة الذرية من عقول العلماء الحاليين فقط بل تقدمتهم عقول علماء سابقين من عهد نيوتن الى اليوم كانوا يبحثون في الذرة فنتج رجال الحرب ال أن في الذرة قوة هائلة لم يحبها العالم من قبل . ولو لم يقتنع رجال الحرب بعظم

بذرة القوة لبقينا في دور البنديقية والمدفع والقنابل الماروخية والطائرة .
 الثاني ان نجاح صناعة القنبلة الذرية يختلف كل الاختلاف عن اكتشاف البارود
 والديناميت والغازات السامة حتى عن الرادار . القنبلة الذرية هي أول خطوة خطاها الجنس
 البشري في خروجه من العالم القديم الذي كان يسمى العصر الالكتروني (الكهربي) الى
 عصر جديد يسمى العصر البروتوني (الكهربي) أو عصر نواة الذرة .
 ان العصر الالكتروني صاحب الفضل في نجاح الأعمال الكيميائية والكهربائية ، في
 بدتنا ، وفي معامل الطاقة ، وفي آلاتنا ومراريتنا . وأما قوة نواة الذرة فهي مرّ حياة
 النجوم وموتها .

(ولهذا القول شرح طويل عريض أتى أن أشرحه إذا كان مجال المجلة يسمح به)
 الظاهر لم يوحوا السياسة السامة ، ولا أرعدوا رجال الحرب الى وسائل افلاك والتنصير
 بل هم أمانوا الانسان في الخطوة الأولى للعالم الجديد الذي نحن بصدده - طلم الذرة -
 وعليهم تحذير الانسان ونصحه الى أن يدرك أخطاء هذا العالم الجديد فيما هو يندمخ من
 عجائبه . لقد طاش العلاء مع القنبلة الذرية بضع سنين وفكروا بمستقبلها وما تنطوي عليه من
 الشر والخير فجنس البشري قبل أن ينهم العالم غيثاً من هذا فن واجباتهم وهم يطولون
 خطرهما المائل أن يسيدوا أبناء الناس الى احضان والديهم سالمين وان يبلغوا التحذير من
 الخطر الى جميع العالم .

من جهة واجباتنا أن ننبسط آراءنا فيما يختص بسلامة شعبنا وسائر شعوب العالم .
 فلنشكر في الامثلة التي لاحت في أبواب الناس وتساءلوا فيها بشأن هذه القنبلة وما يقتضيه
 الدفاع الوطني ، وندرسها ونجاوب عليها .

١ - هل يمكننا أن نضبط السر ؟

يتراءى للكثيرين ان للقنبلة الذرية وصفة Formula سرية يمكن الخائن أن يعطيها
 لجاوس لقاها ممن أو ان الامين عليها يتلعبها اذبل أن يقتصبها منه جاوس .
 والحقيقة انه ليس لها سر أساسي يحفظ أو يعطى . ولو أمكن ان يتلوا ان يقول سنة ١٩٣٩
 دون طبع الرسائل الأولى التي كتبت عن تحطيم الذرة لقيت المانيا وفي ألمانيا مادة نواة

معرفة سر القنبلة . لم يفلح هنتر تلك الرسائل لأنها لم تكن كلها تحت يده في ألمانيا وإنما هو اضطر بعض محرريها من العلماء وشرّهم وطردهم فقرؤوا إلى إنكلترا وأميركا وصنعوا ما كان يتمنى هنتر أن يصنعه له لو عقل ولم يركبه الغرور الأهوج . وكان من حظ العالم أن هذا لم يحدث وإن الحقائق العلمية الأساسية بهذا الشأن كانت في أيدي علماء أوروبا وأميركا حين شبت الحرب .

لما ابتدأت الحرب لم يكن لغير الولايات المتحدة القوة العلمية والمعدات التكنيكية والأمان من تحايل العدو لتحويله دون استعمال هذه المعدات بالقدر الكبير الذي يكفل النجاح فضلاً عن البذل سخاء كلي لأجله . وأما المهالك الأخرى فلم يكن في وسعها إلا أن تقتصر على المعامل التجريبية أو الثقافية في البحث والعمل لهذا الغرض أو لاستخراج الطاقة . وقيل أن طرح القنبلة الأولى لم يكن علماء المهالك الأخرى يظنون أن في الامكان توسيع المعامل البسيطة الاعتيادية إلى معامل عظمى مهيباً لتخطي كل عقبة تقوم في الطريق . ولكن لما حدث الانفجار في هيروشيما اضطر ذلك الظن ولم يبق شك في أن هذا المشروع الضخم يمكن عملياً ونبتت به صحة النظرية الالكترونية .

أطلقت وزارتنا الحربية والحكومة البريطانية أيدينا في الصل وجهدتنا بكل مادة وقوة لازمة له . فكنا نفضل أحراراً . وكذا شركاؤنا من الدولتين يطلعون على أعمالنا وتتأجها ولم تكن الحكومتان لتبوح إلا بالنتائج السطحية . وأما الأمور الجوهرية بقيت محفوفة معنا . وقليلون منا هم الذين كانوا يطلعون عليها ، ولكن هذه المحفوظات عندنا لا تسمى سراً وإن كانت مكتومة عندنا . فيمكن الأمم المتنافسة في بحث الطاقة الذرية أن تتصل إليها أو إلى ما يضارعها إذا بذلت المجهودات العلمية والمادية والمالية بضخامة عظمى كما بذلناها نحن على أن اطلاع الذين يحاولون هذا العمل الشاق على أشياء من معلوماتنا يوفر عليهم كثيراً من المجهود العلمي والعملي ويختصر طريقهم إلى النجاح .

أعدنا ثلاث سنين في تحويل المعلومات النظرية إلى التطبيق العملي . فجميع النظريات العلمية تمحصت وخلص عنها حتى صفت منها القنبلة الذرية ، فأكدت صحة النظريات العلمية الأخيرة .

فذلك نظن أو نعتقد أنه في بحر ثلاث سنين أو خمس على الأكثر يتسنى لكل أمة تشتغل
بجد أن تنجح في صنع القنبلة الذرية. لأن المعلومات عن تركيب الذرة وحركتها جسيما
وركيز الطاقة فيها كانت معلومة وأصبحت شائعة
إذن فلا أهمية كبرى لكم السر.

٢ - هل يمكننا أن نحتكر المواد الأولية ؟

لكي نستطيع احتكار صنع القنبلة الذرية يجب أن نحتكر مادتها الأولية. يجب ان
تكون مناجم الأورانيوم تحت يدنا دون غيرنا. ولما كانت المناجم مشتتة في جميع بقاع
الأرض فلا يمكننا أن نملكها إلا بالفتح الحربي الساحق. فهل يمكننا أو يمكن غيرنا هذا ؟
كندا وبلجيكا تملكان أهم مصادر الأورانيوم التي كانت معروفة قبل الحرب. تشكولوا كيا
تملك مناجم منت جو هيستال القديمة. وقبل الحرب كانت روسيا تستخرج قدراً كبيراً من
الراديروم وهو ابن الأورانيوم. وبعد ذلك اكتشفت مناجم الأورانيوم في أماكن أخرى
وسيكشف غيرها. والكرة الأرضية واسعة فلا يمكن أن تكون بقاها الأخرى محرومة
من هذا المعدن. وحيثما يوجد منجم رصاص يوجد معه منجم أورانيوم على الغالب لأن
الرصاص هو رمد الراديروم والراديروم هو وليد الأورانيوم بعد أن ينتهي إشعاعه.
إذن فلا نحن ولا بريطانيا نستطيع أن نجرد الأمم الأخرى من حق الحصول
على الأورانيوم.

٣ - ألا يكفي أن تكون لنا الزعامة في التوسع باستخراج النورة ؟

نحن لا ننافس في الأسبقية أو الأولية في استخراج الطاقة الذرية. وإنما نحن نذكر أن
هذه الأسبقية تقدرنا على الحصول على الأمان المطلق من غير إحدى الأمم الأخرى بنا
ان التنافس في التسليح الذري هو غير التنافس في التسليح البري أو البحري أو الجوي.
ففي هذا الضرب من التسليح يمكن الدولة الواحدة أن تبرز الأخرى فتبني مثلاً بارجتين في
حين أن الأخرى تبني واحدة فقط. وأما التسليح الذري فلا يستعمل إلا لتدمير كيبرات
المدن ومعامل التسليح. فذلك إذا كان لسر من العدو تيز قابل ذرية كافية أمكن كلاً منهما

أن تتيح الأخرى عن وجه الأرض في وقت واحد . إذا فالقنبلة الذرية لا تضمن سلامة المعتدي عليه ولا المعتدى .

القوة الصناعية التي عندنا وقد حسنت الحرب في ساعة واحدة لا يحسب لها حساب كبير في حرب أخرى إذا كانت معظم الدول تمنع القنبلة الذرية مثلنا . وإذا كانت نتيجة التدمير الذري تحدث في ساعة واحدة في الجانبين فلا تتوقف على كثرة ما عند الواحدة من القنابل أو قلته دون الأخرى بل تتوقف على الضربات الأولى في الساعة الأولى . وهي ميسورة لكلا الجانبين . إذن الحرب الذرية لا تكون حاسمة بل تكون فناء متبادلاً (رحمة الله على ذوي السلاحين مقدماً) .

بناء على ما تقدم نقول أن دولة كأميركا ديموقراطية محبة للسلام وتكره الخصاص ، هي أمة صناعية من أول درجة ولكنها مترامية الشراطين متجمعة في مدن ضيقة . إذن فهي في ظروف غير آمنة في حالة الحرب ومصاحبتها تقضي عليها بالمحافظة على السلم العالمي على الإطلاق . فلا يمكن أن تعتدي على أحد .

٤ - هل الخوف من الانتقام أو من الاعتداء يمنع الحروب الذرية ؟

إذا كانت أمة تخاف من اعتداء أمة أخرى عليها للانتقام أو لتوجيهها منها فتستعد للهجوم المفاجيء عليها لئلا تسبقها هذه على حد قولهم الضربة لمن سبق ، فعالم مملوء من الايجاس والتخوف من المفاجآت العدائية يدع الجو السياسي مكفهراً على الدوام ويجعل العالم في أزمة عاصفة لا نهاية لها . فكيف يعاش في عالم كهذا ؟

هذا التخوف يجعل جميع الأمم دائمة النشاط في صنع القنابل الذرية إذا كان سر القنبلة مفضوحاً وصنعها مباحاً بلا قيد ولا شرط .

٥ - هل تمكن الوقاية من القنبلة الذرية ؟

في الحروب الماضية ولا سيما الأخيرة لم يكن انتقاء سر الاممحة المربية كديماً لوقاية ولا كان منتظراً أن يتحسن أحسن مما كان . وأما في نظرب الذرية فلا يمكن تحسين الوقاية بشيء

حتى ولا بالمخاض (الأ إذا كانت عميقة جداً) كما علمنا من نتيجة ضرب هيروشيا وكازاناجي فقد انتفضت الأرض انتفاضاً بما فوقها وتحتها .

وحتى الآن لم تلح في البال طريقة خاصة لهدف القنبلة الذرية وهي في الجمر قبل أن تقع على هدفها . الوقاية الممكنة هي تدمير حاملة القنبلة وهي في طريقها قبل أن تصل إلى مقصدها . ولكن لما لم يكن من علم سابق بقيام طائرة حاملة قنبلة ذرية، إما لأن الحرب شبت فجأة من غير سابق انذار أو لجهل مكان قياسها وأهدافها . فليس من السهل أن تُضرب حاملة القنبلة قبل وصولها إلى هدفها . وإذا كانت الصواريخ السريعة بحملة قنابل ذرية وهي مقذوفة إلى فواحش مختلفة متعددة فلا وصيلة لاقتائها حتى ولا لاكتشاف سيرها بواسطة الرادار أو أية وصيلة أخرى .

فالطريقة الفضلى للوقاية هي أن كل أمة تشتت مصانعها وتفرقت مدنها حتى لا يكون التدمير شاملاً . وهذا أمر متعذر في هذا الجيل .

اذن فالنتيجة القصوى هي أنه ما من أمة كبيرة أو صغيرة قوية أو ضعيفة تستطيع أن تتقي شر القنابل الذرية . لذلك ستكون كل حرب قادمة حرب فناء . فلعل هذه الحقيقة تصد الناس عن الحروب وترغم الأمم على الاتفاق والدول على تسوية المشاكل بالوسائل الودية .



٣ - هل يمكن أن يتقيد استعمال القنبلة الذرية بقانون دولي ؟

قياساً على اتفاقات نزع السلاح بين سنتي ١٩٢٠ و ١٩٣٠ وميثاق كيلوج لجعل الأعمال الحربية والاستعدادات لها مخالفة للقانون الدولي لا يمكن أن نطمئن أمة على مستقبل سلامتها إذا احتمت بمعاهدات دولية مهما تأيدت هذه المعاهدات بالأياميين الرهيبة بغية أن تقضي من الساحة الدولية شبح « الحرب الذرية » وتترك تنفيذ هذا العهد لضوائر الدول التي وقعت عليه . لا معاهدة بشأن تحديد التسليح وتقييده أو القضاء بالتسلح الذري على الإطلاق يمكن أن تعتبر عهداً موقراً مقدساً خبير بشأن إذا لم يزيد بسيطرة فعالة لمنع كل محاولة لمخالفة العهد الوصيلة الوحيدة لصداقة أمة رعناء . تدمير حضارتنا الحالية هي اقمة سيادة دولية

مشتركة عامة على صنع الطاقة الذرية في أي مكان على الاطلاق . ومنع صناعة التقنية الذرية
بتاتاً لا يمكن أن يجعل استعمال التقنية الذرية جريمة مخالفة للقانون الدولي ، بل يجب أن
تتم سلطة دولية نافذة للسيطرة على الطريقة التي يتصم بموجبها أن لا تشغل معالم الذرة
الألا استخراج الطاقة للاعمال النافعة ، ورغم كل أمة أن تحترم هذا العهد .

بيد أن محاولة إقامة هذه السلطة وإنشاء هذا النظام تخلق قضايا أو مشاكل دولية
جديدة لم يسبق لبعضها وجود في تاريخ علائق الامم قديماً . ويجب أن تنحصر هذه المشاكل
جيداً قبل أن تتخذ الولايات المتحدة خطة سياسية في علاقاتها الخارجية ومقرها الداخلية
ان جمعية العلماء في شيكاغو أو في بلدة « جرف البلوط Aok Ridge » (حيث كان العمل
الاكبر في التقنية قائماً على قدم وساق مدة ٣ سنين) كانت تعارض في كل تشريع بشأن
الطاقة الذرية (لا التقنية) قبل أن تجري التحقيقات البرلمانية من كل قبيل . ان السياسة
الحكيمة الراسخة يجب أن تؤسس على الرأي العام المطلع على حقائق الامور ويجب أن
يصوغها الكونغرس (البرلمان) بعد أن يطلع على كل سمكيات العصر الحديثة والمعقدة .

يسأل انفساء كيف يكون الامر في حالة الهاس آية أمة أو أي عالم أن يسمح لها أو له
بالاشتغال في استخراج الطاقة الذرية للانتفاع بها في حالة السلم .
وجوابنا أن هذا يتوقف على أية درجة بلغ اليها خور العالم من عهبة الحرب الذرية ،
يمكننا أن نوجه أظنارنا بثقة ال المتسارع التي تأتي بواسطة منتجات العناصر الاشعاعية
الراديو جرافية التي تصاف ال العلم والصناعة والطب الخ مادامت المعامل الذرية الصغيرة
تكفي لتكوين العلماء والأصحاء والمهندسين والمدرسين والآلات والمواد اللازمة .
انه في عالم حرّ من الخوف من الحرب يمكن أن تعطى حرية تامة للتوسع في مشروعات
النافعة الذرية بالقدر الكبير .

غورلا المراد

دون جوان العرب^(١)

عمر بن أبي ربيعة

مهذا الى الصديق الاستاذ حسين الزروبي
تحية اعجاب بقوله : « ان الفنان
يُحيل أحداث حياته الى فن كما يحيل
التحلل وين أزهار الحفول الى شهد »
محمد نسي

عمر بن أبي ربيعة من الشعراء التقليديين في الادب العربي الذين يتميزوا بشعرهم بالصدق وقد أكثر في شعره من وصف طليحات العرب المترفات والتشبيب نهن وكثيرت غزواته لتغريب حتى كان له من الذبيرة وديوع الصيت ما جعله على أئواء الناس في عصره فانتفى الكثيرون من الرجال بشعره ومن النساء بتخصه . وقد تمجبه المؤلف في هذه القصه بمد البعث في الدار الآخرة

الفصل (١) . المنظر (١)

منظر الفردوس في الصباح حدائق وبساتين مزينة أجل زينة احتفالا بقدوم عمر بن أبي ربيعة الى الجنة
بدا اطلاق سراحه من النار وجامات الخالدين وأكثره من نساء الانس في طرب وحبور حيث تمتع
موسيقى وانغام وأصوات مركب قدم على البند . ويرى في جانب المسرح بعض من حور الجنة وقد اجتمعت
لشاهدة المركب.

حورية لأخرى - أنظري يا سندس ما كنت أعتقد أن الانبيات ذوات الخضر يُسدين كل
هذا السرور !

سندس - استعصي يا فتوة لسفاجة غميدانه ... ذوات الخضر؟ .. أن تزواتن
لاحد لنداها . . .

حورية أخرى - (بغمة عين) حيا اليوم !

حورية - كم انتظرن هذا اليوم بفارغ الصبر !

(١) من كتاب قصص « دون جوان العرب » يمدد قريبا : تأليف الاستاذ محمد نسي

- حورية لآخري — (بغمزة ذات معنى) ليحفظن بقدم من كان أغيراً لديهن في الدنيا
- حورية — يقال إنه سيأتي الخلد بنوع طريف من الحب .
- حورية — وقيل إن في هذا الحب شقاءً لذيذاً
- حورية — بل سمعتُ إنسيبة تقول إنه سيوقد في قلوب الغيد ناراً . . .
- حورية (بفرح) — نار ؟ . . . أعوذ بالله . . . قد نجانا الله منها .
- حورية (باسمة) — نارٌ بيضاء يا غبية !!
- والنار الأخرى ؟
- تلك حراء تحرق الأجسام أما نار الحب فتطهر القلوب (ثم تسحك)
- حورية أخرى — سمعتن يتحدثن عن نار ذلك الحب بأنها عديدة الألم شديدة اللذة معاً
- هي الجنة والنار في آن !!
- أخرى — الجنة والنار من خلق الله سبحانه !!
- أخرى (باسمة) — جنة ونار القلب يا غريرة . . .
- أخرى — والله لتصيرن في الخلد فتنة !!
- أخرى (ضاحكة) — فتنة للذيذة !!
- وهنا تكون ضجة الموكب قد اقتربت وتُدعِ موسىب وغدا . وأموات تهليل وفرح
- حورية (بفرح) — ها هو الموكب قد أقبل .
- حورية لآخري — أنظري إليه يا مفان أنه هناك على فرسٍ أشهب يحف به الخالدون .
- مفان — آه . . . ذلك المشرق الوجه معتدل التوام !
- حورية أخرى — إن ملامحه تنطق بكل معاني التَّسَلُّب .
- حورية — عجياً وإنها لترداد مع التأمل فتنة !!
- حورية — يقولون إن حديثه فنونٌ من السحر .
- حورية — والأخطار منه معاشرته إذ سمعت أنها كالنار من مسّته تركت فيه وشماً
- إلى الأبد .
- حورية لآخري (بلهفة) — ها هو ينتم أما ترين ثيابه المكسورة ؟

- — — إنها لتزيد ملاحه .
 حورية — يقولون انها كسرت في حادث غرام !!
 حورية — هُجس .. ها هو الموكب قد شارف الربوة انظري يا سندس اليه وقد
 ترجل تأمل مشيته !
 سندس — كم ترحي بالجلال والمهابة !
 غيدانة — يقال إنه من أنبل عائلات قریش

(وهنا يدل الموكب الى ربوة من وادي الخلد حيث يجلس عمر بن أبي ربيعة على الارائك تحت
 ظلة من ظلال التردوس وقد أقبل عليه حبيباته في الدنيا سلام)

- تتقدم إحداهن — سلام على ابن أبي ربيعة : —
 عمر (متهللاً) — أهلاً هند . أنت هنا ؟ شكراً لله . . . ما كل هذا الحُسن ؟ أتشعلينها
 أيضاً في الخلد فتنة ؟

- هند «ضاحكة» — في كل مكان . . . هذه رسالتنا
 أخرى — سلام على ابن أبي ربيعة .
 عمر — والتريا ؟ أهلاً بربة الدلال . ما أسمدي ! (ثم متهدداً) إيه قمر يا القلب !
 أخرى — سلام على السعري !
 عمر — يا مرجحاً بنعري . . . سلبت ودام صخر لحاظك !
 عائشة — حلّ الربيع بالتردوس يا أبا الخطاب .
 عمر — أهلاً أهلاً بربيع الحُسن وقتنة البدو والحضر !
 عائشة «ضاحكة» — هكذا ؟ ما زلت أنت هو أيت . . . ليس في الخلد مكان اشباك
 إغرائك ؟

- عمر (بأسماً) — بل في كل مكان حينما يوجد الحُسن « ثم ضاحكاً » هذه رسالتنا . . . !
 (عمر ملتفتاً الى بعيد ثم منادياً) — أقبلي أقبلي يا حباية ما أكثر وفاءك
 فلقد روّيت التراب بدموعك حُبونا على فراقي الدنيا .

حياة «ضاحكة» — أنا... من أخرك؟
 عمر — لا تُسكري... هنا تتكشفت القلوب... هيا تناولي برادسرك وناقينا
 خمر أنعامك !!
 عمر ملتفتاً: ثم «ماتفاقي دهشة» — والرباب هنا؟ أهلاً أهلاً بقُربة عيني... الآن طلب لي
 الخلود...!

(الرباب تختبئ بسرعة خلف خيمة من عائل الجنة)

(في الجانب الآخر من المسرح)

حورية لآخرى — أ رأيت تلك الأنسية؟ ظننت تتبرجج له يفندون الاغراء إذا ناداها
 اخفتت في الحائل.

حورية (بتهمك) — هكذا كان شأنن في الدنيا

حورية — وهذا كن يستترن أقوى غرائز الرجال

حورية — هيا نجرب ذلك هنا.

حورية — لم يأمرنا به الله.

حورية — الله أمرنا أن نمتنع الخالدين وهذا ما يزيدم متعة.

حورية — ولكنه شيء جديد. ربما لو فعلناه خالفنا ارادته سبحانه

حورية — كلاً... لاننا لو فعلناه فعناه انه كان مكتوباً في الازل.

حورية — أنا لن أفعل.

حورية — أما أنا فسأجرب

أخرى — هس... ها هي حياية بدأت تغني

: وهذا يسع توقيع موسيقى ثم غنة من شراير أي ربيعة

ما بال قلبك ما يزال يسهجه ذكر عواقب رغبين مقام

ذكر التي طرقتك بين ركائب عشي بمزهرها وأنت حرام

(ستار)

المنظر (٢)

(تسمع موسيقى ساحرة بضع لحظات قبل رفع الستار ثم يرتفع الستار قليلا قليلا (والموسيقى تنزف) عن
هو بديع في فيلاجية وسط غائل الجنة حيث يشاهد عمر بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه بالدين في
سرح وحيور في مجلس شراب أمهم الكزوس والزهود والراحين وحولهم الولدان المخلدون في ملابس
رامية فاتية يحملون الدخان والابريق مرسية بالجواهر والبواقي ويرى في صدر البهو مسرح تجلس عليه
الفرقة الموسيقية تنزف ألحانها وحياة ممتدة عودها حتى ينتهي للفرقة)

الجميع (في تهليل) — بديع ! بديع . . .

أخذ الجالسين لآخر — أتدأضني قدوم ابن أبي ربيعة على الملأ فتنة وأي فتنة !
فان — لقد كان احتفالناً بقدومه الأسبوع الماضي رائعاً
ثالث — سيكون احتفالنا به اليوم أروع !
آخر — لقد بدأت حياة !

(حياة تبدأ تنفي من شعر ابن أبي ربيعة :)

ركدت يوم الرحيل أقضي حياتي ليتني رمت قبل يوم الرحيل
ما أطيع الكلام من لغة الوجد ودعمي ييل كل ميل . . .

(الجماعة يبدون إعجابهم الشديد)

أحمد — إيه يا حياة . . . أسعدتنا . . .

نان (وقد مدت ذراعيه موجهاً إليها الخطاب) — باقة يا ساقى الأرواح (حياة تلتفت إليه)
روى ظهرك !

حياة (تتشم وتجبب بانحناء خفيفة برأسها) — . . .

(ويبدو لحظة تعود الفرقة لفرق تنير حياة اللحن وتنفي من شعر ابن أبي ربيعة)

كتبتُ اليك من بلدي كتاب موكب كبر

كثيبر واكفر العيسين بالمرات منفرد

يؤرقه هيب الشوق بين السحر والكبد

فيمسك قلبه بيد ويمسح دمه بيد

(ثم يسدل ستار مسرح البهو بينما الجماعة يبدون الإعجاب الشديد)

أحدم (بعد لحظة) — هذا والله الذي فعل بقلوب الغبيد الأفاعيل !
 آخر (باصفاً موجهاً الخطاب لعمر) — هذه بعض ريق سحر ك يا ابن أبي ربيعة
 ثان (ضاحكاً) — بل بعض قنات سحر ك أيها السبل !
 ثالث (ضاحكاً) — صلّ الفواني . ها . ها . ها (الجميع يضحكون)
 أحدم (رائعاً كأسه) — املاً أيها الساقى
 الساقى (أحد الوالدان الخلدن وقد أسرع) — لبيك مولاي (ثم تسمع فرقة صبي
 الحمر في الكؤوس)

آخر (رائعاً كأسه) — لنشرب هذه على قول ابن هاني :

واشرب على الورد من حمراء كالورد !

(الجميع في مزح ها ها ها ثم يشربون)

ثان (وقد أنزع كأسه) — هلم يا ساقى (يسرع اليه أحد الوالدان الخلدن)
 الساقى — لبيك مولاي ! (ثم تسمع فرقة صبي الحمر في الكؤوس ثم تلامس الكؤوس)
 الثاني — (وقد رفع الكأس الى فمه) وهذه على قوله :

لومها حجرٌ مسته سراء (الجميع يضحكون ويشربون)

أحدم لعمر — والله لست أدري أيها اللذ . أخرتك وابن هاني أم حرة الساقى ١٧ ..
 ثالث — (وقدمت يده بالكأس لساقى) أما أنا

فاسقني حتى تراني أحسب الديك حمارة (الجميع يضحكون ها ها ها)
 آخر: لنفسه (وقد أفتقت الحمر لسانه وبدأت تلعب برأسه) — الحمر .. الحمر .. يخيل
 لي أن لصاً كان قد سرقها من الجنة وفرّ بها الى الأرض !

أحدم (هاقماً) — ياله من لص !

آخر — فلنشرب نخب ذلك اللص (الجميع يضحكون ثم يشربون)

أحدم (عناطياً عمر) — ما عهدتك يا ابن الخطاب في الدنيا من عشاقها .

آخر — دهشاً — لم يكن من عشاقها ؟ ان لكلامه رنين صحتها في الكأس .

ثاني - بله زوّج رحيقها حبّ على الشارين !

آخر - بل ما أخله إلا رحيق العُسن عَسَق في دنان الشعر !

عمر - هدهد - أنا خري. كانت لم تسمها يد قاطف ولا حاصرا

أحدم - (متسائلًا) عجباً؟ وأي خمر تلك يا ابن أبي ربيعة؟

عمر - سحر العيون في كاهات المُدَمَّل وخمارات القُدود على جمر الفؤاد !

المتسائل (وكأنما قد تذكر) - آه.. تلك خمر (م صائغًا بحرفة) جهنمية !

الثالث (في تلثم السكر وقد مدَّ عنقه بشدة نحو عمر) - ومن أين سرقها؟

المتسائل (صائغًا) - من الجحيم ! (الجميع يضحكون)

(وما تسمع ضجة ونبلة خارج المجلس بين جمع من النساء)

عمر - ما هذه الضجة؟

أحدم: لعمر (وقد أطلّ من شرفة البهو)، الحور يُردن لقاءك وصاحباتك الانسيات يمنعن

عمر (ضاحكًا) - دائماً النساء هنّ النساء !

آخر (في دهشة) وقد أطلّ من الشرفة - ما أبهج ما أرى؟ لكأنّ الحيلة رُصّعت بأزهى

لآلء الخلد !

(أكثر من في المجلس يتجه ال العرفة تشدو على وجوههم آيات الدمنة

والاعجاب ويهتفون)

- تبارك المبدع المصور !

أحد الجمالين لعمر - أنت الذي أوقمت بينهنّ إذ فعمّات صاحباتك على الحور.

وإي والله لدهيش من تصرفك !

عمر - شكراً لله أن من على الكثير من صاحباتي بنعمة الخلد. فمنّ عندي أغل وأخر !

آخر متعجباً - من الحور؟

عمر - أنا أقر بأن الملقّ أجل. ولكن صاحباتي تكسوهم الذكريات مفاتيح عجيبة !

ثاني - تستطيع أن تصحب من الحور من نشاء فتكون لك معهنّ ذكريات.

عمر - نفس صاحباتي أعزّ. فمنّ أقدّم صفة. وقد تقسم حينه الفؤاد فلم يبق فيه

موضع لتقدم.

أحدم ضاحكاً - قدم اهاهاها... وهل تدخل الجيلات فؤادك بالأقدام ؟
 صر - إن أفعى المناظر الى قلبي رؤية قدمسي الجميلة طارحين !
 (وهذا تشد الصفة والمتاحة بين الحور والانسيات في المدينة حيث تسبح بحالة بيوم)
 إنسية (صائحة) - لا لن نسمح لكن بالدخول .
 إنسية (همس لأخرى بدهشة) - انظري يا اسماء تلك الحورية المياسة فقد لوراها
 لا فتقن بها .

اسماء - ريلاشك. فاني أعرف له قلباً كالشراع توجهه ويح الحسن كيف تشاء (ثم صائحة)
 لا . لن تدخلن أبداً .

الرباب الهند (بلهفة) - انظري : انظري يا هند تلك الحورية التي تتلألا في ثوبها السندسي !
 هند (تشفق في دهشة) - لكان ريق الماس قبس من أضواء جملها ! (ثم لصاحتها)

وتلك السراء المشتعلة . انظري لكان بسمتها اشراقه كوكب ينتور !

الرباب - بل تأملتي تلك التي كأنها كل أضواء النمر أوقفت على حياها (ثم صائحة)
 لا لن نسمح بالدخول أبداً

(وهذا يشد ضغط الحور ويوتكن في الدخول)

الثرابا لرباب (في اضطراب) - تسمى سيختن من أم يني لنا كأ وعد ؟

رباب - يا لك من غيبة ! وهل ليست كيف كانت في الدنيا مواعيده ؟

(وهذا الحور يتدامن الى الداخل وقد تنفر على الانسيات ثم يتدمن الى داخل البيوت منجيات في

حيث يجلس اس بي ربيعة بين أسمره)

الحورية السراء ثقافتة - (تخاطبه) - ما هذا الأعراس ؟ منذ أن من الله عليك بنعمة
 الخلاه وأنت متباعد عنا مشغول بإنسياتك !

حورية باسمة (بدلال) - نحن نحن الحور . . .

حورية - أنظر كيف أبدع الله سموري ؟

الحورية المياسة - القد (بتأود) - وأنا تأمل تكويرني !

الحورية - التي في ريق الماس (تتقدم بدلال وهي تبتسم حتى تصير في مواجته ثم تعرض

جهاظا في أوصاع فاته بأثرها السندسية وتقول) - تشارك الذي خلقنا

جميع من في المجلس (يهتفون) — تبارك المبدع المصور !
في أنقى (البهر) (أحدم لجاره بشبه حد) — كأن لم يُعَد في الخلد غير ابن
أبي ربيعة !

الجار — انه الحِصْن المتحصي عليهم !

جار آخر — تُرى الى متى سيقاوم ؟ !

آخر — وهل يُقاوم نجر الحور ؟ !

حورية (بمحق) — انه يصر على العناد . فما زاد على أن ابتم !

الحورية السمراء — هذا تحدي لارادة الله !

أخرى (بمعدة) — أريدعنا الله لهم ليعرضوا عنا ؟

حورية لأخرى — وماذا تفعل في الخلد اذا اتحدى به الآخرون ؟

السمراء المليحة (بشبه همس) — ان لم تقتنيه فقد ضعتنا .

عمر — (باسمًا : وقد صحبها) — والله كان بودي بإحسان الخلد . ولكني لا أستطيع
وهؤلاء حولي (مشيراً الى الانبياء اللاتي التفنن حوله)

حورية — كنت في الدنيا حانقاً في التخلص . وكم لك في الكذب معين من سوابق .

عمر (باسمًا) — ولكننا هنا لا نقول إلا الصدق !

السمراء المليحة — إكذب ولو مرة !

عمر — أعوذ بالله ! وهل نيتُ عذاب جهنم وهيأ النار في جسدي ؟

إنسية (تتقدم الى الحور) — أما كفي ؟ انه لا يريد كني !

الحورية المياسة القمد (وقد لاحظت عمر يتأملها بشغف عديد) — بالعكس بل هو يريد .

الفتري ... لكأن شعاع روحه المنبعث من عينيه ذراطين يريدان احتضاني !

الانسية — وماذا يمنعه أن يفعل ؟ وهو هنا من الخالدين يفعل ما يشاء !

الحورية — لهه يخشا كني . أو ربما سحرتن له . فأنتم بنو الانس والشياطين أبناء عم !

الانسية — وهل كان يخشانا في الدنيا حتى يخشانا هنا ؟ وهل رعى انا هناك ذمة حتى

يرطأها هنا ؟

المجورية المياصة لعمر (بغضب) - أنا والله دهرشة من أمرك. فاني أحس بأفك تريدني ..
 تريدني . وقد كنت في الدنيا تفعل ما تريد أما هنا فلا تريد أن تفعل !
 عمر - كان ذلك هناك ممنوعاً أما هنا فيباح !
 المجورية (بغضب) - خراطر سارق! معتدي ورب العزة !
 عمر (باحتقار) - كلاً يا شاهرة سيف جمالك ! بل قولي صادق ... فأص ... فأتك ...
 كانت لنا هناك في ذلك لثة . أما هنا . فسلام ..
 (موسيقى وستار)

الفصل (١) المنظر (٣)

(تحت إحدى خايل الجنة حيث تجلس في سبت بعض الانبيات بينهن التريا ومنها زينب ويرى بعض
 الوصيفات وتسمع موسيقى هادئة حزينة)

إنسية لأخرى (بانكساز) - لقد غرر بنا حتى تمنا كبراً على الحور
 الثانية (بحزن) - ما أعظم حماقتهم بنا اليوم !
 التريا - تتنهد بحزن عميق ...
 زينب - أما قلت لك إن الرجال لا عهد لهم ؟
 التريا (بجسارة وألم) - من كان يراه وهو يحلف ويؤكد ؟ (ثم مستطردة) ألا
 ما أكذب الرجال !
 زينب - ربما كان صادقاً وقت أن حلف !
 التريا (بدهشة) - صادقاً ؟ ! إنك تهمين الصدق يا زينب ...
 زينب - ياريا ... ان للفتوب أسراراً تحير العقول . وكأنما تسيّرهما قرة خفية يده لها
 أن تسخر منا ومن مراتيقنا المؤكدة وعهودنا المبرمة !
 التريا (تتنهد) - هذا مريع .. لقد رأيت به يعني ليلة أمس يدخل أتقصر مع تلك
 المجورية

زينب - ولم كل هذا الألم؟ أنت نفسك عندما كنت مجنونة مجيء في الدنيا ثم
أرغمت على الزواج من سعيد بن الحكم . ماذا حدث؟ لقد نقرت . وقأبيت
وطأنت ، ثم أخيراً . . . رَضَخْتِ وَأَذَعْتِ وَضَمَكِ وسعيد مقف ولحد . . .
التريا (بحر ع) - أوه . . . ما أظفح ما تقولين . . . إن جمدي يقشر لصبر ما
حدثت . ولكني منضية إليك بأخطأ سراري . . . كنت حتى في تلك اللحظات
المشرفة أغمض عيني لأرى أممي عمر ابن أبي ربيعة لا سعيد بن الحكم !!
زينب (في دهشة) - يا لجنون !!

التريا (باكية) - بل ما يبرح قط رسمه فكري أو ذكره قلبي .

زينب (بهمك) - ولعله أيضاً ليلة أمس ما يبرح قط رسمك فكره أو ذكرك قلبه !!
التريا - (مجددة) أنسخرين !!

(وهذا نسع شعبة مئة وضغب وأسرات)

إنية - (صائحة) هيا بنا إليه !!

أخرى - لا بد أن نتقم !

أخرى - لقد غدر بنا . . .

أخرى - بل أذلتنا أمام الحور !

الجميع - الفادر - اللثيم . . . هيا إليه . . .

الفصل (١) المنظر (٤)

(غرفة فخرية في قصر ابن أوز ربيعة بالبلدة حيث يرى جالساً هو وسديقه بكر)

بكر - والله أنك لسعيد الطالع يا أبا الخطاب فإن الحورية التي فُضِّيت معها ليلة أمس
فتنة الخلد !

عمر . . . يتنهد - (إيه ..)

بكر - كانت ليلة غناه أليس كذلك؟

عمر (بالم) - كنت والله أظن قريبا يشغيني وإذا به يثير كرامن شعري وما جئت
منه غير المسرة (ثم متنهداً) هيه !! ما ألد الانبيات !!

بكر (متعجباً) - لا أحد في الظلم يشاركك فيما تقول !!

عمر - تصور يا بكر قريبا بلا وجيل ولا خوف ولا خطر . لا عدول تتجسسبه أو
رقيب ترهبه . . . أى طعمه له وأية حرارة ؟ ثم (باسماً) لكأنها والله يا صديقي

كانت ليلة في فراش الزوجية لا مغامرة من مغامرات الحب !

بكر - أستغفر الله . ا تخيل إلي يا أبا الخطاب انك لم تطهر من دنس الدنيا بعد، وان
فيك لبقية من نوازع أهل الأرض !

عمر : (متنهداً) - إيه يا ثريا !

(وما يصل جمع الانبيات الضاحكات أمام القصر حيث يسبح

سبح وهناقات . النادر . اللهم . . . الكاذب . . .)

بكر (دهشاً) - ما هذا الصخب ؟ ثم ينصرف مسرعاً ليستطلع الأمر .

(خارج القصر في أنقى جانب المرح يشهد اثنان من الملائكة يمران فيحان لسط الانبيات .)

الملاك الاول (زمله) - ماذا أمتع ! ؟ ! ألغو في جنة الخلد ؟ !

الملاك الثاني (بعد أن استمع قليلاً) - آه . . . ها . ها . ها . ما هذا لغوا . ولكنها

شرعة الحب . خصام ووصال . غنا ورضى . أحوال كعوج البحر . مد

وجزر وهجر وصد !

إسبية (تصيح في الجمع) - هيا لتحمروا عليه القصر .

إسبية أخرى - لا بد أن ننتقم !

إسبية أخرى - لا بد أن نثار

إسبية - هيا بنا جميعاً

الجميع - هيا . . . هيا . . . (ثم يتدفق نحو باب القصر)

زئب (تصيح في الجمع بصوت أهر) - قفوا . . . دعوا الثريا وحدها تدخل !

الجميع - نعم . نعم . ادخلي يا ثريا

إنية - قسجي ا

أخرى - كوني جريرة

ثالثة - تذكرني انه غدر بك

أخرى - بل بنا جميعاً

(التريا تتقدم واجبة وتندس لتندس وتذهب حيث يجلس ابن أبي ريدة)

التريا (بثبات) - طاب صباحك يا أبا الخطاب !

عمر (متلهلاً) - أهلاً أهلاً - صباح السعادة يا زياً . ما هذه الضجة ؟ تفضلي (مشيراً

بالمجلس فتجلس على أريكته متبابة)

التريا (ساخرة) - ياله من لقاء ساحر !

عمر - بلا شك - فأنتو ساحرتي

التريا - (بتهمك) ومن كلام موصول ؟

عمر - (مندهشة) أنهم ؟ أم ماذا ؟

التريا - كأنشاء !

عمر - أنت نفسي فما السبب ؟

التريا - كانت ليلة شائقة ؟ أليس كذلك ؟

عمر - أية ليلة ؟

التريا - أنيت ما فعلت ليلة أمس ؟ لقد رأيتك بعيني وأمي » (وهذا يزداد صف الانسيات)

عمر - « فاضباً » إذن أنت الذي السبب علي ومقتن تهديدي . كأنك تريدني

التحكم في حربي ؟ ألا فاصمي ؟ إني ما أبحث هذا لاحد قط ولن أبيعهُ أبداً . . .

التريا - (بتهمك) أذكرُ أنك صرحت لي مراراً في الدنيا بأنك سعيد بتحكلي هذا الذي

تكلمه الآن . ولم وضعت حريتك هذه التي تفار عليها من النسيم بين يدي أكرر

من مرة ا

عمر - نايراً - « وقد هب واتفق » كان ذلك حينما كنت ودية . تؤكدين لي من العهود

ولمواثيق ما جمعتي أدرع مني لتناف من أمك . . . لكن ألم تخفري تلك

المهود؟ وتخزني تلك المرائيق؟ ألم تزوجني من سعيد؟ ألم تُسجني منه؟ ...

انك أنت التي حالت بيديك حبال سحرك عن قلبي ...

الثرىا - وقد أخذت واضطربت من المفاجأة -

مر - بحدة - متكلمي ا من الذي خان وخفسر ذمة خديته؟

الثرىا - مطرفة (وقد آخفت وجهي من كذبها) بربك لا تذكر لفظ الغبانة .

« ثم ترعني على الأريكة بأكية »

مر - متهكماً - يا للاحساس الرقيق ا ...

الثرىا - (وهي تبكي) - لم أخنك في حياتي لحظة

مر - (يتهم) - وهو يضحك ضحكة هستيرية - وعهودك؟ ومواثيقك؟ انني لك،

لك وحدك ولن أكون لغيرك ولو ذبحرني « ثم منيراً لبت ؟ » يا للسخرة ا

ها أنا بعد طول تجاربي تمدعني المرأة الوحيدة التي وهبتها قلبي ا

الثرىا (وهي مستمرة في البكاء) - ان ما فعلته من أجلك لا يمكن تصوره . بل فوق

طاقة البشر .

مر (محتدماً) - وماذا كنت تصورين؟ هل ظننت الحب ملاماة أم نسلية؟ ما أغاني

حين وثقتُ بك لقد نيتُ انك امرأة ا ا

الثرىا (تحتقها العبرات) - أنت نظمتني إذ تحملي وحدي ثمة كل ما حدث . كان يجب

عليك أن تأتي لتتقذني ...

مر (متهكماً) - ولما لم آتِ امتلكت ا ا (ثم مضياً لمجته) في نفس اليوم الذي

أعددتُ فيه كل شيء واتخذتُ طريقتي إليك حتى جناح من الشهوة .

(ثم ماضياً) يا للطمينة الغادرة ا

الثرىا (بحسرة وهي تبكي) - لماذا تأخرت؟ لماذا تأخرت... لقد كانوا أقوى مني ...

مر (محتدماً) - أكنت تريدني أن أقتل أباك أم أخوتك؟ لو أعلم أن هذا يجعلك

لي لخصتُ انيك بحاراً من الدم ا بل لو أعلم انك تكوفين لغيري لتسعتك

سبي ولمزقتُ حسدك ترسناً ...

التريا - ليتك قد فعلت... فكم تمنيتُ في تلك الحنة النكراء ان أموت بين يديك ا
 عمر (ضاغظاً على أسنانه وكأعما يناجي نفسه) - آه لو تعلمين كم حطمتُ بسبك من
 بنات حواء انتقاماً لحياتك ؟

التريا (بلهفة وقد رفت رأسها) - إذن كنت تفعل كل ذلك انتقاماً مني ؟
 عمر (مستدركا) - أوه... لا . لا . لم يبلغ اهتمامي بك يوماً كل هذا المبلغ . بل ان
 أي امرأة مهما حقر شأنها لمي خير منك لأنها على الأقل لم تتدنس في نظري بالحيانة ا
 الثريا (بمراة) - ما زلت تقول الحيانة ؟!

(هذا يسع صوت بكر وقد أقب من عند الانبيات الصاخبات ثم يدخل وهو يلث ويقول)

بكر - ياله من يوم اكذب والله ان يمزقني ..

(ربانة يرى الثريا منظرحة تبكي فإف متدعناً يردد الطرف بينها وبين عمر الواقف على ساحة منها)

عمر محنتاً (كأعما لم يحس بدخول بكر) - كلما تذكرتُ أنك كنت وصعيد... أوه ..
 قف شعر رأسي (يضع يده على رأسه) وأحس كأنني انقلبتُ مارداً جباراً
 لسحقك !! (ثم صائحاً) هيا يا بكر .. هيا نخرج من هذا المكان فإني أحس كأن
 دماء ألف شيطان تغلي في عروقي وكأن نفسي تهدتني بارتكاب جريمة . أوه . اللهم
 غفرانك . (وقد تذكر انه في الظلمة ثم يندفع نحو الباب)

الثريا - (باضطراب وهي تنرق بدورها) كلمة واحدة . سأخبرك بكل شيء . إنهم ...

(وويل ان تم جلبها يكون عمر قد خرج وصاق الباب خلفه بشدة تنود انثريا للبكاء)

بكر (مازاً رأسه أسناً) - ما أتبل السكبرياء ... انها تصرع حتى الحب ا (ثم يخرج)
 (وهنا يدخل جمع الانبيات علي فيجدونها منخرطة في البكاء فيدعن ثم تسمع منهن صيحات مكتومة
 النادر . القديم . التامى ...)

(ستر وموسيقى تدور من أشجان الحب)

محمد فهدى

القاهرة

ديوان التفتيش

The Inquisition; — L'Inquisition (fr.)

(L. Inquisitio (u = a seeking or searching for; a seeking for ground of accusation)

في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية : محكمة كنيسية ، كانت تسمى في الرسيات بـ « المكتب المقدس » (Holy office) عهد إليها في مقاومة الكفر والمروق ، بأن تفتش بالبحث عن الكفار ومن الهم وتناهبهم ، وكان لما أن تملأ أجناسهم بطرق أخرى غير التفتيش ، كالتناوب والتحقيق فيها .

وكان القصاص من الكفار بالموث وغيره من العقوبات له بدأ عند القرن الرابع الميلادي ، ولكن التفتيش بالنس السابق لم يبدأ إلا في القرن الثاني عشر . ثم زاده إليها انوسان ذلك قوة في القرن الثالث عشر . ومن ثم انتشر في فرنسا وأسبانيا وإيطاليا وألمانيا وغيرها من المراك . وكان المنتشون م الامانة ، ولهم سلطة التفتيش في حدود أبرشياتهم (Dioceses) ومهم فريق من الماعدين . ولما نظمت هذه المحاكم عهد بها الى الدمشكين ، بأشراف هيئة عليا في رومية كانت تسمى «مجمع المكتب المقدس» (Congregation of the Holy Office) . ثم أجز نظام التفتيش في إسبانيا ، ووضع تحت رقابة الدولة في أواخر القرن الخامس عشر . وقد اشتهر بسلطته وقوته وكثرة من قتل من الناس . وكان أحقرم بحرقتون أحياء أو تنفذ فيهم أنواع أخرى من العقاب بحسب متعلق الحكيم الذي تتولى تنفيذه السلطات المدنية . وكانت أعمال هذه المحاكم سبب في الحفاه ، فلا يطلع عليها إلا أشخاص رسميون يدعون « الامناء » (Familiars) ولت سلطة هذه المحاكم أشدها في القرن السادس عشر فاحتلت أنظمتها الى المستعمرات البرتغالية والاسبانية . ثم في نحوها في القرن الثامن عشر . ثم أُلغيت من برنست سنة ١٧٧٢ . ومن البرتغال في حكم يوحنا السادس (المتوفي في سنة ١٨٢٦) ومن أسبانيا سنة ١٨٠٨ . أما (مجمع المكتب المقدس) فلا يزال على انظام اليازي ، ولكن عمله الآن مقصور على النظر في تحريم قراءة المجلات التي يرى فيها خروج على الدين .

أحدث المستكشفات

التي أسفرت عنها الحرب الماضية

منافع الصمامات الكهربائية في المحترقات : إن تذليل الثانة الدقيقة جداً التي في الكمبرب ، لنفع الناس ، ذلك التذليل الذي بلغ أعظم شأور في الحرب الخالية ، قد وسع نطاق العلوم والمعارف ، وقوى الحواس البشرية تقوية لم يعلم بها أي امرئ وكان في زمن من أزمان التاريخ .

وكان من أثره أن غدونا نبصر ما لم تكن أبصارنا تستطع رؤيته في الحقب الغابرة ونسمع ما لم يسمعه الأوري من قبل ؛ بل نستطلع بهام لم يضطلع بها الملقى في أي زمن سابق (مثل صمام الراديو الذي عندك في بيتك)

ولا غرو فانك بمجهاز صغير ، من الزجاج والسلك الكهربائي ، تتمكن من استطلاع خفايا الفولاذ الذي تبلغ مخافته عدة عقد « بوصات » وبمجهز آخر تتكشف لك الغازات السامة التي لا يتاح لك شمها . وبغيره تسمع الحسيس (١) حتى صوت نمو أوراق الخشيش .

وبالصمامات الكهربائية يشوي اللحم شيئاً جيداً ، وتقتل الجرذاليم وتفتح الأبواب المغلقة كما يستدل على مكان شبوب التيار في أي وقت كان . وبها كذلك يشمر المرء بسطو اللصوص ليلاً . ويستطيع أيضاً قيادة الطائرات بسلام وثقبة الهواء من جرائم الحى الصفراء .

وبالصمامات الكهربائية تدون للسان المحادثات التليفونية في أثناء غيابه عن مكانه وبما يعود إليه في أية ساعة فيتلوها عليه ذلك الجهاز ، بصوت جهوري . وبها أيضاً تتحول العلامات الرقيقة المرسومة على شريط السينما أصواتاً ودوراً جلية ، تظهر على ستائر الصور المتحركة ، عملة للامتلين والمثلات الذين يعملون في أقاصي البلدان . فالأغنية التي تغنى في مدينة

(١) الحسيس — الموت الخفي — ومنه قوله تعالى ، لا يدعون حسابها .

نيويورك مثلاً نسمع في مدينة كليفلاند، وذلك في جزء من خمسين من الثانية . وكذلك تنقل بالراديو الصور التوتوغرافية من ساحات القتال النائية الى مدينة واشنطن مثلاً في سبع دقائق .

وأصبح في مقدور الانسان أن يكبر صورة أدق الأشياء ، كالقصب الهوائية ليرقة البوضه مثلاً ، الى مائة ألف مرة . وفي وسع أيضاً تصوير جرثومة الانفلونزا التي لا نستطيع رؤيتها . وكذلك استقصاء البلورات والميكروبات التي لا يزيد ثقلها على أجزاء قليلة من الكترليون (واحد من عينه ٢٤ صفراً) من الأوقية .

منافعها في المصانع : ومن ثمة يتاح لنا القول إن العلم قد بلغ أوج أسرار الطبيعة . بيد أن أعظم مستقبل يتوقعه المذلمون ، للصناعات الكهربائية ، قد بدت بوادعه من قبل ، ليس في المخترعات التي مشتملها أنت وأنا كالراديو المصور مثلاً « تليفزيون » بل في الصناعة أي إنتاج المنتجات الآتية التي تتركب ، وذلك بأعمار أرخص من المؤلف . وقد قدر الخبراء المعنومات التي أتجت في ميدان الصناعات الكهربائية في السنوات الثلاث الماضية ، بخمس مائة مليون ريال وذلك عدا جهازي الراديو والرائد اللاسلكي « الرادر »

وما من شك أن الصناعات الكهربائية قد أحدثت تغيرات انقلابية في الصناعة وذلك بإزالة الفناء الذي كان تجسسه الصناع ، أثناء الليل وأطراف النهار ، وتخصبها الصناعات الصغيرة التكرارية التي تنضي شغل حامة من الحواس البشرية المحس ، تبعاً ، دون شغل الذهن . فترى الصناعات الكهربائية تقوم بمهام العدى والاحصاء والتنظيف والتحصن وإدارة الصناعات « البليات » إدارة سريعة محكمة لم تنح لأي انسان في أي زمن كان . فالألواح القولاذية مثلاً التي تدخل في صنع علب الصفيح ، تدور ما آلات لمائة ألف قدم في الدقيقة . وهذا عمل سريع جداً لا تقوى عليه العير البشرية إذ يتطلب مع تلك السرعة ، تفقد أي ثقب صغير جداً كثقب الدبرس في أي موضع من ألواح لنبذ العلبه التي يقع فيها ذلك الطرق ، عناية صبرونه مصدرراً لنضج السائل الذي يعبأ فيها ، أو سبباً لتسمم الطعام الذي تجريره العلبه فيما بعد ، تسماً يفضي بأكله الى المستشفى ، إذ تقوم العيون الكهربائية بتلك الرقابة فتظهر تلك الثغوب الدقيقة وترشد اليها المراقبين ، ولو كان قطر كل ثقب منها لا يزيد على جزء من مائة من العقدة « البوصه » وذلك عند مرور ألواح تجاهها .

تاريخ اختراعها : ومع ذلك فان هذا المخترع (بفتح الراء) لم يظهر إلا في سنة ١٩٠٧ إذ قام العالم ده فورست باختراع الصمام الكهربائي الثلاثي العناصر المنفرد من الهواء . ثم تطرق منه الى اختراع الصناعات الكهربائية المتقدمة . وبعد سنة ١٩٢٠ حينما ظهرت الاذاعة

اللاسلكية ، اكتسب هذا الاختراع قوة دافعة عظيمة فتولدت من الصلصات الكهربية أخواتها الكبيرة ، منافع جزية للعالم ، إذ نشأت عنها فنون وصناعات شتى . فكانت باكورة لما تلاها من جم الخترتات المفيدة .

مبلغ تقديسها : وفي هذا الصدد يقول أحد مديري شركة من كبريات شركات الراديو الأمريكية : — إننا أوتينا في السنين الماضية القليلة تقدماً أعظم منه في السنوات العشر التي سبقتها . ومع ذلك يقول غيره « إنك لو عرضت أمام النظر شيئاً طوله ميل ، من الشرط المستعملة لقياس الأبعاد ، معتبراً إياه مقياساً لما يحتمل أن تتدر به مبلغ منافع الصلصات الكهربية لتبين لك أننا لم نكتشف من ذلك الميدان جديد ، اكتشافاً تاماً ، إلا مقدار مساحة قطعة تقود من ذات ربع الريال من ذلك المقياس »

وصف الصلص الكهربي : وقد يحظى الناس في فهم ماهية الصلصات الكهربية . والواقع أن مدارها على الدقيقة الكهربية البحتة الخفية أي الكهربي « الكترون » وهو أساس كل مادة في الوجود .

وسائل السيطرة على الكهربي : وما نتى التحكم في الكهربي هو العبء الذي تضطلع به الصناعة الكهربية وذلك منذ البداية . ولكن حدث عند ظهور الاذاعة اللاسلكية أن أضحت كلمة « كهريات » مقصورة في الغالب على الأجهزة التي تؤدي عملها في الأثير ، لا في باطن المعدن الصلب ، مثل سلك النحاس الأحمر لأن الصناعة الكهربية ، بغض النظر عن كل ما قيل ، مدارها الكهريات . وأول عمل لعمله الصلصات الكهربية هو استخراج الكهريات من المعدن ، وذلك بوسائل شتى ، ومنها التيار الكهربي القوي الضغط ، أو بوساطة تربيحها بشعاع ضوء . ولكن أسهل الطرق ، صهرها بالحرارة . وهذا سبب احتواء أغلب الصلصات الكهربية على التتائل المعدنية الدقيقة الساخنة . شأنها في ذلك شأن المصاييح الكهربية الدثرية (incandescent) وهذه هي الكلمة الصحيحة كما أثبت كاتب هذه المداور ، في بحث قدمه إلى مجلة المجمع النغوي بالقاهرة .

كيف يدور المنياع : وحينما تستطيع اطلاق الكهريات من التتيلة المعدنية ، يتيسر لك استخدامها فيما تروم . فإذا سلطت شعنة كهربية موجية على لوحة معدنية قريبة منك ، تمكنت من جذب الكهريات إلى تلك اللوحة ، وما إن جرى الكهري بات سواء كان في السلك أو في الأثير هو تيار كهربي ، كانت هذه وسيلة لتوليد التيار الكهربي والتحكم فيه . ويتم هذا التحكم طادة بشبكة معدنية تحول بين التتيلة للمعدنية والارحة ، فتقوم الشبكة مقام الشيش أو الشعرية في التانذة . وبغير ضغط التيار الذي يصوب إلى تلك الشبكة يمكنك

استخلاص كهربات كثيرة أو قليلة كما نشاء . وبأحداث تغيير طفيف جداً في ضغط التيار الكهربائي المسلط على تلك الشبكة المعدنية ، يتولد تغير كبير في تيار الكهبريات . وهذه هي الطريقة التي يعمل بها صمام تقوية الصوت في المذياع ، والراديو ، الذي في دارك .

وصف العين الكهربائية أي البصاصة الكهربائية أو البطارية الحامضة بالضوء في السينما ، وليس للبصاصة الكهربائية ، فتيلة ساخنة وإنما هي تقتنص الكهبريات من المعدن الذي يغشى به باطنها . وذلك بتسليط الضوء عليه . وكلما امتد الضوء المصوب نحوه ، كثرت الكهبريات المنتزعة من باطنها ، حيث تتحول تغيرات الضوء تغيرات كهربية . وعلى هذا النمط تتحول تقلبات النور والظلمة ، على طرفي الصوت في فيلم السينما تقلبات في التيار الكهربائي ، فتدير المذياع في الصور المتحركة .

وصف أشعة رنتجن : أما في صمامات أشعة رنتجن ، فتجذب الكهبريات إلى اللوحة المعدنية « الهدف » بتيار كهربائي شديد الضغط جداً قد يبلغ أحياناً بضعة ملايين من الفولتات . حيث تصدم تلك الكهبريات اللوحة المعدنية بقوة هائلة تكاد تصل إلى درجة تشقيق المعدن وحينما تعود تلك الذرات المضطربة إلى حالتها الطبيعية ، تنبثق منها الأشعة السينية (رنتجن) وهي أشعة شديدة التوغل في الجسم البشري ، قوية في اختراع التولاذ الذي تبلغ مخافته عدة عقد (بوصات)

أنواع الصمامات للكهربية ومزاياها : وليست الصمامات الكهربائية جميعها مفرغة من الهواء بل إن بعضها يحوي مقادير متغيرة من غازات خاصة . وحينما تصدم الكهبريات وهي سائرة في طريقها إلى اللوحة المعدنية ، الذرات الشاذة تفصل منها بعض كهبرياتها ، فيتدفق بها التيار الساري فيها تقوية عظيمة وذلك بوجود الأجزاء الباقية المشحونة بالكهرباء الإيجابية من ذرات الغاز . ومن ثمة تستطيع هاتيك الصمامات المسماة بـ *thermionic* أو *thermion* أو *thermion* أو *thermion* أن توجيه مقادير كبيرة من الطاقة التي يقتضيها صنع الألبوميليم . كما يتسنى استخدام الكهبريات في صناعة أشياء معينة .

وتستطيع المجالات المغناطيسية والكهربية توجيه موجات الكهبريات إلى أي صوب ، كما يتيسر لك توجيه المياه بمخرطوم ري الحدائق إلى أية ناحية كانت .

وصف الراديو المصور - التلغزة : وفي صمام الراديو المصور مثلاً تتذبذب موجة الكهبريات تردداً وعكساً ألوف المرات في ثانية واحد قس من الزمن حيث تصدم حججاً بأرجحياً منشى بمادة مثاقفة فتولد الضوء حيث تصدم ذلك الحجاب فترسم عليه مثلاً الصورة التي انتزعتها آلة تصوير التلغزة .

وصف الرادار - أي الرائد اللاسلكي : وفي الواقع أن استخدام الصهانات الكهربية في تلك الحالات جميعها يتم طبقاً لقاعدة واحدة من هذه القواعد أو لاكثر من قاعدة . ففي الراديو مثلاً توجه الآن الموجات القصيرة جداً لاظهار المواقع النائية للناشرات المعادية كما يصوب اليها الضوء لكشفها وصرف تستعمل هذه الموجات في زمن السلم لاداء أعمال مدمشة في البيوت وفي الطرق العامة وفي البحار الهائجة وفي المصانع وذلك كتمهيج أحد خبراء شركة وستهورس الكهربية الصناعية الأمريكية

الراديو في العلاج والبيوت : ويسوغ استخدام الموجات اللاسلكية في علاج الامراض البشرية وفي الطبخ دون توليد حرارة خارجية كما تستعمل في ارشاد البواخر إلى مرافئها التي يمحجها الضباب عن العيون وذلك بصفة أوتوماتيكية وهذا الى جانب الانتفاع بأجهزة الراديو الحربية الحالية للقتلة التي بلغت شأواً بعيداً من التحسين وتصدق بها (الرائد اللاسلكي - رادار) . إذ يصبح لها حينئذ شأن خطير في مشروعات السلم

الراديو لتحذير صافة السيارات : ويمحوز أن تتركب في السيارات أجهزة الراديو ذات الموجات القصيرة جداً التي تشبه الأجهزة الحربية . وحينما تعطد الموجات اللاسلكية الموجبة التي تولدها هذه الأجهزة ، يصرف من العاكسات المنصوبة في الجو أو على قارعة الطريق ، يتاح لاسائق أن يتلقى التحذير الواجب الخاص بالنقط الخطرة التي متعاده أو يمكن أن يتلقى الارشاد اللازم لاسير في الطريق ولو كان أكتف الضباب محجماً عليه .

الراديو يقي العطرات والبواخر : ولم يندسب لاصطدام قطار بظفر آخر صائر على سكة حديدية واحدة . وكذلك لن تبقى صموية لاية باخرة في الاشداء الى الطريق الامين عند خروجها من مرافئها أو حين عودتها اليه ، عند انتشار الضباب وهطل المطر ، وقد حبتنا الموجات اللاسلكية الطويلة ، بالصوت عن بعد ، وكذلك تعدنا الموجات اللاسلكية القصيرة جداً بالرؤية عن بعد .

كيف تير الموجات اللاسلكية في الآفاق : والموجات الطويلة كالتى تستعمل في الاذاعة اللاسلكية النظامية تنطلق من موصل جوي لاسلكي مرسل مثل الموجات التي تتولد عند اسقاط حصاة في بركة ماء ، فتير تلك الموجات في جميع الآفاق ، متبعة سطح الأرض كرشد لها . حيث تسلك طريقاً منحنيماً إنحناء طفيفاً . ومن جهة أخرى تمهجر الموجات اللاسلكية القصيرة جداً في بحرى ضيق فتنتطلق في الهواء متبعة طريقاً مستقيماً .

عروض جبرى

علم الحيوان - Zoology

الاصطلاح من مقطعين يونانيين (Zoon) ومعناه كائن حي ، و (Logos) ومعناه عاورة أو بحث .

١ - أطلق اصطلاح « علم الحيوان » (Zoology) أولاً لفدلالة على فرع من علم الطب يختص بالبحث في الادرية والفايز التي تستخلص من الحيوانات .

٢ - العلم الذي يبحث عن كل ما يتعلق بالحيوان والانسان ، من الوجهة الحيوانية .

٣ - طراً على مدلول هذا الاصطلاح تغير كبير بتقديم البحث العلمي ، ويوجع الى تعيين النواتج الطبيعية التي كسبتها علم الالياء ، على علم الحيوان خاصة ، ولا سيما ما تعلق منه ببنية الحيوان ووظائف اعضائه ، فانقسم فروعاً منها :

(١) علم نشوء الانواع والالبناس ، ويسمى (Phylogeny)

(٢) علم تنويع الافراد ، ويسمى (Ontogeny) .

(٣) علم تاريخ التعضيات من حيث العلاقة بالاب والام ، ويرف بلم الاجنة (١) (Embryology) .

(٤) علم تاريخ الحيوانات وتطورها خلال الامصر الارضية ، ويسمى علم الالاحة (٢) (Palaeobotany) بترجيح : الالاحة الحيوانية (٣) (Palaeozoology) والالاحة النباتية (٤) (Palaeobotany) .

(٥) علم تاريخ الحيوانات من حيث استيطانها وعلاقتها المعاشية ، ويسمى علم الجغرافية الحيوانية (Zoogeography) .

(٦) علم تشرح الحيوانات المراروزاء ، ويسمى (Zootomy) أو (Zoophysics)

(٧) علم وظائف الالحاء في الحيوان ، ويسمى : (Bidynamics) or (Zoodynamics)

(٨) علم كيميائية المواد والنسج الحيوانية ، ويسمى (Zoochemistry) .

(٩) علم الفرائز الحيوانية ، ويسمى (Zoopsychology) .

(١٠) بحوث علمية تتناول العلاقة بين الانسان والحيوانات التي تعيش الآن في الارض ومعها (Zootechinics) أو (Bionomics) أو (Threnmatology) . الى غير ذلك

(١) : (٢) ، (٣) ، (٤) مدطلمات أقرها مجمع اللغة العربية (٥) يعتمد بالمراروزن ما يعرف الآن بالتقارن .

أجنس

تأليف تشارلز ديكنز

انقضى العام وتربنا عيد الميلاد ولا زلت مقيماً بمنزل الأسرة حيث سلخت زمناً قارب الشهرين أو جاوزها ، كثيراً ما رأيت أجنس في غضونهما . وكان صوت قلبي يدوي بالنداء كالرعد في داخلي فأمتلى شجاعة وجرأة ، وتحميش العواطف مشبوبة بصدوري ويستثيرني ما أبته من جهد في هذا السبيل . فقد كانت أغمه كلمات المدح تغم صمعي فلا أعود أسمع قولاً عداها . كان من طادني أن أذهب الـ حيث تقيم أجنس متطياً صهوة جوادني سرّة واحدة على الأقل كل أسبوع وأحياناً تتعدد الزيارات فأقضي المساء هناك . وكنت أقل راجعاً في الليل غالباً — وكان الشقاء يلاحقني فأستشعره كطائر يحوم حولي ويحلق فوق رأسي وكنا ونحن تصافح لنفترق أحس بفرقة من الـ الوعة والـ الأسمى ومع ذلك فقد كنت أرتاح لذلك لأنه كان خيراً لي من التيه في فياني الماضي السحيق وأنا في يقظة تنقل كاهلي حيث أكون نهباً للاحلام بالسة مؤلمة . وقد سلخت عدداً عديداً من الليالي المسهدة التي أنقلني وطأها والتي كنت أتمزى ألمها تحت وقرها فقد قضيتها مشرداً الـ مبلبل الخاطر وكنت أجدد في تلك الزهات الليلية الأفكار التي كانت تشلني عنها أسفاري الطويلة البعيدة .

لوقلت إني كنت أصغي لصدى تلك الأفكار التي تتردد في حنايا كبدي الحارة أكون قد أحسنت التعبير عن صادق خلجات نفسي . كانت هذه الأفكار تهمس في أذني كحفيف أوراق الشجر تحمله الريح من بعد وقد أقصيتها عني ورشيت لنفسي بعدها . وعندما نظرت إل وجه أجنس ورأيت إبهازات الاصغاء مرتسمة في حركاتها قرأت لها ما كتبه عنها فتعركت عواطفها وانبطت أساريرها وحازت الاقسامات بين شفقتها وضلت الدموع في ما أقبها وصممت صرتها الخنون برن رنيناً صادقاً متبعثاً من مناخي الحوادث الباهتة في دنيا الخيال التي عشت فيها زمناً وكنت أفكر في المصير الذي ينتظري كما كنت أفكر فيه بعد أن تزوجت من « دورا » وهل كان بوسعني أن تكون زوجي كما أريد ما ؟

إن ولحي نحو أجنس التي أحببني حساً لا يمكنني الغفر من شأنه وإلا أكون قد ارتكبت خطأ فحشاً يظهرني في ضعف وأثرة . ولكن يتناهى بل مقدرتي أن أعود فأجدد

ما يلي منه فتد رصمت رأيتي بيدي وغنمت ما تاتت إليه نفسي فأصبح لاحق لي في أن أتدسر، وحق علي أن أحتمل وأصبر فرعيت ما أحسنت وحفظت ما تعلمت ولكن حينها قد تعلمت قلبي وصار عزائي في معنيتي الحاضرة وإني في غموض لا تبين أن يوماً موعوداً سيأتي وأني ذلك الحب ديناً علي من غير لوم ألتى أو عتب يُلحقني . سيحجيء هذا اليوم عندما يزول ما أنا فيه وعندما تلفظ شفتاي اسم « آجنس » وقد حل ذلك اليوم بعد عودتي إلى منزل الأسرة وقد تقدم بي العمر وما زالت على عهدي بالحب الأول .

كانت آجنس كمهدي بها فلم يبد عليها تغيراً في خلقها فلا زالت محتفظة بمجموع صفاتها وخلاتها . ولقد كان لي مع عمتي حديث في هذا الشأن منذ الليلة التي عدت فيها . لا أسمىه كجماً لعواظي الجائعة أو تقادياً للخوض فيها فقد كان أقرب إلى التفاهم بينها وبينني فيما تحمل رأسي من أفكار وآراء لم تصغ كلمات بعد . فلما جن الليل أخذنا نجلسنا حول المدفأة وكثيراً ما ضحنا بهذا الجمع كما هي عادة الأسرة دون تكلف جنباً إلى جنب كما كنا دائماً نلتي القول على عواهنه وإن كنا نحتجز لحظات صمت لم يُعكر صفوه . وإني لعلني يقين أنها قد قرأت أفكارتي أو على الأقل جزءاً منها ووعت جيداً لماذا توخيت أن ألس الموضوع لساً رقيقاً دون تحديد .

أقبل عيد الميلاد ولم أعد موضع الثقة من « آجنس » وكان الشك فيما إذا كان يجوز بمخاطرها ما يجيش بصدري من أحاسيس جارحة تنهش شغاف قلبي وخشيت أن تقاومني بما تعلم فألم له ، فأثرت الصمت وبدأت أفرد تحت وقر ما ألتى من عنق ، فهذه حالنا وقد أذرت الريح تصحيتي أدراجها فلم أف بعدد حيي فأجفلت كمهدي من قبل ولم أخط خطوة وإن قصر أمدتها فخرمت رأبي على أن أجلو مرقفي وأزبح الحواجز من طريقي إذا قامت بيننا وأذلل الصعاب التي تحول دونها بيد حازمة صارمة .

لقد كان يوماً ياله من يوم خالد فسوف أذكره ولن أنساه أبداً ، كان يوماً يارداً أغبر من فصل الشتاء سقط فيه الجليد ساعات متوالية فغطى أديم الأرض بطبقة جامدة صلبة من البلور المتحجر وكانت الريح تهب على البحر، حيث نطل نافذتي ، طاصفة هوجاء صوب الجنوب وكنت أظلمت تهب فتكتسح هذه الجبال الثلجية من طرفها في بلاد السويس فلا يثبت عليها قدم الإنسان وأسائل نفسي أربما أكثر وحشة هذه الأقاليم النائية أم المحيط المجهور الذي أنجبت في له .

تنت عمي : أخرج أنت في زهرة اليوم على نهر جوادك « ياتروت » وهي تشرئب رأسها داخل فتحة الباب .

نعم يا عمته إني راحل إلى كنتربوري فانه يوم تطيب فيه الزهرة . فأجابت عمتي ه أرجو أن يكون جوادك من رأبك أيضاً ولكنه يطأطأ رأسه وأذنيه إلى الأرض وقد وقف أمام بوابة الحظيرة ويبدو عليه أنه يبغضها . وكانت عمتي كما لاحظت تحب الجياد وتمنعها عظمها . أما الخير فلم يكن لها نصيب من هذا العطف .

سوف يتمش قدراً كافياً بعد قليل ، وعقبتم عمتي بقولها : إن الزهرة تطيب لها نفس سيئة على أية حال . ثم ألت نظرة سريعة على الأوراق الملقاة على النضد وقالت : آه يا طلي العزيز أنت تقضي ساعات طيبة هنا فاني لم أفكر قط في الجهد الشاق الذي يتكبده مؤلفو الكتب عند ما أقرؤها فأجبت إن القراءة جهد مذكور . أما الكتابة فلها سحرها وجمالها بإعتمده .

فأجابت عمتي : آه لقد فهمت ، بأن الحمرح والرغبة في الاندماج في محيط المجتمع الذي نعيش فيه والتعاطف بين الناس وغير ذلك من الشعور الانساني سوف تكون من خلاك على ما أظن ، فوقمت أمامها في تأبذ بائس وسألتها :

هل تعرفين أكثر من هذا عن صلاتي بأجنس ؟ فربتت على كتفي وجاست مكاني حتى مقعدي ونظرت إلى وجهي فترة وجيزة قبل أن تجيب ، أظن أني أعرف يا تروت . فسألتها :

وهل أنت واثقة بما بنفسك من أثر ؟ أظن ذلك يا تروت . ونظرت إلي في جأش رابط نظرة يشوبها الشك أو هي الشفقة بي أو الحيرة من أمري وبما تحمل لي من حب ، خلفوني هذا السلوك على أن أستجمع قواي فأخني ما أنا فيه وأبدو منشرح الصدر منسبط الأضارير .

ثم ما هو أكثر من ذلك ، يا تروت قالت عمتي نعم ! أظن أن أجنس على وشك الزواج فأجبت في انشراح لبياركها الله . فأجابت عمتي فليباركها الله هي وزوجها معاً . فرددت ما قالت عمتي وتركتها وهبطت الدرج في خفة وانعليت ظهر جوادتي وانطلقت في سبيلي وكان لدي عذر أقوى من أي عهد مضى لأنني ما عزمتم عليه .

إني أذكر هذه الزهرة الشثوية بكل خير وفضل ، كانت الريح تذر حبات الجليد المتراكم على نصال الشائش وتفتح بها وجهي ، وكانت ضربات حوافر الجواد الصلبة توقع لحناً جيلاً على الأرض الصلبة التي لاتعمل فيها فأس القلاح وازلاق الجليد وهو يتحدر متحمساً في خفة وسرعة في حفر الطباشير وقد دفعها دفعاً هيناً أيضاً رقيقاً رقيقاً هبات النسيم كما تدفع أوراق الشجر . وقد توقفت على قمة التل عربة الدريس الجايس من المير وراحت تنفث خبوطها اللذان من أفواهها وأتوتها وعملاً صدورها بالهراء ونواقبها الصغيرة تون في جرس مرسيتي وكانت

المنحدرات ناصعة البياض و كورام الثرى الرخو تحم فوقها وممتها الى السماء المظلمة فتبدو ككروحة مصورة رسمتها يد فنان على صفحة لوح هائل من الوردواز .

وجدت آجنس وحيدة بجانب المدفأة فقد انصرفت التقيات الصغيرة الى محادهم ، فلما ابصرت بي دلخلاً ألتفت الكتاب جانباً وحيثي كما دعتها ، ثم تناولت سلة شغل الابره وجلست في احدى التوافذ العتيقة ، وجلست بجوارها تحدثت فيما أقوم به من أعمال والمواقيت اتني أعمل فيها وعما أحرزت من نجاح منذ زيارتي الاخيرة لهم وقامت آجنس فرحة منبسطة الاسارير وألمت من خلال ضحكاتها أنني سوف أعقد وشيكاً حجة فيما أتحدث فيه من شئون . قالت آجنس ولذا فاني أنتفع بميل الوقت كما ترى وأتحدث اليك كما يجب .

وبينما أنا أنطلع الى وجهها الجميل وأراقب عملها رفعت عينيها الساذجين وهما في صفاء اللندى المذاب ، فرائت أنني أخالسها النظرات . إنك صام اليوم يا تروت وود .

آجنس هل آن أن أبوح لك بما يشغل بالي ؟ فقد جئت لأفصي لك بدخية قلبي . فألقت بعلمها جانباً كما اعتادت أن تعمل ونحن نتناقش أمراً جاداً وأصغت الي إصغاء تاماً .

هل يخامرك عنك في ايمان اخلاصي لك يا عزيزي آجنس ؟ فأجابت لا فأنا كما عهدتني . هل تذكرين أني ذات مرة عندما عدت من مقري حاولت أن أكشف لك عن سريري ؟ أي دين من السكر يطوق عني وأي شعور دافق أشعر به نحوك . فأجابت في رقة إنني أذكر ذلك جيداً .

إنك تطوين على سر فدعيني أقامحك حله يا آجنس . فأذبلت عينيها وسرت رعشة في يديها . لم يكن في طائتي يا آجنس أن أعرف إلا بعد عشاء حتى ولو كانت الشفتان الثتان تقضيان اتقول الى سميها شفتاك وهذا قد يبدو غريباً . فان كان هناك آخر قد أفغست عليه كنوز حيك الثمينة فلا تحرميني أن أشاركك أمراً يعس سعادتك عن قرب . فإذا كان في مقدورك أن نظامي نفتك بي كما تقوين وكما أعهد فيك فدعيني أكن لك الصديق أو الاخ في شأنك هذا وفيما عداه من شؤون .

استوت قائمة وغادرت النافذة حيث كانت تأخذ مجلسها وفي عينيها حين أو العتب وأسرت الحظا في العرفة وانطلقت لاندري الى أين وقد غطت وجهها براحتها واستخرطت في بكاء مر قطع مني شعاف القنب . ورغم ما ألمني بكأؤها فقد أثار الاحاسيس في نفسي وعاد بالامن الى قلبي ولم أدر لذلك سبباً واحتلقت دموعها بابتساماتها الهادئة الحريئة وقد ارتسمت عميقة باقية في ذهني فاهتزت هزة الرباه يحدوني ، لا هزة الحروف يهدون ، أو رعدة الاسف يضوييني .

آجنس عزيزتي ، شفقتي ، أي جرم أتيت ١٩
 دعني أذهب يا روت وود فلمت على ما يرام اني شخص آخر الآن وما أتحدث اليك
 فيما ألمت اليه في وقت آخر سوف أكتب اليك فلا تنقل علي اليوم . لا أتحدثني الا تحدثني ا
 ففتحت في ذاكرتي عما قد قلت وأنا أتحدث اليها الليلة الماضية وما اذا كانت في حاجة
 الي رفيق يلمي نداء قلبها فانفتحت أمامي لا أول لها ولا نهاية أضرب فيها باحثاً عما أريده
 لأنه في لحظة واحدة .

اني لا أحتمل رؤيتك يا آجنس على هذه الحال المؤلمة والظن براودي اني مبعته .
 فتاتي المريرة بل دربي النسبة التي أمك دعيني أقاسمك الموموم في شقاك وإذا كنت في حاجة
 الي العون أو التضحية فاني أعدي هذه وأقدم تلك وإذا قلبك ينوء تحت حمل فتذريني
 أخفف من وطأته إذ لمن أعيش يا آجنس اذا لم تكن حياتي ملك يديك ١٩
 كان كل ما تبينته من حديثها «أعفي الآن» : «فاني شخص آخر» «في غير ذلك الوقت» .
 ورحت أناجي نفسي هل كان الحاحي حماة ديعتني اليها الاثرة فانحرفت عن جادة الصواب
 أو هو القبس من شعاع الأمل أنار ظلمات نفسي اليأسه فانفتحت مسالك الحياة أمامي ولم
 أجرؤ على التفكير في السير فيها ؟

يجب الافصاح أكثر مما أبنت فليس بوصمي أن أدعك تتركيني على حالي هذه .
 استخلفك بحق السموات يا آجنس ألا تدعي كلاً منا يخطئ . فهم الآخر بعد هذه السنين
 الطوال وما تخلفها من أحداث .

يجب أن أتكلم وأبين فاذا كان برأسك فكر تسعين به فأبيني عنه فليس بمقدوري أن
 أتخلى عنك بمحض اختياري لراع غيري وأقنع في عزلي بدور نظارة المسرحية يتفرجون
 على السعداء . أبعدي هذا الفكر عن رأسك فاني لا أستحق موجدة قلبك علي لقد قاميت
 ولم يكن عبثاً وأنت لم تعلمي بنفاد حي وصفائه .

هدأت نائرتها وبعد لحظة فعيرة أتجهت نحوي بوجهها الشاحب وقالت في صوت خفيض
 منقطع وإن كان واضحاً جليلاً : «إني أدين لك بهذا وأرده لتقاء صداقتك لي يا روت وود ،
 ولا يراودني تردد في أن أخبرك بأنك خطئي» ولن أزيد . وإذا احتجت الي العون والمشورة
 في المستقبل فقد نلتها منك ، وإذا كنت قد شفقت في وقت ما فقد تحررت الآن من هذا
 الشقاء ، وإذا كان قد أهدأ كاهلي هل فقد ألقيت به وتنفست السعداء ، وإذا كنت أقوم على سر
 أطويه في نوادي فلم يعد حديثاً علي وليس هو ما نحدث به ، ولن أستطيع الكشف عنه

أو اقتسامه مع غيري . إنه لي وحدي ويجب أن يظل كذلك .
أرجوك البقاء : لحظة واحدة يا أجنس إذ دمت بالانطلاق في سبيلها ولكنني حلت دونها
والرجيل وطرفت خصرها بذراعي ونلت « على مر السنين ا » « إنه ليس أمراً جديداً » إن
أفكاراً جديدة وإملاً متفتحة كانت تصف رأسي وتغير الحياة التي أحيها وتلوونها
بلون جديد :

عزيزتي أجنس : يامن أجل وأكبر ومن أحب بكل جوارحي عند ما جئت إلى منزلك
كان في رأسي حلم جميل يداعيني ولذا فإن عقبة تحول بيني وبين السر التي تكتمين لن تكون ،
لأن في مقدورنا طيه في ذات صدرنا مدى العمر وحتى نفيخ . ولكن يا أجنس إذا كان
هناك أمل متفتح أمامي فأدعوك بأكثر من أخت فأنت تختلفين عن الأخت اختلافاً بيناً .
تساقت دموعها هتانة سريعة ولكنها لم تكن كالتي حكبتها في آخر مرة فرأيت بريقاً
من الرجاء يسع خلاها

تعد كنت لي دائماً خير ما لي وخير نصير إذا كنت قد اهتمت بنفسك أكثر من
اهتمامك بي ونحن رعى طفولتنا سوياً هنا إذا لتحول غمفي بك ولكنني لقيت العطف منك
دائماً أكثر مما لقيته مني وكان لا بد لي منك أغذي بك آمالي الصبا وأدفع الغلبة عنها ورغبي
في وجودك بجانبني لتكوني موضع ثقتي وتقبي التي أدفع بها غائلة الأيام عني ، تعلمتني هذه
الرغبة فصارت طبيعة ثانية وإني الآن أفصح لحبك من قلبي فيأخذ منه أول وأرفع مكان كما
كنت دائماً .

لا زالت تسع الدمع — دمع الفرح لا دمع الحزن — وتعلقت بي في قوة لم أكن
لأعهد لها فيها من قبل فطوقتها ذراعي وأنا لا أظن أنها ستضمني بتلك القوى
عندما أحببت دورا — وأغرمت بها كما تعلمين يا أجنس
نعم وأنا سعيدة بهذه المعرفة .

حتى في ذلك الوقت عندما أحببتها فإن حيي كان ناقصاً ما لم يكله عطفك علينا وقد
شكنتي هذا العطف فلما فقدتها يا أجنس لم تعد حياتي ذات قيمة من غيرك .
زادت انتصافها بي وهي بين ذراعي فزادت قرباً من قلبي وقد وضعت يدها المرثشة على
قلبي وعيناها اللديتان بلون الدمع تسعان بالبريق من خلاله وهي تنظر إلى عيني .
غادرتك وأنا مقيم على حبك يا عزيزتي أجنس وظللت في غربتي مخلصاً لهذا الحب وعدت
وأنا له حافظ وحارس .

حاولت حينئذ أن أحكي لها عن الصراخ الذي خضت ضاربه والنهاية التي وصلت إليها

وحاولت أن أكشف لها عن دخيلة قلبي وعقلي في صدق وطولت أن أطلعها على ما كنت أرتجو وكيف وصلت إلى معرفة نفسي ونفسي وكيف جاهدت لأدرك إلى هذه النتائج الطيبة وكيف جئت إلى ذلك المكان حتى في هذا اليوم وفي هذا الاحساس الذي أحمل وقلت مناجياً نفسي إذا كان في حبها لي ما يحملها على الزواج مني فما هذا الحسن مني أو صنيع أنته عدا ما أدرك لها من حب ممين أنضجته المحن التي جزئناهما معاً ، فكان المولى الذي ذقتاه ، ومن هنا فقد كشفت عنه . أوه يا آجنس إن في ذلك العهد كان روح زوجي الطفلة تنظر إليها من عينيك تؤمن على منالنا راضية عن فعالنا فأسدتني عن طريقة إلى ذكريات حلوة رقيقة هي ذكريات الزهرة التي ذوت في كفا .

إني صبيدة يا تروت وود وقلبي مغمم هناك ولكن لدي شيء واحد يجب أن أقضي به اليك . وماذا عساه يكون يا عزيزتي ؟

فوضعت راحتها الرقبتيين على كفي ونظرت إلى وجهي في هدوء وقالت : ألم تعلم بعد ما هو ؟ أني أخشى التفكير فيما عساه يكون . أخبريني أنت يا عزيزتي . لقد أحببتك طفلة حياتي . أم لقد كنا سعداء . نعم كنا سعداء ولم تكن الدموع التي ذرفنا في محنتنا جزءاً وفاقاً (وكانت دموعها أخضر من دموعي) على ما كنا قد قامينا ولكنها دموع السعادة البالغة التي شملتنا ولن تعود الاقذار تتفرق بيننا مرة أخرى .

سرنا معاً في أمسية تلك الليلة الثانية في المقول وكان الهواء البارد وكأنه يشاركننا السعادة التي نتمتع بها والأمن الذي يفعم قلوبنا . وبدأت الحجوم الباكورة تتلألأ ونحن نخطو الممرات ناظرين إليها مسبحين أنه ما كرين حمده الذي هدانا إلى هذا الكون . ولما لقنا مواد الليل وعدينا كنا نقف معاً في التافذة العتيقة والقمر مشرق وقد تعلقت به عيننا آجس الهادئتان ونظراتي لا تفارقها وامتد الطريق طويلاً أمامي ورحلت أسرح الطرف فيه فأبصرت صبيلاً خليق الثياب أجهد المسير الطويل لا أنيس له في وحدته ولا رفيق له في وحدته . وكان يجب أن يعود إلي ينادي قلبي الذي ينبض بين جبتي فهو قلبه . وفي اليوم التالي وقد أوثقت وقت المشاء ذهينا لتقابل عيني فقامت لنا ييجوني لتأدية منها قد صعدت إلى مكثي في الطابق العلوي . وكان مما يشيع كبرياءها أن تكون ييجوني على أهبة الاستعداد لتجيب أوامري وقلبي ندائي فوجدناها وقد وصفت عيوننا وحلست بمحارر المدفئة .

« كان الله في عروبي » قالتها عيني وهي تطل من خلال النشق من جسامها لتكون تلك الفتاة التي تعود بمسحبتك فأجبت أنها آجس ربنا أمورنا في يادى الأمر على ألا تزيج الستار عن هذا الدور فنوات الحائرة عيني ونظرت إلى نظرة ماؤها . لا بل والرباه عندما

قلت « آجنس » ولكنها لما رأت أن ليس في وجهي ما ينم عن مررتي رفعت عورتها
يائلة ودصكت أنفها بها . ورغم ذلك حبت عمي آجنس في حرارة وسرطان ما أخذنا مكاننا
على مائدة العشاء في غرفة الاستقبال المضاءة في الطابق السفلي ووضعت صمتي عورتها مرتين
أو ثلاث مرات لتلقي عني نظرة أخرى ولكنها سرطان ما كانت تعود فترقمها . وقد خاب
ظنها فتدعك أنفها بها فلم ترق هذه الحركة مستريداً ذلك زوج عمي لأنه كان يمدحها فألاً ميثاقاً .
وقلت لها بعد تناول العشاء بهذه المناسبة يا صمتاه قد كنت أتحدث ال آجنس عما أخبرني
فأجابت لقد أخطأت إذا ياترت فلم تف بوعدك بالانضاء الي واصطغ وجهها بلون قرمزي
اني واثق أنك لست غاضبة يا صمتاه ، بل انك لم تعضي اذا علمت أن آجنس سعيدة بما
ارتبطت به . فقالت صمتي هذه وسخر !

فلما ظهرت بمظهر المتضايق المرحج رأيت أن من الخير ألا أستمر في حديثي فأطيل
ضيقها فطوقت آجنس بذراعي ووقفنا خلف مقعدنا وانحنينا عليها فصمقت في شدة ونظرت
من خلال منظارها وانتشت بشرة جنونية من الترح لم أرها فيها من قبل
لم أستطع أن أكشف في حديثي القمير الأخير مع صمتي إذا كانت قد دبرت هذه
المؤامرة الشريرة أو هي حقاً أخطأها التوفيق في فهم عقليتي فقد كان كافياً أن أخبرني بأن
آجنس على وشك الزفاف وأنا الآن أعرف أكثر من أي شخص آخر مدى صدق ما قالت صمتي .
زفقتنا بعد ذلك بأسرع عين وكان صيرفتاني عرسنا الهاديء « ترادل » و« مونييا » ودكتور
ومسر استروج واستأذنا الضيوف الكرام وثقوسهم تفيض بشراً ومروراً وانطلقنا في
سبيلنا . فلما استقرت بين ذراعي وتعلقت بي ضمنت ملهمتي وبنسوع وحيي الي صدري
وكان محور حياتي ومدار نفسي هي زوجي ملك يدي والتي يقوم حي لها على مشخرة عتيده .
قالت آجنس . زوجي العزيز الآن يمكثني أن أدعوك بذلك الاسم إن بنفسي أمراً أريد
أن أنهي به اليك . أسمعني يا حبيبتني .

لقد نما وترعخ ليلة أن قابلت دورا ربهما فهي التي أرسلتك إلي نعم لقد بعثت بي اليك
وأضفت ه لقد أخبرني أنها تركت لي تراثاً فأجبت أظننت ماذا كان ذلك التراث فأجبت :
إني عرفته لقد شددت ال جانبي الزوجة التي طالما أحببتي ، لقد أخبرني أن لها رجاء أخير
أردت لو أني أحققه فهي تترك بين يدي الوديعة التي أبقث عليها دائماً وقد كانت
الوديعة فأجبت وأمل أن أملاً هذا الفراغ .

وألتقت آجنس رأسها الصغير على صدري وبكت وبكيت معها ونحن في فطر السعادة .

سلام نارضروس الـ بيرطلي



مكتبة المقتطف

فك الاغلال

موطن الداء في التقليد والندام التربية الاستقلالية

لحق بالجزء الصادر في غرة شهر يناير الماضي ، من مجلة المقتطف الزاهرة ، بحث ذو جودة وطرافة ، رجب المجال ، مترامي الأطراف ، للأستاذ البهانة المصكر اسماعيل مظهر ، رئيس تحرير المقتطف ، عنوانه فك الاغلال ، أو بحث في الثقافة التقليدية ، وعلاقتها بالتربية القومية ، دار به وألم بما تثار من اهتمام رجال التعليم عندنا والخبيرين به ، وما عقدوا من مؤتمرات أجابوا فيه الرأي ، وتناجروا فيه البحث ، ليلغوا مقطع الاصلاح فيه والتقويم ، وما أذاعوا من قرارات على انها لباب أبحاثهم ، ومصاص آرائهم . بيد أن الأستاذ مظهر اغترظهم جميعاً فيما تناجلوه ، ونكس عن نهج ما سلكوه . لقد فقد غير قصد ، وصمد الى سمت لم يكونوا مستهدفيه ، بل أي البيوت من أبوابها ، فتماهل عن الغرض من التعليم ، وعن السبيل التي ينبغي أن نسوق فيها أبناءنا إذ يتعدون . فأرانا ، وانه لا حق الذي لا مراة فيه أن التعليم الصحيح إنما يكون ويتم بأن نصل بينه وبين الحالات الاجتماعية التي تكنتفنا ، وانه الذي يتص بتقافتنا التقليدية .

وما كان هذا البحث للأستاذ مظهر ، الذي دل على مصروف جهده ، ومبدول عنايته ، ليعر به القارئ . مرور العابر الذي لا يوليه اهمة تقدير واستبصار ، ولا يقف عنده وانه تقدير واستبصار . فانه تحقيق بنا ، ونحس في مطاب الاستقلال وملتمس النهوض والرقى ، ان نهش لكون بحث من هذا الضرب ، ونشجع كل ذي قول نافع ، وسعي صالح ناجح . لقد ذفنا ، وحقك ، في هذا البحث طعماً جديداً ، وناعسا نذلة مفيداً . إنا الى هذه الأقوال نحن ضلوعنا . والى مثل هذه البحوث نسير نفوسنا .

نضرب لك مثلاً ، إذ يتكلم عن المتعلمين عندنا من تخرجهم مدارسنا ، وكيف فقدوا كل ضروب استقلالهم ، فيقول :

« بدأت هذه الحال تؤثر في مرافقتنا الحبيبة ، حتى لقد زعنا الى القول بأن كل ما هو أوروبي جميل ، وكل ما هو مصري رديء ، وكل فكرة مصرية لعب وطهو ، وكل فكرة أوروبية جد ورجولة ، وكل فن مصري بدائي وغير متفق وروح العصر ، وكل فن أوروبي ، مهما كان فيه من بعد وتضاد مع زمامتنا وتقاليدنا المصرية ، بل ومع آدابنا المرعية والعرف الانساني ، حضارة وتعمدين . وشملت هذه الحال فنياتنا وفنياتنا ، فألسنتهم لا تتحرك إلا بكل ما هو أوروبي غربي ، وقلوبهم لا تهفر إلا لكل ما هو بعيد عن المصرية . »

وإذ يتكلم فيما صار اليه الأدب المصري من شحوب العلة ، وصغر الركازة وآفة التقليد يقول : « ذلك بأن كثيراً مما نقرأ في الصحف والمجلات ، وكثيراً من المؤلفات يجري هذا الجرى ، ويسيل هذا السيل ، حتى لقد أصبح أدبنا الحديث ، لكثرة ما فيه من الرفع والارتوق ، ولكثرة ما فيه من صور الأمم الأوربية ، كأنه « عصبه أمم » ولكن في صحف سطرت بكلمات عربية . » وإذ نسمعه يقول :

« وما قولك في شاب يخرج من التعليم الثانوي جاهلاً بلغة العربية وأصولها وآدابها ، غير متصل بأداب دينه ، غير طارف بشيء من تاريخ بلاده ، وبالأحرى من تاريخ العرب أو تاريخ مصر ، عاجز عن التعبير تعبيراً صحيحاً بأي من اللغتين الأوربيتين اللتين يتلقاها في مراحل ذلك التعليم »

لعمرك . هذا فلم يسر القرح ، ويدنلس مكن العلة . ثم هو نفاصي لم يدعك دون وصف العلاج الشافي والدواء المرعى .

وبعد فقد عجبنا أيما عجب مما أشار اليه الامتاز مظهر من انه قرأ في المهد الأخير تقريرين عن التعليم في مصر لعالمين أجنبيين ، استقدمتها وزارة المعارف ، أحدهما انجليزي ، والآخر سويسري ، ليدلنا برأيهما في اصلاح التعليم المصري :

يا محجبا ! ما لهدين العالمين الاجنبيين والتعليم في مصر ! أغار معين العلم في هذه الامة ؟ هل أمست الديار قهراً من عالم عندنا في التعليم ، أو فقيه طسب في فنون التربية ؟ وماذا بعد هذا ، إذا كنا نقول باننا أهل أم المدن في مشرق الأرض عدلاً وحضارة ، وليس لدينا عالم في هذا الضرب من المعارف البشرية ؟ وماذا رجاؤك منا إذا كنا ، بعد أن ملأنا أرض مصر مدارس عالية ، وخرتجنا منذ السنين الخواني العديدة ، وفي كل عام ، العشرات من علماء التعليم ، وخرتجنا التربية ، فدروح نلتس عالمنا من علماء التربية ، في رقعة من الأرض نائية ، يحمل سراجها بيمينه ليرينا وصح السير ؟

لعمرك ألا نجايتي ما علم هذين العالمين بحوزة مصر ، وشجو مصر ، وحال مصر ، وما

يتلجج في صدرها، وما تم جسمها من سقم، وأذاب لها من شجن، وما توحش منه وتث، وما ينبض به قلبها من خفيات السرائر، وأشتات اللواعج؟ ألهما شرك معنا في ما نلغي وما نصرخ منه؟ وما الذي سوى بيننا وبينهم في الحاجة والمطلب، والمشرب والمذهب؟ لقد استضعفنا أنفسنا، حتى صرنا في عيون هؤلاء الأوروبيين كسفارة القدر، ونفاضة الحكيم، واستقلتنا عديدنا، وزرنا على حاضرنا وماذينا، حتى استنسروا وصرنا بغائنا، يا ويحنا! هانت علينا قورنا ولم تكرم، فأصبحنا في كل شيء مقلدين، وفي كل شيء تقتص آثار أولئك الغربيين، وفي كل شأن لنا لتجلبهم ليقضوا علينا قضاءهم، ونحتكم إليهم ليلغوا بنا، في خاصة أمورنا، المفصل والمقطع حتى ولو أكبرونا، وقالوا أنتم في هذا الأعلون وأنتم عليه قادرون، وحتى لو أنهم التمسوا أن نخلبهم بما زعمنا أن عندهم قضاءه، وبأيديهم نواصبه، ولهم فيه فصل الخطاب، بل ولو صارحونا بأنهم من براء، وبه جاهلون، كما سجل علينا المترمان أحد هذين العالمين المتجلبين، في صراحة العالم ذي الفضل، في تقريره بأنه «يتعذر عليه أن يلم إلمام المحيط بالحقائق الأساسية التي يحس بها المصريون أنفسهم»!

في عام ١٩٣٢، أقامت وزارة المعارف المصرية مؤتمرًا للموسيقى، أتمته مؤتمر الموسيقى الشرقي، ولكن إن هي إلا أسماء سميتوها. لم يكن شرقياً إلا بالاسم، إذ دعت إليه أقطاب علماء الموسيقى، من حيث ذرّ قرن شمس وغرب، فوفد علينا منهم الانجليزي، والفرنسي، والايطالي، والالمانى، مع أبناء قرابتنا، من موسى سوريا والمغرب والعران ومن اليهم، وقيل لهم اجثروا، في ما أنتم باحثون، ما إذا كانت الموسيقى الشرقية تنمو وترتقي بتطبيقاتها بالموسيقى الغربية أو بخلطها بها خلط السمن بالصل!

انعد ذلك المؤتمر العجيب في الرابع عشر من مارس ١٩٣٢، ومكث الى ابريل من تلك السنة، وقد كنا من ضمن المشتغلين بالترجمة في ذلك المؤتمر. فهل عدت ما قرروا، إذ انقض مؤتمرهم؟ اجتمعت آراؤهم، وهم، كما عدت طائفة من علماء الموسيقى الغربية، على أن الموسيقى الشرقية لها طابعها الخاص، وكذلك آلاتها، فليس من الخير في شيء انماجها في الموسيقى الغربية. لسكا وجهة هو صوابها. سبنة هذه، والشرق، وصنفة تلك الغرب. لا ائتلاف بينهما ولا امتزاج. وإن الموسيقى الشرقية. عزوة لها، وجمال، وطرب ونظام أن نصرنها من كل خلط، أنلما، وأطاننا، وآلات.

ومع ذلك مكث قوم منا لا يملكون، وما فتوا في غمرة ما كانوا فيه يربعون، خلغوا الموسيقى المصرية الشرقية بتلها فرنجية، فابلرها بالسقم، وأشاعوا فيها الفساد. تسمع

اليوم أخاني كلها رطانة ، وأحياناً لم تتحاب ولم تتألف ، من هذا الذي سمعته بالجديد ، الصنعة فيه هزينة ، والطرب عنه فناء بعيد .

الموسيقى الشرقية البحتة ، والمعاني الشرقية الخالصة ، من أم مزاياها الطرب والاعتزاز ، ولا سيما المصري الذي طبع عليها ، وهي منه في قرارة نفسه ، مغروزة في غرائزه ، والطبع يمن ال ما يفقه ويصبر ال ما لاق به . فأنت لا تسع لنا شرقياً صرفاً ، كأن تسع موشحاً من المرشحات أو « دوراً » من القديم ، لعبد الحمولي أو لعماد عثمان ، إلا ألفت نفسك حيث مالت أنغامه ، فأنت تميل ، وإذا تهبط فأنت هابط ، وأنى تصعد فأنت صاعد ، سكران مترنحاً وما بك من سكر ، ولكنه التطرب العجيب .

وهي ذات أثر طبيعي عميق ، فلست إذ تستمع لها ، تمك قياد نفسك ، ولا لك ال تهذئة عواطفك وأعصابك من سبيل ، وكأنما هي تخرج أصابعها في سويداء القلوب وأعوار الأرواح ، فتعبت بها ، وتروح أقطبها ، وتبسطها ، وتطربها على الهوى .

وهي ذات صنعة ، وفن متين . فالمرشح والدور القديم ، ثروة من لطيف الصنعة ، ودقيق التلحين . وهو قطعة من الفن البارع كجفرد صخر حظه السيل من عل ، لا يغنيها إلا شيخ من شيوخ المغنى ، ولا ينقه كتوز بدائعها إلا قطب من أقطاب الموسيقى ، ولا يجيد اقتادها ، ولا يجيد سلطاناً على الاطراب بها والجولان في أقطارها ، إلا فارس ذلك الميدان .

استمع ياسيدي المصري السليم الفطرة ، ال دور عما كان يغنيه عبده الحمولي ، وعماد عثمان ، ويوسف الميلاوي ، وعبد الحمي طي ، وسالم العجوز ، وأصراهم من فرسان المغنى القديم ، والموسيقى الشرقية غير الطنجية ، ثم استمع ال دور من وضع اليوم ، أو قطعة من تأليف هذا الجديد ، وحدتني مخلصاً ، أين كان طربك ، ومع أيهما كان ذهابك مع الأناغم كل مذهب ، وأين كنت كالسكران ، وما احتسيت حمراً ؟

بل اسمع أم كلثوم حين تنشدك (وحقك أنت المني والطلب) مثلاً ، وهي قصيدة مرسنة من الأدب العربي ، وهي فيها معنية ، كما علفت ، من فوارس الغناء المصري ، وأصمها هي نفسها ، حين تنشدك أي لحن من هذه الألحان الجديدة المشورة بالأناغم الشرقية ، بما يؤلفه من أجلها الأستاذ القصبي ، وانظر ، صادق الفطرة ، أيهما أنت به مسحور طروب .

واصمع عبد الوهاب ، وهو زعيم المجددين ، وكره المعززين بتدخل الأناغم الغربية ، اسمعه حين يلعب بلبك ، ويستطير فؤادك ، وهو ينشدك قصيدة (تعالي نفس تفسينا غراماً) ثم اسمعه في أي دور أو لحن من حديثه الذي أغرق في وضعه وغالى ، وقل لي بحقك ، من هو المغنى المطرب المبدع ، والتارس ذو السكر والثر ، أعبد الوهاب في قديمه ، أم عبد الوهاب في هذا الجديد ؟

كل دائنا . يا سيدي القارىء الكريم، في ضحف التربية الاستقلالية عندنا ، وفي المبادرة الى التقليد، وهنا وهو اننا . فرمينا بهذا الذي صوره تجديدياً ، تجديدياً في الموسيقى ، والادب، والنس وأمرور أخرى ، تراه كالرقعة في الثوب ، تزدري به ولا تصلحه . فالتجديد في الموسيقى ، إن هو إلا أنغام فرنجية بمقدار الثلاثة الارباع ، وأنغام مصرية شرقية بمقدار الربع ، خرجوا منها لك خليطاً عجيباً . جديدهم هذا قد أفسد روح الموسيقى الشرقية ، والمغاني العربية ، فأضعف حلطانها على النفوس ، وترأص اليها كل مترح المنه ، فأر الهمة ، يستقرب الموارد ، ويستدني المطالب . ويفر من السعي والكد .

ومثله ما زعموا من هذا التجديد في الأدب ، كما أخذ العجز كاتباً منا بكلمته ، وضعف لبه بلادته واسترخاؤه . وكما ألقى الأدب الصحيح الصريح يتطلب منه الاجتهاد ، ككل كاتب وأديب في أدب لغته من كتاب الغرب ، واضطره الى إيمان البحث في كتب اللغة ، وبسطة العلم بأصاليب الكلام العربي المين ، وطول الكد في استيعاب فنون الأدب ، ثم يكون قد ألم بلغته من لغات الغرب ، قد استهوته وأمرت له ، هرول اليها يخلط أصاليبها بأصاليب العربية ، وأقبل يخاطبنا بمذق عجيب ، وخاطب مريب ، ثم يلطم به وجوهنا على انه تجديد . بالأمس الغابر سمعت إحدى الكتابات الانجليزية ، وقد طوَّفت بالأحياء الوطنية : الأزهر وسيدنا الحسين ونظائرهما ، فشاهدت بعض الأبنية من التراثي أكل الدهر عليها وشرب ، وبعض رسوم واطلال باقيات كوشم البيدين مما بنى السلف ، وفيه جمال وزخرف واتقان ، فنال منها الغيظ ، ومعصها الألم أن تجد مصلحة تنظيم مصر ، تفتح شوارع جديدة ، فلا تبقى على تلك الآثار ولا تنر ، فكنت في جريدة الاهرام الغراء تقول في لفظة الغصان : « إذا كنتم ترومون أن تحيا القاهرة في صورة خاصة من عواصم أوروبا ، فإذا نأتي لشاهد في بلادكم ؟ وإذا كان الزائر الأوروي ينتقل من شارع في بلاده الى شارع مثله في بلادكم ، فإن دياره أولى به . إن لكل بلد تقاليد وآثاره ، فالكم نظمسون معالمها ، فإذا أنتم لا تاربخ لكم ولا شأن بمتار ؟ »

وضعت مدام دي ستال السكاتبية الفرنسية النابغة في القرن التاسع عشر ، كتاباً عن المايا تقنطف منه هذه العبارة ، وهي جذيرة بأن محتممها قولنا ، قالت :
« انقرة الحقيقية لشعب ما ، كامة في فطرته التي فطره الله عليها . وتقاليد الاجتبي ،
أيضاً كان ، وكيفما كان ، مضغف لوطنيته ، مذهب لكرامته »
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

أصغر أبو الحاضر مفسر

فهرس

الجزء الثالث من المجلد الثامن بعد المائة

- ١٤٥ التعليم وسرماية : كيف تفك الأغلل وتنطلق في سماء الحرية : اسماعيل مطهر
- ١٤٩ خطاب المدح في القرآن الكريم : منصور رجب
- ١٥٣ نصر الأخضر بالعراق وحسن عين التمر : مصطفى جواد
- ١٦٨ اتهاله : بحث لغوي تاريخي
- ١٦٩ صفحة مطوية من تراث العرب العلمي : أديب سليم خوري
- ١٧٣ كيف تحفظ صحتك : لا تمتد : فهمي عطا الله
- ١٧٤ العلم والفلسفة : وديع فلمطين
- ١٧٨ الطيور : بحث لغوي علمي
- ١٧٩ السيطرة على القبلة الذرية : نقولا الحداد
- ١٨٩ دون جوران العرب : عمر بن أبي ربيعة (قصة) : ٤٤ فهمي
- ٢٠٤ ديوان التفتيش : بحث لغوي تاريخي
- ٢٠٥ أحدث المستكشفات التي أسفرت عنها الحرب العالمية : عوض جندي
- ٢١٠ علم الحيوان : بحث لغوي علمي
- ٢١١ آجنس : تشارلز ديكنز (قصة) : ترجمة سليم تاوضروس الاسيوطي
- ٢١٩ مكتبة المقتطف ه فك الأغلل مرطن الداء في التقليد وانعدام التربية
الاستقلالية : احمد ابو الخضر منسي

الحق بالمقتطف

٦١-١ القريدده موسىه . شاعر الحياة والالم : قلم صلاح الدين الشريف

لوحون المقتطف الشهرية

أيارس ١٩٤٦

الفريق الحدي موسىينم

شاعر الحياة والام

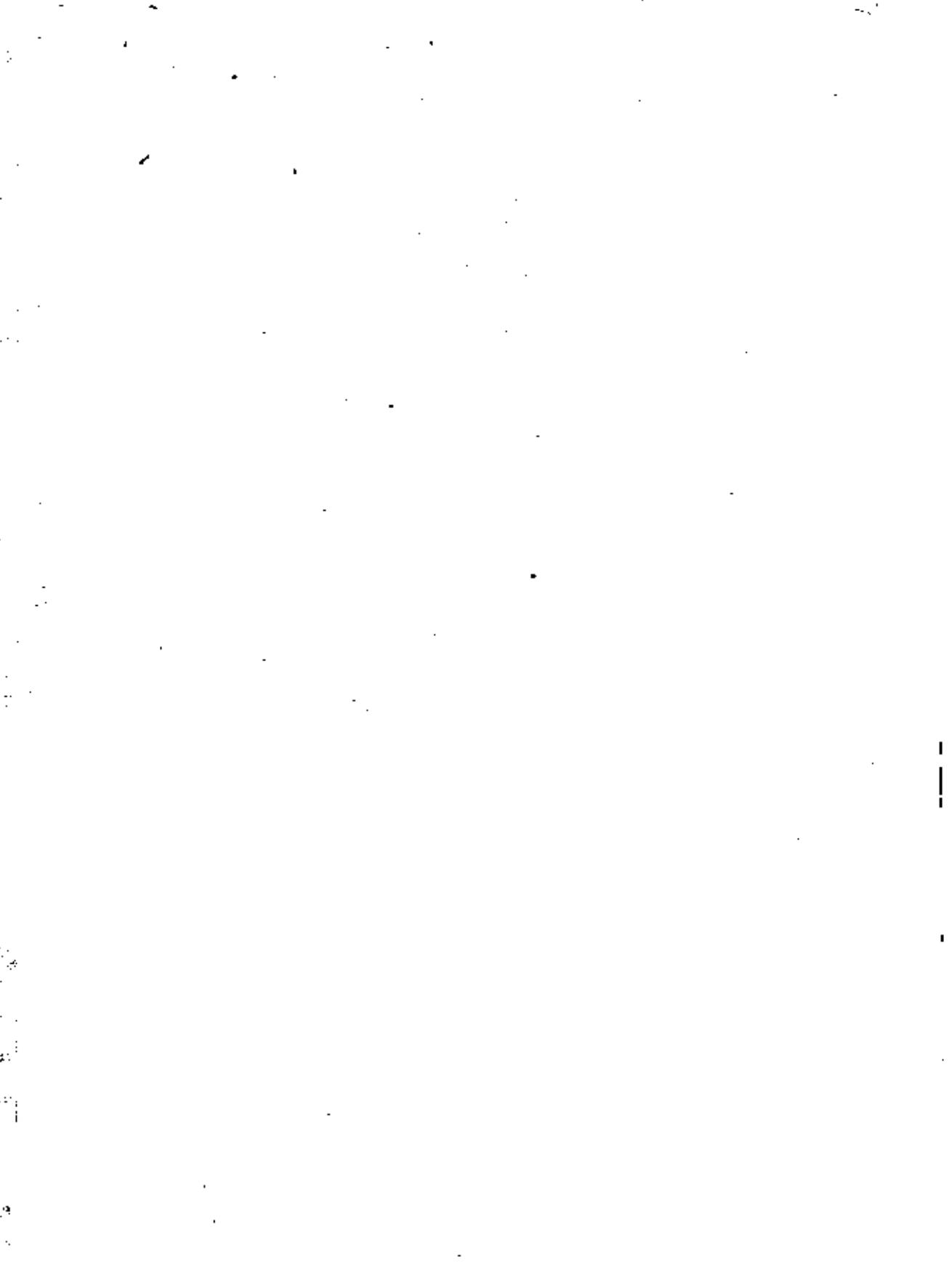
بلم

صوم الربن الشريف

جميع حقوق الطبع محفوظة للمقتطف

لوح مطبوع المقتطف المتعلق

١٩٤٦



قصيدة

- ١ -

حل القرن التاسع عشر بنخبة ممتازة من أعلام الأدب ، وصنوة مختارة من رجالات
الفن وأعلام الفلسفة والعلم ، وقد ازدان بهم ذلك العصر ، وازدهرت بمجهودهم الفذة ،
وبنبوغ آلامهم وتضحياتهم حياته الفكرية ، فبسط عودها واكتمل رواؤها ، وتعددت
أفنانها ، وكثرت فوقها المفردون من سوادح الفن ، وبلايل الشعر والموسيقى .

كان عصرها فذاً تفتحت فيه خصوبة الفكر على آفاق للحياة رحبية ، ومجالات للنفس
الإنسانية بعيدة المدى . وما أثبتت جفره حتى كانت استنارة القرن الثامن عشر قد استمت
دورتها « الكلاسيكية » . وهي استنارة قامت خصائصها على تعجيد طيف الماضي وقضائل
الحياة الطيرية الخالصة ، والنظر إلى الحياة من جوانبها التجريدية المتحررة من أوضاع
الحاضر المحدود وقيوده المرهقة ، ومجانبة الاندفاع وراء بدع الوثنيات التكريية العارمة ،
وما يتبعها من الاجترار على الأقداس والحرمان والسخر بمأثور التقاليد ومسنون العادات .
جاءت فأنحة هذا القرن بأحداث سياسية مدوية ، كانت بمثابة رد الفعل لثورة الفرنسية
الكبرى ، انقلبت لها مقاييس الحياة التي سادت سابقه المنصرم . وراح الناس يتطلعون إلى
مثل جديدة ومعايير مغايرة لما ألفوه في تركة الموروثات القديمة ، والخلفات المنهجرة ، من
رتابة مسئمة ، وأوضاع لا يطاق حفاها وجمودها لانساناتها الباطنة وتوقاتها الدائم لتعراطف
المشوبة ، والخيالات الفارزة ، التي تجسد الحياة وتحملها تنفض بالثرثب والحركة ، وتضفي
عليها أرواداً من سحر والروية - مهنا نفسانها من هول وعذود ونكر :

لقد استشرفت أحداث الثورة الكبرى وما أعقبها من حروب طويلة وتورثات مروعة أعصاب الأبناء والحفدة الذين تجمعه منهم جيل مبلبل حائر، عكف على تصميد جراح الماضي بالاستفراق في لحظات الحاضر والماضي في فرس الحياة العابرة ونهراتها العارضة، وإستجاشة زواقد النفس، وتحريك كرامتها، وبعث ما هجم في أطوارها وعماها المتحددة.

فهذه الحياة الانسانية المعقدة الاسباب المختلفة العالي بالسافل، أقصوة من أقاصيص اطيال الشارد والسر الخالب، وتحريرة من تجارب الوجدان الطلين والعاقصة المرسة وراء مشتهاها ومأمولها، ولكنها أقاصيص تشيع فيها رنة الحزن وتسري فيها رجفة التشاؤم والياس، وتلوّنها مرارة التجربة وآلام المستور الخفي، الذي لا تبرح النفس التوائفة متطلعة إلى استجلاء خرائجه، وكشف غوامضه، فإذا ما أجهدها الشوط فأقعدتها عن الوصول إلى مأمولها، وأعجزها الجهد عن كشف المستتر وراء المشاعر الظاهرة والاحساسات المتناقضة والاحداث المروعة التي حفل بها العصر، نيت مرارة الواقع بالاستفراق في سكرة الحياة المنتشية الحاملة، فهي الكفيلة بأن تأخذ بحجورهم، فلا يظلمون وراء مناعها ومرافها وراء.

هذه الظاهرة الشاذة هي التي أطلقوا عليها « مرض العصر Le Mal du Siècle » وكانت سمة الحياة الأدبية والفنية وخصبصتها البارزة في النصف الاول من القرن التاسع عشر. في طليعة شعراء تلك الحقبة ومن أبرز كتاب هذه الحركة الابداعية « Le Romantisme » وأنتهم شخصية وأخطهم سيرة وأحجم حديثاً وأرقهم إحساساً وأرهقهم شعوراً وأحفظهم خواطر وأهدمهم في الخيال بحالا « الفريد دي موسيه » التي كانت حياته أقصوة من أقاصيص اطيال، بل فعيدة حظة رقيقة ذاب درّها في موجة ظمرة من الآلام المستعذبة، وأناب شذا عطرها الحاد الغريب وسط جوّ مشعب بنفثات الوجدان المكوم، وشمات العاطفة الحائرة الملتفة.

هذه الآلام والأوجال صاغتها نفسه الحاملة شعراً وجدانياً خالفاً، سجل حياته المنسابة دوماً في ضمير الانسانية وماوايا الزمن، تهدي ونضلّ وتسعر وتروع، وتبكي وتضحك !

- ٢ -

الشاعر رمز لعصره

لعلّ أفصح الدلائل وأوضح الصور على تسمية الشاعر أو الناثر ، هي آثاره التي تبين عن أطوائه المستخفية ومساره المظلمة ، حيث نجد العواطف والاحساسات ، وشتى خواجج النفس ونبضاتها ، مسرحها الذي تترك فيه ، ومكنها الذي تقرّ به وتمجّع ، حتى تجردت عن نفسها في مظهر من مظاهر الاستجابة لطوائف الحياة ، وبواعث الشعور والحركة ، وليس ثمة منجم أحفل وراء بذخائر النفس ومكنوناتها ، من تلك النفثات المتوجهة بسعار الغرائز والجوارح ، المتلونة بمحالات النفس في شتى اتصالاتها ، واستحالات مُشْلِها وأشواقها . فهي مرآة مجلوة الصّقال ، تمكس لنا صور حياتهم متعددة الألوان ، مختلفة الملامح ، خافتة بما يبدد عنهم الرّثابة المجلوة ، والسّامة المضجرة ، مترعة الكأس بروائع الضمير الانساني وعجائبه ، وهو في دورته الموصولة أبدأ بعوامل التجاذب بين اليقين والشك ، والاستقرار والثروة ، ولا بدع في الأمر ولا تناقض ، فان تاريخ المهويين من هؤلاء الأفاضل الخالدين ، إنما هو قطعة نابضة من تاريخ القلب الانساني كله بتناقضه وعجائبه ، محامده ومقابعه .

وليس الشاعر الفرنسي الخالد « الفريد دي موسيه » إلا واحداً من هؤلاء الذين انطوت أرواحهم في نسج أفكارهم وأساليب حياتهم . فهو لم يُخسّج غريزة الإحساس المرهف ، والشعور المشوب بحسب ، بل رزق معها موهبة التعبير الملهب بحرارة الرغبات المحتجزة ، والخيال المتشيد بعصره الشوق إلى أحلام ومنى لا تصلها بالأمم الأرضي صلة الواقع المشوّه والوجود المحدود ، فكانت أفكاره الطائفة بومشاعره الخائفة ولطفاته الوجلة ، مطبوعة بطابع يميّز لها ، خصيص بها . وهي في أصلها وحرارة الصدق المنبث من صرخاتها الشاجية ، وفي روعة آلامها المصوّرة اعذاباتها وتفكرها ، نعد رسالة أمينة نقلت إلينا أفكار ومفاهيم حيل بأمره .

وهذه الترجمة الموجزة لحياة الشاعر تدلّ أوضح الدلالة على أن حسامية «موسيه» كانت مبعث آلامه ، ومصدر شقائه ، كما أنها كانت المعراج الذهبي الذي سما به إلى التمسك من ذهاب الصيت وذبول الشهرة ، وهياً له أن يحتل مكانه من ديوان الصدارة في الأدب الفرنسي .

استلهم «أفريد دي موسيه» خياله ووجهه من الحب ، مدرسة التضحية والتعذيب والالم ، وطلع على أبناء جيله بفرور من التصيد ، وطرائف من الشعر ، هي صورة صادقة لكل نفس حزينة معذبة . ومتطالع في هذه السيرة القصيرة الحافلة بأمانة الحياة الانسانية كاملة ، تلك المأساة التي هي حب وتعذيب وتكفير وألم !

— ٣ —

أسرة الشاعر

يتصل نسب الشاعر بعائلة ترقى أصولها إلى منبت من منابت المجد الأصيل ، وتصلد سلسة أسرته من ناحية الأم إلى العذراء الشهيدة «جان دارك» التي ظلت سيرتها الشاحبة ، منبعاً خصيباً لكثير من الروايات والأساطير .

وحدث أن هاجرت أسرته من موطنها الأصلي بدوقية «بار هان» واستوطنت بلدة «شندوم» في القرن الخامس عشر ، إبان حصار منيت به مدينة «أورليان» حيث بدأ بزوغ نجمها ، فنبت منها كثير من برزوا في مهنتي السيف والقلم ، وقدموا لوطنهم خدمات جليلة رفعت من شأنهم ، وعززت مركز أسرهم في المجتمع .

ولما كانت الطبيعة في خلقها للعظمة ، وإفراجها لمواهبهم وخلالهم ، تهيء لعملية الخلق ظروفاً وعوامل متعددة ، حتى تخرج الشجرة مكتملة ناضجة ، فإنها ديات للشاعر هذا الجو المبدع الخلاق ، فالتفت في رحاب نفسه الناشئة مؤثرات البيئة الراقية المهذبة المترفة ، تدعها أم سرية الخلق مفرقة الحساسية ، ووالد تربى تربية عسكرية مقلت فيه خلال ارجولة القوية ولم تقدم فيه رقة الخضع واين الجانب . وقد أركت فيه هذه الرقة حب الانطواء على مضامين نفس محموزة إلى التورع وأخذ الامرر مأخذ التأمل ، مما شجع والده ، أي جد الشاعر ، وهو أيضاً من الضباط القدامى ، على أن يجمع أمره ويمقد عزمه على إدخال ابنة

فيكتور في سلك رجال الكهنوت ، وكان قد تخرج في معهد فنودوم الحربي ، وقيل إن هذا العزم الميَّت لم يكن إلا وسيلة تمكن الجد من أن يوصي بثروته الضخمة الى نجله الأكبر ، وقد يادر مسارعاً الى إتمام هذا العزم ، بأن أبن تزويج ابنة فيكتور ، الذي أعدّ نفسه بالفعل للحياة الرهبانية ، لولا نشوب الثورة الفرنسية التي ألقته من هذا المصير ، وقلبت في أعين الناس مقاييس الحياة وأوضاعها . فالثورة الكبرى هي المنبتق الأول الذي هباً للشاعر أن يبرز نجمه في إبانته ، وما كان الشاعر لولاها ، إلا خذوة منسربة في أطواء العدم ، لا يعرف طالمنا الأرضي من أمرها شيئاً ١ .

وقد خدم فيكتور دي موسيه في جيش الثورة وشهد معركة مارنجو ، أيام مجده الممارك الأمبراطورية التي شنها نابليون الأول على ملك القارة وأتياها ، وآب الى وطنه حيث شغل مركز رئيس لمكتب من مكاتب التفتيش بالجيش . وخلال هذه الفترة توفى والداه ، وكانت أواصر المعرفة قد جمعت بمسبو « ديزيرييه » الذي أصبح صهره بعد أن بنى بانيته ، ثم نقل الى وزارة الداخلية ، ولكنه لم يلبث بها طويلاً ، إذ فصل منها عام ١٨١٨ متهما بالتشيع للزعات الحرة ، وكان فيكتور رجلاً مطلقاً لم يعدم حاسة الذوق الادبي ، ولم ينس له أولياءه الامر الجند ، أنه كان معنياً بإخراج دراسات حرة عن حياة فلاسفة الثورة وآرائهم ، وكان آخر مؤلف له في هذا الصدد رسالة عن « جان جاك روسو » ، علق فيها تعليقات حرة على مؤلفات الفيلسوف الكبير وآرائه ومذهبه في الحياة والاخلاق وسياسة الامر .

وبالجملة كان فيكتور دي موسيه طوال مدة خدمته في الحكومة ظهيراً للفقراء والمبائسين ، نصيراً للمضطهدين . وقد جلبت له دقته الفطرية اللينة كثيراً من انتساب ، إلا أنها كانت مصدر تلك التماثل الحلوة والصفات السكرية التي جعلت منه رجلاً محبواً من معارفه وخلانته ، وشخصية لطينة النفس مهذبة الاحساس ، ترحب بها الاوساط التي كان يعيشها ويتعرف الى زواجرها ، وطبيعي أن تكون لهذه الصفات جتمعة ، أثرها العميق ، بطريق الرواثة في شاعرنا الطالم المردف الحرس .

- ٤ -

ميلاد الشاعر

وُلد « ألفريد دي موسيه » في الحادي عشر من ديسمبر سنة ١٨١٠ في حيّ قديم من أحياء باريس . وقد ظهرت عليه إمارات النبوغ ومخايل الذكاء الفطري منذ نعومة أظفاره ، وكانت تبدر منه بين الحين والحين دلائل شتى بطبيعة مزاج نفسي مقلقل . كان ميكرراً في مرعة قلبه وتحمله من حال إلى تقيضه ، وفي تمجده إشباع متعه ، وإرضاء رغائبه وزوائيه . ومما يحكى عنه تأكيداً لهذه الحقيقة ، أنه لما كان في الثالثة من عمره ، أرادت أمه أن تعطيه معها في زيارة أو زهرة ، وطلبت أن تلبسه حذاءً أحمر جديداً ير عين الطفل . وملاك عليه إجماله ، فاندفع في زثرة عصيبة ليحث أمه على أن تسرع غير متباطئة لتلبسه إلباسه ، وهو يقول لها : « أسرعي يا أمه ، وإلا أصبح الحذاء قديماً » .

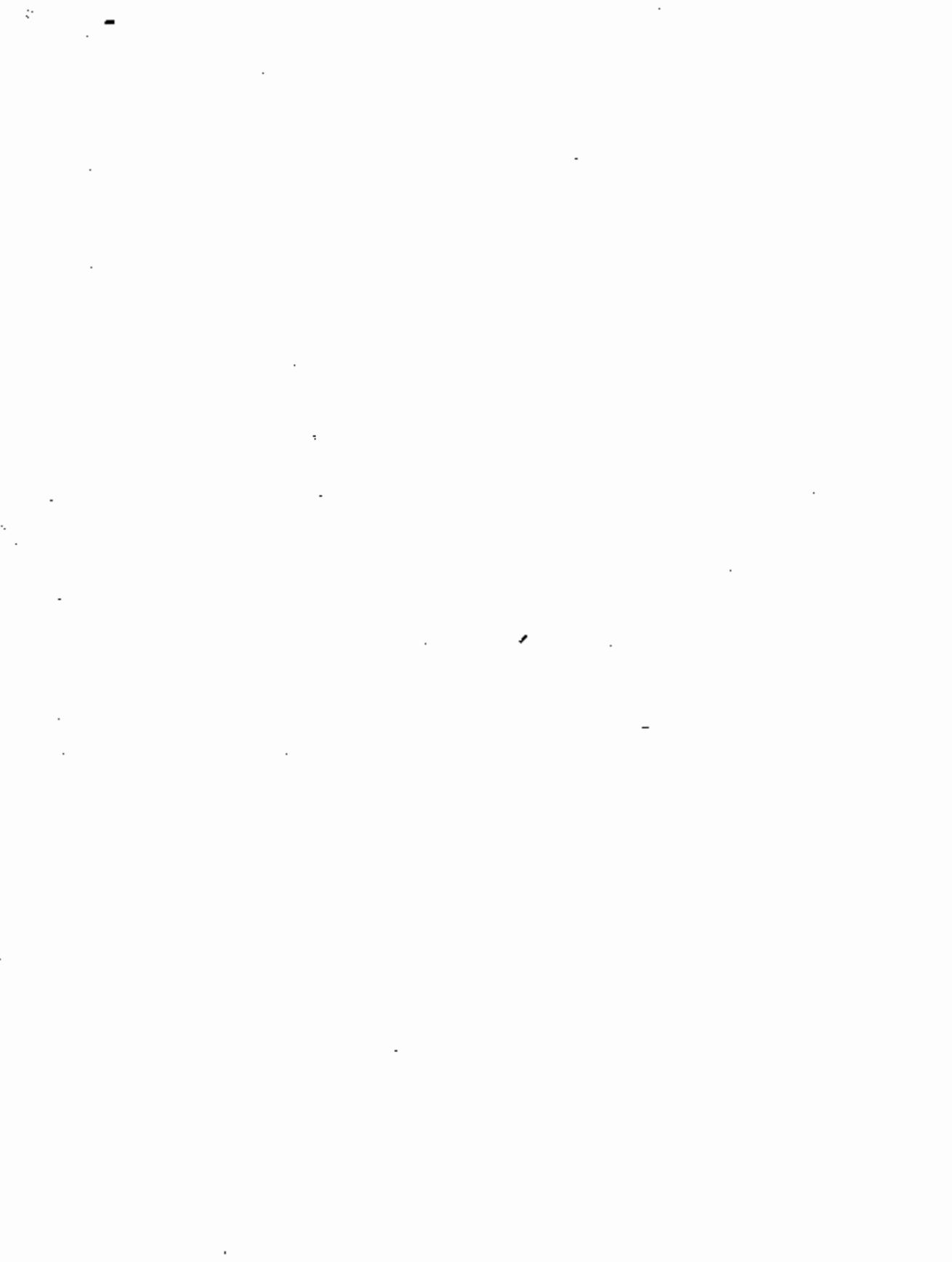
وقد يبدو هذا الحادث في نظر البعض أمراً مجري به مألوف العادة ويستقيم مع طبع العنقولة المتقلبة المنمجة ، ولكنه في حقيقة مرماه النفسي ، دليل شوق لاهف ورغبة كامنة في حب التمتع والتمسك إلى انتهاز غفلات الآلة قبل أن تورث هاربة . وهي لغة تدرجت في صورها من مشبهات الطفولة الساذجة ، إلى مطالب الشباب الحائرة المتوهجة ، وأحلام الرجولة العريضة ، وخيالاتها اليميدة السامقة .

بل إن زعمته الشهوتة الحسية ظهرت في صورة من الميل الغامض المبكر ، فبه فيه غريزة الجنس ، التي ما كان يحتمل أن تستيقظ في غير أوانها . ولو صحت الرواية التي يرويها عنه أخوه « بول دي موسيه » ، في ترجمته التي سجل فيها سيره الشاعر ، لكان الأمر ضرباً من الشذوذ المستغرب ، بل الشعور العاطفي المعقد ، الذي قد يدل على بوادر الانتكاس في ضيعة حساسة مرهفة ، لم تكن قد تجاوزت بعد عتبة انطفؤة الغريزة الساذجة !

فقد ذكر أخوه « بول » أن أوّل حبٍ حقق له قلب الشاعر يرجع عهده إلى عام ١٨١٤ عند ما كان « ألفريد » لا يزال طفلاً لم يشدُّ بعد الراسية من عمره أو يتوكد بول إن ذلك الحب



الفريد دي موسيه
من صورة بريشة الفنان تشارلز لانغل



الوليد كان من العمق بحيث ملك على الطفل جوارحه ، وأهتزت له نفسه ، ثم ما لبث أن تحول إلى صداقة ودودة ، أكدت لمعاشرتي الطفل ما الطوت عليه نفسه الرقيقة المتوقدة ، من إحساس باكر مستوفز ، يمزّ مناله ولا تجري المادة بعثه .

وقصة هذا الحب العجيب ، أنه اتفق أن زارت والدته فتاة من بنات عرومته تقطن مع أهلها مدينة « لبيج » واطمعت إليها الطفل متيقظ الحواس متفتح الجوارح وهي تقصّ في بلاغة أخذة وحلاوة مهدوّقة ، وقائع الهجوم الأخير الذي غلته جيوش الأمم على فول الإمبراطور نابليون في أيام مجده القليلة الباقية . ومن وقتئذٍ والطفل بها هائم ولها وامن ا ولما ختمت حديثها اقترب « ألفريد » من والدته ليستفسر عن أمر الفتاة . وما إن عرف قرابته بها حتى بادر إليها مسارعاً ليطوقها بذراعيه الصغيرين ، وهو يصيح صيحة الطفل وقت عينه على ما ينفسه ويظرب له « إنزال وحدي اسأخذها واحفظ بها ، لا يشاركني فيها شريك ا » ، ولم يتوان الطفل في إنقاذ عزمه ، ولم يكأعها ما يكتفه من ميل عديد إليها بقدر ما تساعفه لغة الطمّرة العذبة الساذجة ، ليظهر لها مكنون إعجابيه وحبّه ا أما صاحبتنا فلم نأر روحها المرحة أن تحيّب ظن الطفل ، أو تحطم قصور أوامره ، فراحت تستثير خياله وأحلامه بما تقصه عليه من قصص خيالية وخرافات سحرية . ولعلّ الناظر إليهما وهما متلاصقان على مقعد طويل بركن من أركان غرفة الجلوس ، وقد اختلعت أقدامهما وتقاربت نظراتهما وتشابكت ذراطهما ، في وضع هو أدنى الى أوضاع العشق والصبابة ، منه الى مجرد المحالة والمحادثة ، ليعجب أيما عجب هذه النقيضة من تقاض الجنس ، تتعلّل بارزة المعالم في كل حركة من حركات هذا الطفل المعقد العجيب ا ! .

وتأبى القصة إلا أن تتمّ فصولها ، فالطفل جاد في طلب يدّها وهو يلحف عليها أن تعده صادقة أن تمّ معه مراسم الزواج في حضرة القسيس ، حينما يبلغ السن المناسبة . ولما أن كان ميعاد أوبتها الى بلدتها خنقت « ألفريد » العبرات ولم يتأملك برادر أفعاله وخيرته ، وعند ما سمعها تردده قائلة : « لا تنساني » تهسّدج صوته الرقيق ، وأجابها في نبرة حزينة مستنكرة : « أنساك ا إن اسحك قد تنس عديّة في سوريا ، قلبي ا ! »

وعند ما تزوّجت الفتاة وكانت تدعى « كليلي » وكان « ألفريد » لا يبتأ يذكرها

ويحس إليها ويرجو وصلها ، اتفق أفراد عائلته على أن يكتبوا الخبر عنه ، ولما أن بلغه النبأ « المشرووم » ذات يوم ، كان له وقع الصاعقة على قلبه الرقيقة ، وهاله الأمر وأخذ يسأل في دهشة الظن المرتبك المتنازع ، الذي تبدد حلمه الجميل في لحظة ، وتحطمت لعنته العزيزة الغالية ، وهو لما يشع منها نفسه ، لماذا سخرت منه وأخلفت ما واعدته عليه ؟ ولما هذأوا نأثره وأكذبوا له أنها ستكون أخيراً كبيرة له تؤثره بعفتها ، وأصفيه مودتها وإجازها ، أجاب بإجابة الحب القنوع المخلص « إذن سأكتفي منها بحب الأخت وعطفها » .

روينا هذه القصة العجيبة مفصلة ، لنضع عينين القارئ على فرجة من هذه النفس الجياشة الحاملة التي امتيقت غرايزها وتنبهت جوارحها منذ الطفولة الباكرة إلى نداء العاطفة المرهفة ، وتطلعت لهفانة إلى لون من مذاقات الجنس ، وصارت توافقة إلى إجتناء ما في الحياة من لذائذ ومتع ، وذلك دليل على مزاج شهوي باكر . كان له في مُستأنف حياة الشاعر أعمق التأثير وأخطر الأثر .

وقضى ألفريد دي موسيه سني طفولته في عصر حفل بأحداثه الجسام ، وقلقه المتلاحقة ، وابتلاياته الداوية ، وشهد مصرع المجد الامبراطوري ، وانهزام النصر الكبير ، وإيداعه قفس المنفى الصحيح .

وكانت قصة المشربة البقلى ، وحسنه لتدقيق المهف ، يتقلان بأصداء هذه المراهز المتعاقبة ، تصدم بدويتها الرقيب ، جوارح أبناء الجيل ، وتزلزل أركانهم ، وترج كيانهم ، وهي لا تني متواترة متزاوجة ، يأخذ بعضها برقاب بعض . ويحدثنا شقياً « بول » أن « ألفريد » كانت تتملكه في الحين بعد الحين ، بوادر من الغضب المكتوم ، لا يملك إلا أن يتفلس عنها بهاذل من الدمع المتون ، وهو ينعت متزعزع الثاب ، إلى حديث المصائب التي إنصبت على رأس فرنسا بعد هزيمتها الكبرى في واولو ، وما أنقل كاهلها من ذوادج التبعات ، وباهظ المقارم ، وإن كان لم يدرك لعصر سنه مدى هذه المصائب وما خلفته تلك الأحداث الزهية من عمق الاحساس بوقع التهجيع في نفوس أبناء الجيل ، ولكنه كان لفرط ما يسمع من ذويه ، ومن كانوا يلاسنونه في بيئة البيت من أصدقاء وخلان ومعارف لاهله ، دائم الحسرة سادر التهمة على هذا المنار الذي مُسئ به وطنه . ولعله ، وهو يشهد حقائق الرومانيين المدحجة تدخل

باريس دخول الظافر ، قد طاف بمخيلته طائف من الأحلام الصيانية المثيرة . وهو يتصور فارساً من فرسان الأساطير قد هب لمطاردة هؤلاء الدخلاء الغاصبين وراح يعمل صيفه السحري في أقصيتهم وظهورهم فلا يدهم إلا رزقاً مشتتة وأشلاء بمنزلة ، على نحو ما كان يسمعه من صديقه «كليلي» ويحترزه في طوايا واعيته الباطنة من أقاصيص الجان والمردة ، وأبطال الخيال والسحر ، الذين تُنسب إليهم عجائب الأفاعيل .

حقاً لقد كان الطفل فذاً في خياله ، فذاً في ذكائه ، فذاً في رمانه الحس ووقته ، فذاً بما وعده واختره وأثار بلايه وأشجانه ، وهو بعد طفل لم يخط الـ طمر السادس ، أي في المرحلة الأولى من مراحل عمره القصير الخائف .

— ٥ —

مرحلة التعليم

وما حلّ عام ١٨١٧ حتى انتظم «ألفريد» مع أخيه في سلك الدراسة في معهد من معاهد التعليم الابتدائي ، وكان الخلاف على أشده يومئذ بين أنصار الملكية ودعاة الحرية وأشياءها . وطبيعي أن يكون لهذا النضال الناشب بين التفرقين في عنف وشدة بعض أثره وصداه في أفكار غلمان ذلك العصر وصيته . ولم تكن مباحة الرأي وحرية النقاش وصحة العذر واحترام العقيدة بالصفات التي تاسم بها حقبة من الفتن كانت قد تردت إلى الخضم الأعمق من جحيم الحزبية .

ومن ثمة لم يكن نصيب المتعصب لعقيدته وبخاصة إذا كان ملكي النزعة أو أمبراطوري الهوى ، إلا الاضطهاد المرء والتضييق الجائر والملاحقة المزعجة من التفرق الآخر ، فلاعجب أن كان «ألفريد» وأخوه ، وهما أجمع مع الأمبراطور الذي طوّحت به الأقدار إلى منغاف السحق ، لا يلتقيان من رفاتها وأساتذتهما في المدرسة ، وهما الساذجان في إظهار متجه هوانا وخيبة ميلهما إلا الاضطهاد والتضييق البالغين ، وقد خلقت هذه الذكريات المدرسية الموححة مدنها المرنة في مشاعر «ألفريد» ، فلا حرج أن كانت قاعدة من القواعد التي بنى

عليها فيما بعد فكرة كتابه الرائع « اعترافات فتى العصر » والعين الثرة التي صدرت عنها
مواكب خطراته وسوانح أفكاره .

وما اتقضى طويل وقت حتم طافت نفس الصبي هذا السجن الضيق ويرمت بهذا المحبس
الموحش الذي لا يجد فيه منطلق خياله وشيخ حبه ، فهو ينشمر في صرامة لظنه ما يأخذ
على عقله سرعته الخاملة التي تفيض بالتأمل ويروثي حواشيها ذهبي الآمال . ولم ينقد الثقلين
من حياة المدرسة الرتيبة المرة إلا إصابتهما بحمي « الحصبة » ووقوعهما فريسة لأوجاعها
الناهكة . ومن ثمة اعتكفا بالمنزل حيث تتلفذا لأحد المدرسين يتلقبان عليه علومهما الأولية ،
فضلاً عن دروس الانشاء والبيان ومقطوعات من النثر والشعر تناسب منهما وملكاتهما .
ولما كان « أتريد » ميالاً بطبعه الى القصص مطلقاً فزاده ، منذ أن تنبث فيه غريزة
التطلع وشبت عنده ملكة الخيال ، على كل ما يروى له ، وهو ملق بسمعه ووعيه وبكل جراحة
تنبض فيه ان من يقصر عليه ويروي له ، فإنه قد وجد الفرصة المتاحة ليُشرب نفسه وحبه
وذهنه وخياله بهذا المتاع العقلي المحبب اليه ، يستهلك في أجوائه الفنية وآفاقه الخائفة شوقه
الذي يلعب قلبه الصغير ويستنزفه الى طلب الأقصوة التي تشبعه والافكوهة التي ترضيه .
فليس من عجب إذن ، أن يرى هذا القارئ الصغير ، قد غرق في مطالعته القصصية الى
أذنيه . والواقع راح الفتى يعب في نوم ولذته كل ما صادفته يده من قصص وروايات ، قصرت
أو طالت ، موضوعة بلغته أو منقولة عن غيرها من اللغات . وفي هذه الفترة التي تفيض
بالخيال العاطف والتأمل الخالم ، قرأه أتريده رغم صغر سنه قصة « نلف ليلة وليلة » واستنشى
فيها ، وفي غيرها من انقصص الفارسية والعربية ، جوها انطوري الفاعم واجتنى إيمانها
المسهورتين بحال الحياة الشرقية الساحرة . تعرض على لوحة مخيلته أبداع الرؤى وأمتع الصور
وأروع التهاديل !

لقد سكرت حواس الفتى الناشئ بتلك الحياة الخليعة العذار ، وهي تعرض عليه مشاهد
مُفزعزة من العواطف المشبوبة والتراثر المستعرة ، وما من عكث في أنه تبس منها وهجاً
حاراً بي له زاداً وعتاداً بلغمه أفانين من القول والفعل طوال أيامه التي طاشها .
على أن من « أتريد » انطوري الى التشمع بالجو القصصي الخالم وجنوح مشاعره الى

الاستفراق فيه ، قد حبا إليه أن يحيا عن طريق التمثيل ، حياة أبطال القصص وينهج ، ولو بطريق الحركات والتعابير والاشارات المسرحية ، منهج شخصياتها الآخاذة ، وكأعاقده أحس في هذا الجو تفرجاً لطمحات نفسه وتنقيساً عن الخنزير المضر في حناياها من الأحلام والظلمات ، ومن ثم راح يتخذ - بمعاونة أخيه بول - من أثاث البيت وحجره ودھاليزه مسرحاً يخرجان عليه - بصحبة من الأراب والأخدان ، تلك المشاهد والمواقف التي سحرت خياله وحركت في أمعائه كل نابضة ، ونهبت كل خامدة !

فهو دائم في ساعات فراغه وأوقات خلوه وطوره ، على هذا التمثيل والتخريج الذي أفهم نفسه بجو من الرموز والأشعار والنظائر ، كان له من بعد أكبر الأثر في تميق ميله إلى صبغات الفكر الشعري التي بثت فيها وهو شاب مكتمل الأشد ، آراءه وجماع فلسفته الخاصة من كثير من الحقائق والمناقضات ، وحاول أن يصوغها للمسرح فصعاً تمثيلية تحل عواطفه وتسجل آراءه في الحياة والأخلاق والناس .

وكانت العائلة تقطن وقتئذٍ مكانها بشارع «كاريت» وهكذا بقي حال التثبيس على هذا النهج الذي اختطه لنفسه ورسمه لمواهبه وهوأياته ، ملتصقاً حين نفسه على قاربه مستمتعاً بنسجة من الحرية يحمده عليها رفاقه ولداؤه ، إلى أن انتقلت عائلته في عام ١٨١٨ إلى منزل آخر بهجرود في سواحي باريس ، يقع بشارع «كيني» . وكان البيت الجديد يشبه الأديرة في طراز بنائه وترسيم واجهته . ولكن حديثه كانت مقدمة الجوانب كثيرة الأشجار خاصة بالشلال ، ففرح بها الصبيان واتخذوا منها مسرحاً جديداً يعاودون فيه تمثيل ما يقرآنه من حكايات وقصص ، مواسلين حياة لاهية ، هي أقرب إلى الضحك والتبطل ، تجرئ وفق الغريزة وتسير جنباً إلى جنب مع طباع الطقولة الحرة وأغصابها المتورمة اللينة .

وكانت المدينة تنتهي إلى حقول المزارع والمنايص المترامية ، مُدهامةً في ضباب الهمد ، آخذة الغين بما يشاقب عليها في ساعات النهار المختلفة من انكساعات الظلال والألوان وحركات السحب ، مشتتة الأذن بما يرن في جوائها من أصداه وصدحات ترسلها الطيور المترفة الشادية ، وهي تقادي أوكارها وتراوحها .

وكان التعبدان المميزان يواصلان تلقى دروسهما في مبادئ التاريخ وعلم تقويم البلدان ،

ويستظهر أن ناذج من النثر والشعر يجلس الدرس المعتود بالحديقة أو في المزارع ، وسط هذه الطبيعة الغنيّة الخافتة بألوان الجمال والجلال .

وفي نوفمبر من هذا العام عادت العائلة إلى بيتها الأول بتارخ « كازيت » وكانت الدار القديمة موحشة قاذفة ، لضيق رقعتهما وأحمار مدي حرّساتها عن جدران البيوت الأخرى المتكاثفة ، التي تحيط بها إحاطة تكاد تأخذ عليها منافذ الجوّ ومسارب الهواء .

وما كان العجب أيدخلنا ، وقد رأينا مطابع « ألفريد » لانيلير أو تاس إلا في جوار من الظلقة الخالصة من عقال المواجر ، الباصحة المشرقة لكل جورّ مرّح حافل بألوان السرور والبهجة ، ما كان العجب ليندخلنا إذا رأيناه في أوبته مع أمرته إلى البيت الأول حزين النفس كاسف البال متعجّب منحة الوجه ، فهو يرم بوحشة هذا البيت ، محتاج العصب لهذا الحليّ المزخوم بأبنته وشواهي جدرانها ، الموقر منذ طلعة الصبح حتى هبط الليل بأصداء زياط لا يقطع وأصوات تاجيب يفوز الاعتصاب المرفعة المتوتبة . حقاً شأن الجوّان ، وبأبعد ما بينهما من فارق ، وما أثقل ما يتركه هذا الفارق من ضيق وحفظ وثورق تلب مشاعر الصبي ، فتجعل عصبيّ المزاج ماهر النعمة ، وهو لا يكتبي بأن يجعل من نفسه المستوفزة مبدئاً حيثان هذا السخط ، واضطراح ثرائره ، بل يجاوزها إلى ميدان البيت ، يفرغ فيه فيض تلك الترة المتجزرة ، فينهال على أمانه ورياشه تحطياً وتزيتاً ، غير عازء بشيء ، ولا منصرف لغيرت ياديه أو زاجر .

ولحينئذ ليس أتوى من هذا دليلاً على عدّة تعلق الشاعر ونعوق قلبه بالجوّ الغليظ الخار وخواصة إذا مثل له في زحمة المكان وراحة الثوى ، وجلوقة الطبيعة العذراء تفر له فيه من شيء ما يشاء وهو ما يمكن من شيء . فإن شاعرنا ما زال موكولاً بإرثه سمار تلك التباهة البذرة على مطالعة القصص ، وتقع غلته بما دأبه من رواياتهم ، ولا سيما تلك التي تحفل بعارض التروسية وتعمج بمواقف البطولة وأجسادها ، وما يتخلل ذلك من صرعات التوسر وانكدارات الأرواح ، لكثرة ما يعرض لها من غمراث اتناء والملاك ، خلال معارك المؤجحة .

وقد كان أمثال القصص التي تدور حول « تحرير أورشليم » ووصف حروبها التاريخية

وأحداث بطولتها الدامية ، تسهويه وتزج أعماقه وتثير روايته شعوره الباطن ، وتفتح عيونه
 للملتين على مجال النفوس الكبيرة ومصارع أهوائها وأحلامها ، فتفتح في نفسه فسرج
 جديدة تلمنها ميوله المستقرة وراء وعيه ، وهي ميول تنفي بزجاج نائر متقلب ، وإن غلبت
 عليه في أكثر الأحيان الغزوة الخنونة الملاملة التي تطامن من حدته وتخفف من وقته ،
 وتسمو به إلى سماوات الوداعة واللين والرفقة .

وضاق المدرس برؤسه أهل الشاعر ذرعاً برف الصبي في إشباع دوايته ترادة وتخريجها
 وتبلياً ، وبين كان يشركهم معه في هذا التتميل والتخريج من أفواج الصبية الآخرين ،
 فيلمس في ثورة الجلبة ومبارك السكر والتمر المصنعة ، واجب التعذيب حبال درمه ، طمداً
 أبداً إلى قتل الوقت بالإيمان في أذنين عينه وتبطل وطوره ، ودن تبة لم يبدوا نداءً من أن
 يدخلوه معبداً نظامياً يتخريج فيه ، وألقوه بأقسام لطارجي من كلية هنري الرابع .

ومن طرف ما يحكى عنه في هذه الفترة ، أنه رجع في مساء اليوم الذي أدخل فيه ذلك
 المعبد ياكيا ناعجاً ، تحرق صباغ سخفه وتتوقد زفراة غضبه . لقد سخر منه زماؤه ،
 وركبه بالدعابة القاسية وظالعه بالاهكومة السحجة ، عندما وقعت أنظارهم عليه ، وقد
 أرسل شعره الذهبي الوخيف ، يتدل قريباً من كتفيه ، وعجبوا لتلك الثياب المهذمة على
 صورة هي أقرب إلى زي النساء ، منها إلى زي الصبية الذين هم رائده في العمر .

حقاً لقد كان ألفريد منذ طفولته الباكرة قسياً وسيماً فائن الذمعة ، فلا يروى تخارله
 أمه من الهدام والزي ما ينسجم ، في رأيها ، مع هذه القسمات الحسان وتلك الملامح الخلوة
 فجاءت ثيابه في جملتها وتفصيلها مظهراً لذوق لسوي محض لا تتفق رفته وميوعته مع
 خشونة طابع الناشئة من الصبية ، وما فيهم من ميل فقاري إلى الاندفاع في جور من الطرح
 والمرح والجلبنة والتعارك أثناء طومر ولعبهم ، وهو جور لا يواظبه إلا سرادة الخشونة
 الثامة في اختيار هدام لهم واختصاصهم بزي للبايم .

وهكذا ثبت المقرض بهذا الشعر الذهبي الأشقر ، واستبدل صاحبها بثيابه لينة
 أخرى تجدر بأمثاله من الصبية ، والفتيات ثورة سخفه بإندماجه في حبه وتجاهله به حواء .
 وأظهره ألفريد ، منذ بداية دراسته بالكليّة ثانوياً ونوراً قادرين ، وقد تحبب أثر

هذا التفوق والنبوغ في أسلوب إنشائه ، فقد كان مُجلبياً في توليداته ، بارعاً في صياغة عباراته ، رهف اللوح ، دقيق الحس خيالي المزاج فيما يصفه من ألائين تصويره ومعارض أوصافه . ولا جرم كان لمطالعاته القصصية الطويلة ، أثر قوي انطبع في مخيلته ونمى ملكة الابتكار عنده ، وترك ميسمه ظاهراً واضحاً في كل ما كان يكتب في كرامته المدرسية من موضوعات لا تكون غالين إذا قلنا إن كثيراً منها ، إذا راعينا سنه ، بلغ مرتبة الناجح المختارة والمنتخبات المنتقاة .

وتوالت أيام الدراسة وتماقت فتراتها ، وإذا بحساسية الشاعر المفرطة ، تصور له في لحظات احتجازه وانطوائه على نفسه ضرورياً من الأوهام والخيالات ، تتخذ صورة الأشباح والأطياف ، فهي رؤى تملأ عليه ذهنه في البقطة ، وتسحره وتبهره في مرافد أحلامه . فلما أن اشتدت عليه وطأتها ، أحس بحاجة لاهفة الى من ينفي اليه برحماً ، عماه يشاركه معتقده في ثبوتها وحقيقتها . وكان يجتمع بأخيه « بول » ، بعد أن قرئت معاهد التعليم بينهما للحاق كل منهما بمرسته ، أيام الآحاد ، وهي عطلة الأسبوع . ففي ذات يوم أفضى بحالته هذه الى أخيه ، مستطفاً رأيه في حقيقة الأشباح ، فأرآه منه إلا استهواؤه ومخبره بهذه العقيدة النظرية البالية ، عقيدة « الجن والسير » وتأكيده في لحظة المؤمن المستوثق ، أن أمثال هذه الخرافات لا تحترها غير تخيلة مؤلف من أمثال مؤلتي « ألف ليلة » ومن جرى في الخيال مجرامهم ، واعتطف في التخيل والتهوريل شططهم .

وقد أسف « ألفريد » امدم مشاركة أخيه له في معتقده ، إذ كان يؤمن في قرارة نفسه بما تصوره له مخيلته الطفلة من أن الانسان إذا لم يستطع أن يتجرد أو يفنى عن جسمه حتى يصير كائناً غير مرئي ، فإن في مقدور حيلته أن تصطبغ له من ألوان السحر ما يعارض به عن هذا العجز الكامن في طبيعته ، فيملك من حفي القوى ما يصوره في أعين الغير بصورة عذرت من غفارت الجن ؟ !

وكان « ألفريد » في شغبي كل حلم من هذه الأحلام ، يحس كأنما قد جهده ، وأن يبدأ غايظة ضاغطة أخذت بكظمه ، وردته الى متادة من الصمت المروع ، تستنبض موجاته استغامة تستغرقه ، ولكنه صمت يصاحبه في أذنيه بأوائنه الطرساء الموحشة ، ويجهله

صامًا جامدًا لا يبي من أمره غير خفقات لقلب كلية ثانية ، تتجاوب أصدائها البعيدة كالهدير المكتوم بين أصالته ، ثم لا يلبث أن يستشعر الصدور يتدسى إلى أماته ، ويحمله إلى عالم غريب من الأحلام والرؤى .

وكانت هذه الحالات الغريبة تتناوبه في الأغلب على فترات متقاربة ، وهو إن ضاق بها حينًا ، حن إليها أحيانًا ، وترقبها ترقب المثلث على ما يغذي نزعه إلى الخيال الغريب والصور المنزوعة ، التي تدني من مقدوره الغرائب والمعجزات وتصورها في وهمه أهياء هينة تافهة ، وكأنما قد حان الوقت الذي يخاض فيه العبي من أوهام . هذه المقدمة الموبقة ، وتغرب عن فكره خيالاتها المزججة ، فوقمت في يده قصة الكاتب الألباني « سرفاتس » وهي المعروفة باسم دون كيشوت ، وطالع فيها « ألفريد » وقائع البطولة الروميّة وتماثل ملامحها المزيفة ، فتبدلت حالته النفسية واستطاعت هذه القصة الفذة أن تمنح أحدًا لميله إلى عجائب الروميّة ومعجزات السحر والسحرة .

وهكذا انتقضت عند « ألفريد » فترة الحلم بالعجائب والمعجزات ، في وقت كانت تبدأ في غزو عقول غيره من العبية ، ولم تخلف وراءها سوى أثر شعري رقيق ، وميل إلى اعتبار الحياة قصة من قصص المفاجئات والأعاجيب ، يلعب فيها الحظ دوره الأكبر ، طينًا أبنًا بمسار الخلق ومقدرات الحياة ، ويظهر منه هذا الميل بأجلى معانيه في قصصه التي أدار حوادثها حول أشخاص وميّن نسب إليهم أفكاره ومشاعره التي كانت تخالجه خلال تلك الأزمان .

وفي صيف عام ١٨٢٢ رحلت العائلة إلى بلدة « فنوم » قضاء العطة عند عم « ألفريد » بقصر « كونييه » وكان فرح الصبي بالتمكّن عند ما استشرّف قصر العائلة القديم وطالعت مئنه ذلك الطود الشامخ . وكان البناء قديم الطراز على نمط القصور القديمة ذات الدواليب المتعددة والأقنية المظلمة والمسابب الخفيّة والأروقة المتدّعة .

وقد أثارت فاعات القصر الموحدة ومساربه المتشابكة وجدرانها الصمّاء العالية ، بلايل التي وهزّت كامن شوقه ، مرة أخرى ، إلى حياة الأشباح والخيالات ، ولكنه هرق ما التصع سراجة وتوهجت شعلة حتى خبا والظلمة ، إذ لم يعد من وراء استطلاجه وجولانه خلال

بجاهل انقصر ومهجور أجزائه بغير انخيار الطائقي وأنسجة المناكب الضاربة ثم اذنها في
لجوات المدران ومخالي الأتية، وهناك أيقن «أنفريد» أن وساوس الوهم يجب أن يمدل عامها
مثار صفيق من النسيان ، فلا تعود تلتقي في روعه الاضطراب والوحل ، ويركبه بالدهول
والخيرة .

وتكررت الزيارة عام ١٨٢٤ ، وكان «أنفريد» قد بلغ الرابعة عشرة من عمره . ومحدثنا
«أنفريد» من ذكرياته السعيدة عن تلك الاجازات المروحة وأوقاتها الهنيئة الملوحة، أنه كان
يقضي صحابة يومه منثياً حالمًا ، فهو قارةً في زهرة خلوية يجوب فيها أرياض الناحية
ومروجها ، وقارةً يصطحب بندقيته في جولة من جولات الصيد مع أخيه ، وآونةً تالسة
يحمل ديواناً أو أكثر من دواوين الشعر التي تروق في عينه يقتل بها الوقت وهو مستند الى
جذع شجرة فيسنانة تدل عليه ظللاً ندية من أفنانها الواوفة المتهللة .



أما أميانه فكان يقضيها بين « البلياردو » و « الشطرنج » فهما «لواه في صدر الليالي
الظوية الشاجية . ولم تكن تخلو رسائله التي يبعثها من مصيفه الى الأثيرين من صدقانه
وأصفيائه ، من ترنيمات متوهجة بسماع الغريزة الجنسية ، التي استحدثت وجاشت في طلب
المنبض والمنفس . فهو في من المراهقة ، دائم التحدث عن الجميلات من الفتيات اللاتي يريد
أن يصل من حباله وبينهن هيامه وإعجابه ، ولو عن طريق التخيل والتمني ! ولعل تلك
الرسائل النالقة بسورات الشباب وخواطر المراهقة القلقة الوطانة ، وهي التي تبادلها مع
صديقه وزميله في الدراسة « فرديناند دورليان » — الدوق دي شارتر فيما بعد — دليل بين
على استعمار مزاجه الجنسي وتلقفه الحار على الألية والعشيق التي تستجيب وإياه لتداء الجنس .
وكان في تلك الفترة يدمم قراءة شكسبير وشيبي ، وكان هذا الأخير يستمره بالمواقف
المؤججة والمشاعر المتقدة ، ويهزه ما فيها من غمراً وحادثة .

والحق أن هذه الرسائل وإن كان غلواطرها الشاجية مدد في بعد في نفسه جعلها تزخر
بالمرحس وبلال واشكوك ، إلا أنه كما يقول في إحداها « ماكن لينتد روجه القرماسي
الأمر ، ذلك الروح الذي يضحى عند ما تمهيء له المعادة السعيدة فتاة أسلامه الجملة ، لتأخذ

يده من وحدة هذه الشكوك والوساوس ، وتلقي على ظلماتها بنظرها الساجية الخالوة فتذهب بها أبديداً !

وعرّ على الفنى الأيام والأسابيع والشهور وهو ما كفى على دروسه ، مُجد في استذكارها دائب على تنقيف عقله بما يطالعه ويتذوقه من طرف الأدب وغرر النثر والشعر ، حتى هبّاه ذلك إلى أن يكون دائماً في طليعة صفه وفي مقبلة زملائه من الطلبة . وكان مستقلاً في كل ما يرتبه ويفكر فيه ، فله طابعة للخاص به وطريقته المقصورة عليه ، وقابله الذي ظلّ موكولاً بنسوته وصقله إلى أن جعله صالحاً لأن يصب فيه بدائع فنه وعجائب زخرفه البياني .

غير أن «ألفريد» في غمار مطالعته الخاصة ، وفي مزدهم دراساته التي يتلقاها في الكلية ، لم يكن بالمندوع الفكر المضيع الحس الباهت البصيرة ، وقد تباعدت رويداً تلك الثغرات التي لا يبدو فيها إلاّ فنى حالمٌ مستغرقاً في مكرة حلّه الرائع ، يجتلي مشاهدته ويخرج أفوايقه ، والواقع ولح الفنى يعاير بأقيسة الشك والتدكل ما تقع عليه عينه من قراءات ، وكل ما يصدّم أذنه من مذاهب ونظريات . وقد قويت فيه نزعة الشاكلة النافذة ، إلى حد أن برز أثرها واضحاً في إنشائه وفي إجاباته على شتى اختباراته ويدعى ذلك إلى ما تركته دروس الفلسفة والأخلاق من صدئ بعيد في نفسه ، كان له أعمق الأثر في غرلة آرائه ومعتقداته وزلزلة مقاييس نظراته التقليدية إلى الحياة والناس .

وهكذا عبر بزورق فكره القليل المشكك ، خضم القاسفة الجراح العجي ، من سيدنا وزا إلى ديكلت ، إلى غيرها من الفلاسفة المعاصرين له ، ذير أنها كانت رحمة عفوية باشكوك حافلة بالاشراك ، مزحومة الأفق بالعواصف والأنواء ، لم يرجع منها بسعادة العامية التي تشدها عقله ، وما عم أن تستجد بنظار قلبه وفيوض وجدانه يستلهم منها الذلاء لينير له دياجي المشكلات وعوامض النزعات الفكرية التي لا تسكاد تبدؤ له بين غبار الأدواء والحوائز المظنة ، وهكذا لم يجد شاعرنا بُدّاً من أن يعتصم في آخرة أمره بإيمانه بالله ، مستلجماً وحي «اللانهاية» ، مستفتحاً أبواب نعيمها الروحي ، ففيها الخلاص من لوثات الشك والمطهر من وساوس الزيف والضلالات

وقد تحلى ، فيما نعد . هذا الاستسلام الطيب وذلك اتبعين الدافق في كثير من خطراته ،

عن مشكلات الحياة، وفلسفة الجمال، وان لم يقدم الباحث المتفق أوراها بعض الجمل والتعبيرات
والتشبيهات مكامن خفية لشك تكاتب مرابي آرائه : «وتسابق مطارح أفكاره !

— ١٧ —

هوايات الشاعر

وعندما أتم «ألفريد» دراسته بالكلية، ألقى أنجورا الحياة العملية تشظيه تان تقليديتان،
هما الطب والتمامة. ولكنه لم يجد في قرارة نفسه ميلاً جديداً الى أيتهما، وكان يكرّر
هذا القول لكل من لاهه واحتت عزيمته على معاملة واحدة منهما : « لن استطاع الانتفاع
بي قط في إحداها ولن أمارس مهنة منها ! ». وهكذا اقتطع عن مواصلة دروس الطب بعد
أن واطب عليها فترة من الزمن .

وانتبه مرحة من التبلبل والحيرة، أي الممالك يمتط لنفسه وأي الطرق يسلك ؟
وكاد يفقد الأمل في نفسه لولا تأكيد أستاذ الرسم له بأن في مكنته أن يصبح في يوم ما
رساماً عظيماً، لو أنه عكف على متابعة دراسته له وتمرسه بشئ فنونه، وهكذا اشتدت
هواية الرسم عنده وتمكنت ملكتها منه . ولم يمض طويل وقت حتى كان «موسيه» يرسم الصور
المعروفة باسم « الكاريكاتير » بيد متمكنة وذوق فني سليم .

وفي ربيع عام ١٩٢٨ استأجرت العائلة داراً جميلة في أوتي « Antecil » وهي ضاحية
ضخمة هادئة من ضواحي باريس، وتمتاز بقربها من العاصمة الفرنسية. فكان «ألفريد» يرجع
من معهد الرسم والتصوير ظهراً الى بيته ماراً في طريقه بغاب بولونيا، وفي يده ديوان
الشاعر « أندريه كينييه » وكان شديد الإعجاب به، يخف أدبه على نفسه،
ويخص آثاره بنصيب كافٍ من أوقات فراغه . ولم يكن أحب اليه، وهو يسير متباطئاً
الخطو، مرسل الطرف، مسح الخاطر، من أن يستظهر الكثير من أفعاره . وكانت تلك
الفترة غنية بالمراميل النسبية والاجتماعية التي استنارت فيه شعاعه وحفزت كامن ميته الى
نظم القريض، والواقع كما قال أخوه «بول» : «إن الطريق بين رواية «ألفريد» لطرائف الشعر وبين
نقشه لفرده وبدائمه، كان قصير المدى إلى حدّ يشي المحب والدهش !

ويأتعمل أداني « ألفريد » ذوب هواجسه وخواطره وأحلامه في مقطوعة شعرية حزينة، تفيض بالأسى وتفيض بالحنن والالوعة، ولشدًا ما أهرج فؤاده وأتلج صدره أن أتبع له فرصة زيارة الشاعر النازي الكبير « فيكتور هوجو » رأس الكشّاب الإبداعيين في عصره. كان الصراع على أهده بين أنصار « الكلاسيكيزم » ودعاة « الرومانتيزم ». وكانت حركة التصوير الرومانتي للحياة، ثمرة من ثمرات الثورة الفرنسية الكبرى، فاستحوذت الرومانتية على النفوس في مطالع القرن التاسع عشر، وكانت هذه الروح كآقلنا مولمة بالثرائب، موكلة بالأسرار. تسهرها عصور الثرائب والمدنشات والكرامات، ففرّنت الأدب بزعة الخيال العاطف وطبعته بطابع الاحتواء والصوفية، وبكل ما يثير لواعج المواطف الانسانية ويرزها في شتى حالاتها وصورها وهواغل أحلامها.

وفي دار فيكتور هوجو، لسم « ألفريد » الشاعر الناشئ، أول جوار أدبي لأعظم أندية العصر، فقد كان بيت حميد الأدب الفرنسي، بمثابة منتدى لجمهرة من الأدباء يتطرحون فيه عيون النثر والشعر، ويتناولون حركات الفكر وتيارات الثقافة بالتقدّم والتطبيق المرّ. وكان الجميع، بطبيعة الحال، أسبق في عالم التأليف شهرة وأرسخ في دنيا الأدب قديمًا، ومع كل شيء فإن « ألفريد » لثقته واعتداده بنفسه لم يهله طول الشوط ولا راعته سعة الميدان، وأقدم على الانساج في هذا الجوار الأدبي الرقيق وكان جريئًا في إقدامه، إلى حدّ جمعهم بعد قليل على عقد أوامر الصداقات بينه وبين كثير من الشعراء والكشّاب، فنتمّرف إلى « برومبير ميريه » و « سانت هيب » و « ألفريد دي فيني » و « A. de Vigny » وغيرهم من أقداد الرومانتيزم. وقد أمّانته عدوى هذا الجوار الحماسي، فسارع لطفان النفس إلى نظم الشعر وترجيع صفحات التعصيد، حتى صار وسواسًا له أو شغلًا. وكانت ثاني مقطوعاته الشعرية قصيدة حزينة تحكي قصة عذراء إسبانية شاء لها عنار الجسد أن يموت حتّى أياها واحنًا في أثر الآخر، فتملت وهي بعد كاعب في زهرة العمر ومبعة للصباء. والواقع أن إنحراف « ألفريد » إلى استلها نواحي المأصاة في الحياة الانسانية طبع جانبيًا من قصائده بطابع الحزن الذي قارب أن يكرن آشاؤمًا ويأمًا. ويقال أن « هوجو » كان له، في بداية أمر الشاعر، أثر المنع الذي يصقل باللسان اللدقيقة لسيح الشعر، ويحكّم له انتظام بين مصارع الايات.

وما لبث أن توسط أحد أصدقائه ويدعى « فوشيه » في نشر مقطوعة أخرى له باسم « الحلم » في مجلة تصدر ببلدة ديجون . وكان ذلك في أغسطس ١٨٢٨ ، وقد ذيل « ألفريد » المقطوعة بالأحرف الأولى من اسمه واحتفظ بالعدد الأول الذي ظهر فيه . وفي أسيوحة يوم من أيام عام ١٨٢٨ ، سارع « ألفريد » إلى منزل « سانت بييف » وأيقظه من نومه ، وصاح في وجه صبيحة الطفل الظافر ، والنشوة تهز جوانبه ، قائلاً : « وأنا أيضاً أنظم الشعر ا » وأصبح « سانت بييف » أن يقرأ « لموسيه » بعض مقطوعاته الشعرية الحزينة التي تواتت من يومئذٍ وتداولت موجاتها بمجلة بأحلامه وأمازيه ونشواته وأصداءه قسه التلقائية الحائرة في عجزها الطويل عن العاطفة المشوبة للخالدة .

ولم يسع « سانت بييف » إلا أن يشيد بمواهب هذا الشاعر الناشئ ، فالتقى يوماً بأصدقائه من زوار النادي وأنبأهم في لهجة الوائق المؤمن بما يقول : « إن بينكم طفلاً عبقرياً » ، وسرعان ما التف حول « ألفريد » جمهور الحاضرين من الأدباء وأوسعوه تقريظاً وثناءً ، وكأولاً له آيات المديح ، بعد أن سمعوا شهادة صمد النقد في عصره فاضحةً بالثناء عليه وانتقير له . وفي ذلك الحين كان جسم « ألفريد » قد اكتمل نموه وبتق عوده وأخذت الرحولة المذلة بحملها ورشاقة تكوينها ؛ وكان أنيق الهندام معنياً بالنسجام زيه وسلامة مظهره ، والواقع كان « ألفريد » لا يبدو دائماً إلا قشيب الثياب معطر الأردان مرجل الشعر تيداه المشية حالم النظر . وكان قد تخلص من طادة الطوف والتهيب والرم ، وأخذ من وقتئذٍ يعتاد ارتياد المسامر والملاهي وغشيان محافل السمر التيلى ومراتص الحانات والمطاعم ، وراح يسرف في إلتهايم لذائد الحياة العصرية وسرآتها المتعددة وأنوان متاعها الناهك .

وبدأ يتعرف إلى النساء واحدة في أثر الأخرى ، فالتصافح ووجهه مليحة من حسنات العصر ويتعرف إليها حتى يعلّ عشرتها ويوليها ظهراً وما يأفل من أفنى حياته كوكب حتى يهره في مناء العشق لآلاء كوكب جديد بازغ ، ولكن ثمة نساء قلائل كان لهنّ في حياته وإنتاجه أعظم الأثر .

كان يشغل وظيفته كتابية في شركة من شركات التدفئة ، توضع له فيها والداه ، وما كان يدخله منها ليني ، بطبيعة الحال ، مطالب شاب متلاف ينسج على منوال أربابه باريس ونسج

في الحياة نزعهم : فلم يجد بداً ، وهو بعد لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، من أن ينزل الى جحيم المقامرة ليحرب حظها ، وتعرض بما قد يربحه مما ينفقه على مطالبه المتعددة . ولكن الحسارة ما كانت لتمهله طويلاً ، وعندئذ ينهي سوء محنته ، ويستبدل بثيابه التيشية أخرى بالية مرققة ، وعصى صدرأ من الليل حبيس جدران البيت وهين حجرة من حجره القابضة الموحشة ولكن طبيعته العابثة الرحلة لا تلبث أن تعاوده فيلين مزاجه ويستدل طبعه ويرتدي أغر ثيابه ، وكان يؤثر الملابس المزخرفة المعروفة على طادة الزي الشائع في ذلك العصر ، ويخرج ليقضي ليله حتى مطلع الفجر معرّداً متمسكاً بين المرائص والمسارح والحانات وصاهر الليل وسهوي الجون والعبث ، ملقياً دبر أذنيه بنصائح أمه وامياً عرض الحائط بزجرها وسخطها ، فلا جرم كانت تؤثر ابنها ليرل عليه ، وإن كان حبها القديم تشاها الأشقر الصغيره أفریده ، لا يلبث أن يطوع قلبها الحنون له ، فتجيبه الى كثير من طلباته ، كأنها تماود معه تدليل الظفلة وأغاني المهد ، ناسبة أنه اليوم شاب تام العنوان مكتمل الأعدا .

- ٧ -

أول العهد بالانتاج الادبي

كان موصيه مولعاً بالقراءة منذ مطالع صباه الباكر ، وقد رأيناه فيما تقدم من أخبار نشأته الأولى ما كفا على قراءة القصص الخيالية الفنية بطرائف سرورها ومعارض أحلامها وغرائب أبطالها . وقد نما فيه هذا الميل القطري وتدرج مع مراحل نموه ، ثم أخذ جاداً في تنمية معارفه ومعلوماته عن الحياة والناس وأقارب المعقولات ، بالقراءة وباصتياب ما يقرأ . ولما بدأ يتدمج في أوساط الأدباء وينشئ بيئات المتقنين من أئذاذ العصر وصنوة أعلامه ونوابغه ، تطلع متفتح الجوارح متوثب الميول لهذا الشرق الى أن يأخذ من الحياة كما يأخذون ويداول الرأي مع أحداثها وجديد ما تطالعه به كما يداولون . ومن ثم قضى في برج فكره العاجي طم ١٨٢٩ وهي أول سنواته النشيء بخوالطها وأحلامها ، قرناً لا يتعدى

له سبر ولا تهدأ له طلعة ، محلاً ، إن تخونه المنطق السديد مرة لم يعوزه الشعور الصادق
والحدس العائب مرات .

وبدأت تهبط إليه من معاوات مستوحاه التفكيرى الاطمة الشعر « Lamuse » فكان يحسن
لتقاءها ويكرم وغادتها عليه ويأخذ عنها فنون البيان والحكمة يرفد بها حصائل فكره
ومخبرات عقده الباطن . وألمته اللمة بدورها غرر الشعر وروائع التعميد ، وهدته الى انطى
الكامن من هجات النفوس وخطرات الأوهام وخلجات المواطن . وراحت تفتت فيه من
سحرها ما يكرسه ويؤجج لهيب قلبه ، ويموِّره في أوهام الناس هاعراً خيالي النظرة ،
إلى الحياة والناس ، حالم المثالية ، وطان المشاعر ، منقلب الأهواء والطباع ا

ويملك الفترة الغنية بخيالاتها وتأملاتها ، جمع « أنفريد » من مقطوعاته الشعرية الكثيرة
كتابته الذي سماه « قصص من اسبانيا وإيطاليا » وأردفها بترجمة قصة عن الانكليزية بعنوان
« آكل الأفيون » . ولم يكن مستغرباً أن تضعيخ ثماره العقلية الأولى وسط المواصف
الداوية والتبادلات الطارئة التي كان يحدسها في محيط الأدب الجائش ، أمثال « هوجو » و « بترارك »
و « سانت بييف » و « جوتيه » وأضرابهم من أفذاذ ذلك العصر .

عانت نفس الشاعر وساعة التوظيفة وتفاهة الأجر الذي يعطاه ، كما لم يلبه هوس المقامرة
بغاية ما تنطوي عليه من شعور بالكآبة والخيبة وصوء الطوية ، وهكذا وكى وجهه شطر
الانتاج الأدبي ، طامعاً العزم على صدق العمل ومواصلة الدأب ، معللاً النفس بالتفوق
والسبوق وذيوع الصيت واستفاضة الشهرة ، فهي الطريق السوي إلى اتساع نطاق دخله
وانفتاح الأغلاق له عن كنوز الذهب النضار والنعم السائفة ولا وجه للاستحالة في الأرزاق فهو
يأنسى بالأفذاذ من معاصريه الذين جلب لهم انتاجهم ودأبهم التراء المريض والجاه البعيد ،
وفتح أمامهم أبواب المجتمعات الراقية والأوساط الرفيعة ، وجعلهم قبلة الأنظار ومنه
الاستماع ومهوى الأفتدة .

ولعلّ ما يدرك على صدق عزم الشاعر على بدء حياة خصبة منتجة يأخذ نفسه فيها
بالاعتناء وانتصار قوى الانصباب واستجاشة ملكات الذهن ، ما يحكى عنه من أنه ذهب
ذات يوم إلى أحد الناشرين ، ويدعى مسبو « كانيل » ليطلب إليه ضيق مجموعة من أفنديه

الشعرية في كتاب ، فلما أحصى الناشر عدد منعاتها وقدر الحجم الذي تفرغ فيه بعد التجميع وجدها ما تزال في حاجة الى زيادة تضاف إليها لتستوفى الحجم المطلوب ، وما إن أبدى ملاحظته تلك الى الشاعر ، حتى امتحله ال موعده قرب ليوافقه بمخاتلة بيت من عيون شعره ، وما عم أن استأذن « أثيرد » رؤسائه في أجازة قصيرة وشخص إلى بلدة « مانس » حيث عكف على النظم بحماس وحمية ، فا انقضى أجل الأجازة ، وكان عشرين يوماً ، حتى دفع إلى الناشر بأوراقه التي تضمنت ما بنيف على مائة بيت من الشعر المطبوع ، كل يسا الكتاب وأخرج لجمهور القراء في قطع وافٍ وحجم مقبول .

ولم تكن هذه العجلة المستكرهه ، على ما فيها من نصب وكدة ، لتأى بشاعرنا الموهوب عن إلهام الطبع وقواعد الصنعة ، وامتيفاء شرائط النظم القيم البعيد عن التخليط والضعف والتهافت ، فهو في تعجده وتأنيه مطبوع موهوب ، يصدر عن فطرة سليمة وطبيعة غير كديرة ، لا تشيل أبه كفة ولا يخف له وزن !

وفي أول يوم ظهر فيه الكتاب أقتنع والداه بأن يقبلا له حفلاً بالبيت يدعو إليه زهرة شباب الأدباء ، من تربطهم « بأثيرد » أوامر المعرفة ، واستجاب الأب لطلب ابنة الأثير عنده وجاء في مقدمة المدعوين : « مريمه » و « دي ثيني » و « لوليس بير انجيه » واستمعوا إلى الشاعر الشاب وهو يلقي عليهم في سوته الرقيق وبراءته الخنونة وتنغماته الشاجية ، بمجموعة من أبيات ديوانه ، ما إن رنت في آذانهم وتدوتها حواسهم الأدبية ، حتى استجادوها وقالت إعجابهم وإطراءهم ، واستنهضوا همه الشاعر ليوالي إنتاجه ويواصل العزف على مزهر الشعر الخفاق ، يستلهمه روائع ألحانه ومماوى نغمه . ومن يومئذ دبست به الرجل في وعور حياة التأليف والانتاج ، وتوات أشعاره ، مقطرات وأقصيص تحكي نوازع نفسه وتصور مطارح فكره وترجس بوساوس حسه ، وهو بين هذا وذاك يدوق حلاوة الفوز مرة ، ويحترق شعص الأخفاق أخرى ، وتتوزع قلبه الرقيق بوارق الأص في مستقبل باسم مرات .

وهفت نغمه الى معاودة حياة التمثيل التي علقها منذ صباه الأول ، فهو يود الآن أن ينأ عنها كتباً مؤلفاً ، لا زائراً متفرجاً ، وهكذا اتجه صوب المسرح ، وعزم جاداً أن يعرض له نصفاً تمثيلية من معدن شعره ، ترد له غار روحه ، وتجامع عليه ما ألف شعره .

وكان أن نظم رواية شعرية باسم «مخالصة الشيطان La quittance du diable» كان يستعد لإخراجها على المسرح حين شبت ثورة يولية ١٨٣٠ فعوت غرضه إلى أن هدأ نأرها وعندئذ نطقت قرائح الكتاب والمفكرين وعمرت الجميع موجة دافقة من الانتاج والتأليف. وكان لإحياء ذكرى نابليون، بمناسبة عودة رفاقه إلى أرض الوطن، نصيب ملحوظ في إذكاء حركة النظم والنثر، وبعث رواقد الشعور الوطني في قلوب الجماهير.

وتعرف «ألريد» إلى مدير مسرح «الأوديون» الذي طلب منه تقديم إحدى قطعه لتشيلها على مسرحه، فقدم له «موسيه» مسرحية كان قد ألها في تلك الآونة. وعنوانها «ليلة من ليالي البنفقيه» وقد منلت على خشبة هذا المسرح في أول ديسمبر ١٨٣٠، ولكنها منيت بهزيمة نكراء ماحقة، وتعالى صفير النظارة وضجيجهم وتصاعدت الصيحات الساخرة من وراء المقاعد والمقاصير. فكان لهذه النتيجة المشعومة أسوأ أثر في نفسه، حمله على تقليق المسرح وهجر التأليف له فقرة من الزمن مكتفياً بنشر بعض الاقاصيص في مجلة «La Revue Fantastique» ولكنه ما لبث أن انقطع أيضاً عن نشرها، وولى وجهه خالماً صوبه القريض، يصوغ بأشطاره سلسلة نظيمة من أفكاره وأخيلته، وينفض فيه ما ينقدح بين جوانحه من أشعات الاحاسيس.

وهكذا عجزه «موسيه» الذي عرفناه مثلاً صغيراً ناشطاً أن يكون في فترة من شبابه وبناعته مؤلماً مسرحياً ناجحاً! وفي تلك الفترة الحياصة بنفون إنتاجه الشعري، كان «موسيه» يحيا حياة خليجة العذار، سادراً في غلوائه، مسياً مسرح النهو في العايب اللاجن من سلوياته، معرضاً عن تلك النمايح المعجوجة الغثة يتخذه بها ذووه تشيره وتبخطه أكثر مما ترضيه وتفتنه! وكان يتخذ من «كاديه دي باري» الاثيقه مكاناً مختاراً يلتقي فيه بزملائه من الكتاب والشعراء الابداعيين، حيث يتواعدون على مواعيد لتشره والرحلات والولائم يتسمونها بين أصابعهم الباسحة، وأماسيم الزاهرة، فهم جمع من الشبية العايبه لتتطرفة، التي لا ترى الحياة إلا أكأس لذة موصولة أو جام نشوة مسكرة الرحيق!

وما كان «موسيه» ليخرج من هذه الحياة الموكولة أبداً باحتجاشه رواقد الفريرة فيه، خاني الوفاض من التجارب، صغراً مما ينمي فيه مواهب الذهن ويؤكد عنده أمالة التاسع التي

سخت به وهيكلا الى التذوق من عبقرية الشعر ، بل أوقدت له هذه الحياة النابضة أنبساطاً متلاثة من وهجها ، وكست إنتاجه مسحة من الطرافة المستعذبة والمثالية المحلقة ، التي تمكس تقارياً شعره في الحين بعد الحين ، يوارق من حياة الشاعر التي عاشها وذاق حلوها وبلازماتها ، وجاز بالمفاوز الداجية من ظلماتها ، وحلق في السامق البعيد من آفاق ضيائها .

وفي أواخر طم ١٨٣٢ ظهر له كتاب آخر باسم « Spectacle d'un fauteuil » فإنه التقاد بعاصمة داوية من الدهش والاعجاب ، حتى لقد همس « ميريميه » في أذنه قائلاً له « إنك تقدمت بإصاحي تقدماً عظيماً » ، أما « سانت بيث » شيخ نقادة عصره فقد كتب في عدد « مجلة الملمين » الصادر من ١٥ يناير ١٨٢٣ ، ما نصه « هذه أبيات طاقية رقيقة لم ينسج على متوالها ، بل لم ينظم مثلها كثيرون ممن اتعمدوا في الأكاديمية أما كتبهم بين صفوف « الخالدين » ، وإني أتخدى كائنًا من كان أن يأتي بثمنها أو بصورة منها »

ومع ذلك لم يندم « موسيه » من حساده من آثار عليه نائرة فريق آخر من التقاد الناقلين فأشهره بأنه شاعر غير مبتكر ، لا يتقن غير التقليد الآلي المقيت ، وأنه ظل منسوخ للشاعر الانكليزي الكبير « لورد بايرون » ، كما انه اناه أصم لأشعار مسابره « فيكتور هوجو » ، وكل إناه ينضح بما فيه ؟

والواقع أن « موسيه » لم يكن ظلاً « لبايرون » أو تبعاً مسيراً يتأثر طريقتة ويصتذي حذوه بل كان يتلاقى وإياه في رحاب العاطفة الرقيقة والحساسية الروحية وفي مسارعتة الى تقديم عذابات الجسد والنفس قرباناً مبذولاً على مذبح الحب والامل .

كذلك كانت علاقته بـ « هوجو » لانعدوا الاعجاب والمصاحبة ، ورغم أن فترة اتصال « موسيه » بعهد الادب الفرنسي دامت ثلاث سنوات ، إلا أن تقارياً شعر موسيه لا يستشف منه لحظة واحدة تدل على انكباب روح صاحبه في روجه هر . وبألبت شعري ما حاجت الى اقتباس المدد والذخيرة ، وفي أعماقه النائرة ثقات وجد مكتوم وتباريح صالية لاعبة وأفاويق عطف غمر ، فيها جميعاً لفيض فريخته الموهوبة وإلهام قلبه الخفاف غناء ومقنع . ومن يومئذ تكاملت عدد إنتاجه واستوفى حظه من اللأم والاحكام ، وترأجت آفاق نظره في عراب النفس وخبايا القلوب ، وامتشف من صميم الحياة الانسانية جوانبها الشاحبة ، وعرض

على الأناظر ما سبها المروعة ، سالكا صورة ومشاهدته وتجاربه في سلسلة نظيمة من الشعر العذب الخنون ، تترقق فيه التلاحين الساحرة المرثية .

وتعاقد معه المسيو « فرانسوا بيلوز F. Buloz » صاحب « مجلة العالمين — La Revue de deux Mondes » ليوالي الكتابة في صحيفته ، وكانت ملتقى للاقلام المتتارة ، ومبدأنا نتماول فيه قرائح الابداعين في ذلك العصر ، فطار بها صيته وعلا نجمه واشربأب اليه أنظار حنَّاده تلاحقه بحم كيدھا المستعر وترميه بشواظ حفيظتها الفائرة ، محاولين تحذيله وتثبيطه ، ولكن كان له من صدق عزمه ومضاء نيته ومعاونة « فرانسوا بيلوز » واخوانه له ما جعله يوقن بأنه لن يجد منصرفاً عن الغاية التي نشد ، والنهج الذي سجع .

— ٨ —

جنة الحب وجحيه

ففى « موسيه » ردحا طويلا من شبابه مطلقا العنان لقرائزه ، يلهو ويمرح مع نساء عابثات مستهترات ، أمتعته بكل ما في الحياة من ملاذ حمية وضيعة ، سرطان ما تتبدد وتمتأف القلب البشري في عزلة الابدية ، يجد في البحث عن نعيم الحب ومعاودة الهوى .
كان شاعرا فاجلا حاد المزاج سريع التحول متوثب الأعصاب ، خيالي النظرة إلى المرأة والحياة ، والواقع ان إيمانه في مخالطة أولئك النسوة زاده رغبة في المرأة النكاملة المنشودة التي كان خيالها يطرف بذهنه ويحتل عقله ويمكر عليه صفو لياليه ويثليه بضرب من الحزن العميق المزوج بالاضجر والتبرم والمسرة

كان يخشى أن يموت قبل أن يعرف الحب ، وكان يخاف أن يصرعه القدر وهو لم يعرف غير اللذة العابرة التي تزول بزوال الساعة ، وكان شعره في تلك الفترة من حياته رجح صدق نفسه الفلقة الحائرة في بحم الطويل عن العاطفة المشبوبة الخالدة .

وفي تلك الحالة النفسية المتلقة ، وفي فترة كاد فيها قلبه يجدب ، ومعين نفسه يحف ، تعرف « موسيه » إلى الكتابة الروائية فأسندة « جورج ساندي » و« نترات هذه اليه » وثلاث خرافات

وخفق قلبان ، فتصابا وتساما إرد ، وتماهدا في منسك الحب أن يكونا لعهد الهري أوياء ولموتته مخلصين . وكانت « جورج ساند » امرأة ناضجة الأنرثة وأفرقة قوى العقل مضطربة الحواس جيدة الأعصاب حديدية الإرادة ، عانت وأجبت واختبرت الرجال وعرفت منهم عدداً كبيراً من صفوة عطاء عصرها ونخبة أفذاذها ونوابذها .

واليك قصة هذا التعارف في إيجاز :

دعا السيود « فرانسوا بيلوز » « ماونيه البارزين في تحرير « مجلة العالمين » الى حفلة عشاء شائقة أقامها بعقهي لواتيهيه ، تكريماً لهم ، وكان من بين المدعوين بطبيعة الحال ، الشاعر الشاب « ألفريد دي موسيه » الذي جاء بمقدمه مجاوراً لمقعد سيده صبيحة الوجه دقيقة الملامح حلوة الحديث ، تسمي نفسها بذلك الاسم الذي عرفت به في عالم الأدب « جورج ساند » . وقد تجاذب الأديبان أطراف حديث ودي ما اتفيا منه حتى كان كل منهما متعلقاً بصاحبه مؤثراً له ، راغباً في المزيد من عطفه ووجه وإيثاره . فن تزى هذه السيدة التي أحدثت من بعد ، في حياة « موسيه » أكبر انقلاب طائفي لتغلغل في الصميم من قلبه ونضج على صفحات شعره ونثره ؟ .

كانت « أمادين أورور لوسيل دو بان » ، أو « مدام دي دونان » ، تكبر « ألفريد » بست سنوات وستة أشهر . وهي ابنة « موريس دو بان ابن مدام دو بان دي فرانساي » ، الابنة غير الشرعية لمارشال « موريس دي ساكس » ، بطل موقعة فورتينوا ، وكان بدوره ابناً غير شرعي لأحد ملوك بولونيا .

كانت والده « أمادين » تعمل كساعدة صغيرة في محل لحياكة الملابس حينما شبت الحروب النابليونية ، فاضطجها أحد الضباط معه في حملة إيطاليا وعبرت مع الجيش جبال الالب ، و ثم تعرفت الى « موريس دو بان » فتزوجت به وهجرت صاحبها الضابط ، وجاء الزوجان معاً الى باريس ورزقت الأم بابنتها « أورور » ومات الوالد في غضون شبابه ، والابنة ما تزال طفلة لمعلمتها أمها الى نوهان حيث تقيم جدة « أورور » ولما كانت المرأتان على خلاف دائم ، تركت الأم إبنتها في كفالة جدتها ، وهجرت « نوهان Nohant » شاخصة الى باريس لتقيم فيها .

وقد عنيت الجدة بتقريب حفيدتها « أورور » فأدخلتها أحد أديرة باريس حيث فضت

عدة سنوات تلتى علمها ، ولما قفلت راجعة الى نوهان عكفت على قراءة مؤلفات فولثير وروسو ، واتخذت لنفسها ثياب الغلمان ، تغدو بها وتروح بين المنزل وأحياء البلدة ، منيرة بهذا الزي دهنة القرويين وعجيب الفضولين من أهل الناحية . ولما توفيت جدتها ، هجرت بدورها البلدة ورحلت الى باريس لتقيم مع أمها ، وهناك اشترت كرامتها وحرثتها بل وضحت مستقبلها ، كما كانت تظن ، بزواجها من « البارون كازيمير ديدوفان » ومن ثم طادا إلى نوهان ليعيشا معا فيها .

ورزقت أورور من زوجها البارون ابنة وابن ، ولكن لم تذق طعماً للمساعدة التي تخيلتها في جواره فقد كان رجلاً فظلاً غليظ القلب لا خلاق له ولا وازع من ضمير أو ثقافة ، فهو أقرب الى الجلالة والوحشية لا يبرزه شعور من نبيل أو عاطفة من رجمة ، متجهم صفة الوجه مبتسر الأسارير دائم التعميس ، وبالجملة يدل مظهره على مخبر سوء وشراسة طبع وشذوذ خلقه . ولما ضافت به ذرعاً أرادت أن تروح عن أعصابها المكدودة ، فرحلت الى كوترين Cautelets بجبال البرانس ، وهناك التقت بمعام من بورديو يدعى أورليان دي سير ، فهم بها وهامت به ، وتبادلا حباً مبرحاً دام الى سنوات ، حتى شك أخف تقادها وطأة عليها في طبيعة هذا الحب وحقيقته ، وهوا أن يكون من الترع الأفلاطوني الخيالي ، الذي تموت فيه نزوات الجسم وتحمي به روحانية القلب ! وعلى كل فقد أيقنت في غمرة من يأسها أن الحياة مع البارون فوق طاقتها ووراء مقدورها فاعثمت أن هجرت بيّتها وزوجها وأولادها وشخصت إلى باريس لتحيي حياة الآباء وتتهج تهب الظلمين الأحرار من مكان مدينة النور : والواقع كانت أورور امرأة موهوبة الذهن دقيقة الحس متقدة الخيال ، جعلت جانباً كبيراً من ثقافة العصر ومعارفه . وقد اعتمدت على ارادتها الحديدية وعلى ما تحمى في نفسها من مراهب جائشة ، لتبدأ صنعة جديدة من حياتها ، وهكذا أخذت تتما إلى باريس والضحك يعتمل بين جوانحها والأحلام العريضة في مستقبل باسم تداعب حياها وتهم أفكارها ومشاعرها .

وفي طريق السفر تعرّفت الى « جول ساندو » وهو شاب من فقراء الآباء الذين خلا جيبهم من الدرهم والدينار ، وحضر الترس على وجوههم صورته ، وضافت أمانهم للحياة إلا

من فحة الأمل . وفي باريس عاشا معاً ، مدة قصيرة من الزمن ، خالصين للادب ، فارغين للقراءة ، ومن الأحرف الأولى لاسم صاحبها اشتقت لنفسها اسم « جورج ساند » الذي حملته بقية أيام حياتها واشتهرت به في دنيا التأليف والكتابة .

كانت « جورج ساند » في تلك الفترة قد أوفت على الثلاثين من عمرها ، وكانت تحيا ، بعد انفصالها عن « ساندو » ، وحيدة في بيتها ، تقفل فراغ الوقت بما لا تفي تسوده من الصفحات بالكتابة . كانت تشعر بالوحشة القابضة فتحنّ بطبيعة الأنثى الى الرفيق أو العشيق ، إلى من يتحجب لغريزتها المشبوبة وعواطفها المتوهجة بسعار الجنس ، إلى من تلقى بين أحضانها هذا الجسد الشهي المتبل الذي استم يفاعه الشباب وعنوانه .

وكان اسمها قد بزغ في عالم الأدب عقب نشرها لقصتها « إنديانا » ، و« ليليا » فتقرب الكتاب والأدباء إليها ، كل يود أن يحظى بصحبها ، إن لم يفر بحبها وقلبها .

بدأت « بيرييه » ولكنها وهي الهوائية المتقلبة ، ضاقت به ذرعاً بعد أسبوع ، فهجرته في طلب غيره ، وأسرت الى صديقها « سانت بيغ » بحاجتها الى الأنيس والسير الذي يحف خلاطه على نفسها وتطفي به أوام روحها ، فعرض عليها أن يمرّ بها بصديقه « موسيه » ولكنها أبت ، لما كانت تسمعه عنه من سرعة قلبه وكثرة نشرده بين الحانات والمراقص ، وطلبت اليه أن يحضر لها « اسكندر ديماس »^(١) ولكن الطبعين ما كانا ليأتلقا أو يلججا في مشرب أو ذوق أو ميل ، فبرمت به هو الآخر ، وقلبت له ظهر الحن ، وكتبت الى « سانت بيغ » تقول إنها في حاجة الى من يشعرها بالحنان والعطف ، في حاجة الى حب جديد تنفس به عن المكبوت المكظوم في سويدائها .

وفي تلك الحالة النفسية القلقة ، التقت « بيرييه » في حفلة مقهى لواتيبه واستهلت معه صفحة شق جديدة . ورجع « موسيه » بعد الحفلة الى بيته مشدوخ الرأس واجب القلب منتفض الجوارح ، لقد أقامت هذه المرأة قيامته . نعم ، انه يشعر بأن حله قد تحقّق ، وان المرأة المشردة الخائبة الى فتنة البدن جمال العقل والروح ، أصبحت له وحده ، فهو مستطيع أن يستلهمها أروع القصص وأبدع الأشعار ، وأن يذوق وإيادها كأس السمادة صنواً غير

١ : هو الكاتب الفرنسي الكبير « اسكندر ديماس »

مُرَاقِبٌ، وَأَنْ يَمْتَصِرَ مَعًا مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ مَتَعٍ وَتَذَاتٍ . وَأَقْبَلَ عَلَى كِتَابِهَا يَتَرَاهَا مِنْ جَدِيدِهِ، فَهُوَ يَسْتَفْرِحُ الْيَوْمَ مِنْ بَيْنِ سَطُورِهَا خَيْثُهَا الَّذِي غَمَّ عَلَيْهِ فَبِهِ مِنْ قَبْلُ، أَنَّهُ يَتَرَاهُ فِيهَا بِبَصِيرَةٍ وَضِيئَةٍ حَبِيبَةٍ وَمَلِيعَةٍ، بَلْ يَرَاهَا سَافِرَةً أَمَامَ عَيْنَيْهِ، لَا تَحْجِبُهَا عَنْهُ الصَّبِيغُ وَالْتِرَاكِبُ وَالْإِشَارَاتُ؛ فَمَا أَسْمَدَهُ بِهَا وَأَسْمَدَهَا بِهِ، وَحَرَامٌ أَنْ يَنْظُرَ عَمْرَهُ بَعْدَ الْآنَ نَهَبًا مَوْزِعًا بَيْنَ الْأَوْهَامِ وَالْخَيَالَاتِ .

وخطا في الحب خطواته الثانية، فرسم حبيبته بيد الفنان العاطق المدنف في أوضاع تخطيطية جميلة، تأخذ العين بظرافتها المستملحة وبساطتها المستعذبة. فهي فيها جيمًا، كما في لوحة الرسام «دلا كروا»، ذات عيني سوداوين وصيعتين، تلتحظ فيهما العمق والحاذبية، يزنيهما طحجان ربيعان رسمت استدارتهما يد مؤرخة مبدعة، أما الألف فرفيع أفنى، شمع به قليلاً ثم دقيق في وسطه زاده جمالا وفتنة. والتم صغير متفعل الحنايا امتلات شفته العليا قليلاً لتجذب الأخرى في شبه ابتسامة طاللة. والوجنتان نضاحتان بالميرية. والجهة ترتفع قليلاً لتنتهي استدارتها عند شعر أثبت وحف بلون الظلة الخالكة، السدل على صفحتي الوجه وتدلّت ذوائبه إلى الكتفين طليقة مرصلة.

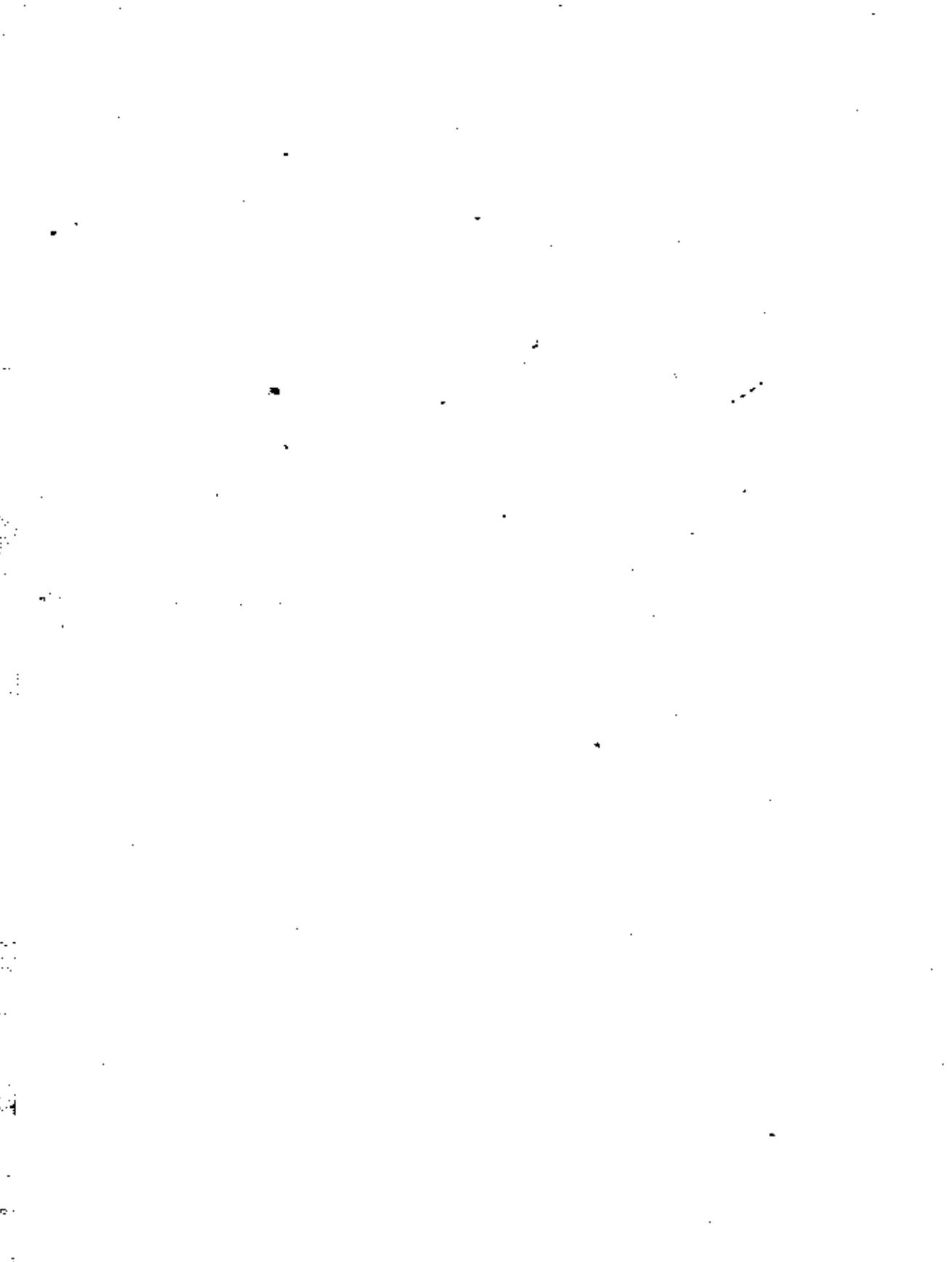
وأمزجت الروحان والنجم النوقان وشغف كل منهما صاحبه هيأماً وحجاً وأولاه إثاراً وثرباً. نعمت بخنانه وعطفه ولعم بأنسا إليه وتقربها منه، وازدهام فناؤها في مطاوعته وامساتها في إرضائه، وهكذا وجدت «جورج ساند» في هذا الحب الوليد، وهي العاطفية بفطرتها الحساسة بمزاجها وسليقتها، ما تفرح به عن المحتجز المكظوم من فيوض أحاسيسها وشجونها وما تهدي به سورة الهاجيات الحرار من آلامها وأوجالها!

كان هذا الحب تجربة من تجارب الحياة التي عرضت «لموسيه» وكشفت له، من بعد، عن جوانب خفية من حياة النساء. وكان كذلك لوناً جديداً من الحياة تحياه الكتابة بوجودها وشعورها، مما أكد لنا أن تجاربها الماضية لم تكن سوى صدئ لاهوائها الثقلة المتقلبة. إنه حب أكيد صميم، يصدر عن قلبها الخالص الصديق، ذلك القلب الذي عنى طويلًا في بحثه عن قدس العاطفة ونسبها. كيف لا، وهي تكتب إلى أستاذها ونحبي مرها «سانت ييف»، فتقول مؤكدة: «لمني اليوم أحب، وفي لاأورد لك ذلك وأنا جادة صادقة. أحب



جورج ساند

من صورة زيتية بريشة المصور دو لاكروا محفوظة بمتحف اللوفر بباريس



«ألفريد دي موسيه» ، وليس حي له بزوة من الزوات العارضة ، ولكنه رباط وثق بين قلبينا بل أحدث به روحانا .

ولازم «موسيه» بيت حبيته بنارح «الكاي ملكاي» . وكانت تقيم مع «جورج ساند» ابنتها الجلية «سولانج» التي لم تكن وقتئذ تتجاوز الرابعة من عمرها ، وكان يقيم معها الوصي «بوكوران» ، وطاش الجميع «اثين ناصين بصحة بعضهم بعضاً ، يقطعون أيامهم الجميلة بالموسيقى والقراءة ومجادبة أطراف الأحاديث مع من يزور البيت من معارف وخلان .

أما «ألفريد» فكان يوزع وقته بين الموسيقى وبين ما يرسمه من صور «الكاريكاتور» بفاتنته في مختلف أوضاعها ، وحتى - كأنها وسكنتها ، بيد أن جو العاصمة لم يلبث أن تثقلت وطأته عليها ، فلعبها الى فولتيلو في رحلة جميلة هي أشبه بلجاجة شهر العسل ، حيث اختلسا لهما فترة قصيرة من الزمن ، بعيدين عن أعين الرقباء وتثقل المنقلين من الزوار وأهل الضلوع .

وبغتها طارق من الخوف على حين غرة ، غشيا لفرط إحساسها بالسعادة أن تحقق التجربة وتنظفاً جنوة الحب في قلبها . فلا تعود تقاسمها حرارة التله ووقدة الشعور بفناء الحب في شخص محبوه ، أو تعجز عن أن تدفء جوارحها المقرورة بأحاديث العائقة الضيافة المضطربة وإفهامات ألوجد اللاعج الزخرا .

وهكذا اتانبتها الوساوس والأوهام وألحت عليها الخيالات السوداء ، تنذرف بأن الأعين الحاصدة ترصد نعم هذا الحب وأظامه ، وتمد عليها الحركات والسكتات ، وتوقد لها حرارة العنصر والآلام ، وتتمنى لها عاجل الفرقة وفاضح الطذلان .

أرادا أن يفرا بكرهما الى أنأى مكان يشعر فيه بالوحدة والعزلة ، ويتساقبا كثروس الهوى والأحلام مليئة مترعة . نعم أرادت «جورج ساند» ألا ينازعها في حبيبها إنسان وأراد «موسيه» أن يباعد بينها وبين مفاتيح باريس ، وأن يترنهما من أيدي الممجيز بها ، وأن يبعثها في العزلة إلى حبه ويظهر من شرائب الذيرة ولونوات انشك فاتفقا على ترك العاصمة والسفر الى البندقية ، مدينة الهوى والحلم .

ولكن ما سببه الى العوز بموتفة والذنا على هذه لرحلة المفاجئة وهي التي لا تطابق

فرائه ساعات ، وتخشى عليه خشية الأم على طفلها الرضيع | لقد تكلمت الحبيبة بأن تذلل
له كل عقبة ، وإن تنزع من والدته ، وهي السيدة الرقيقة الشفيقة ، رضاها وموافقها بل
ودمهاها الطيب المبرور .

وهكذا تحقق « لجورج سائده » ما أرادته ، ففازت بثقة الأم وموافقها وحزم العاشقان
ما لها من متاع وبدء رحلتها الطويلة الى جنة النعيم الموعود .

- ٩ -

مدينة الهوى والحلم

كان وداع الأم لابنها بالغاً مؤثراً فقد شيعته بطرف بالكٍ وعين دامعة وإن خفف عنها
بعض ما تجده في قلبها لهذا التراق الموقوت ، وعد ابنها لها بأنه سيراسلها على فترات متقاربة
ليبدأ طائرهما ونطمئن بالها عليه ، ما ظاب عنها في رحلته تلك .

وخلف العاشقان باريس في أسيّة طالبة متجعبة ، تراجحت سحبها وتكاثف ضبابها
ولكن عربة البريد أوصَلَتْهما سالمين إلى ليون ، ومن هناك غمرا الرون في سفينة نهرية
منحدريين إلى مرسيليا . وكانت الرحلة النهرية ممتعة ومروِّحة ، التقيا فيها ببعض الأدباء من
أهل الظرف والتمكاهة ، تقطعا معهم بالأحاديث الفكرية والماندارات المرححة المسافة إلى ذلك
الميناء ، ومن ثم أقلعا في سفينة إلى جنوا . وأصيب «موسيه» بدمار البحر ، على حين لم تشعر
« جورج سائده » في بادئ الأمر بأيما نص من طول الرحلة ، فكانت تتخذ مجلسها على ظهر
المركب ، مدخنة سيجارها ، مسرحة حرقها في عرض البحر كأنما تستاهم زواجر أمواجه
الخيال والشاعرية .

وفي جنوا روح «موسيه» عن جسمه المكثود بما شاهده واجتلاه في المدينة من المدايق
الموققة وبساتين الثار الياضعة ومخاض المروج البدعة ومشاهد السمور والرسوم ، ثم أحدا
مجتها إلى « فلورنسا » حيث درس الشاعر بعض صحلاتها التاريخية ، وطوّف مع حبيبته
في كثير من نواحيها وأماكنها التاريخية ، مشاهداً مستظهما منتقياً ، كأنما يتبها لكتابة

بهضتها التهاوت والمرضى ، وذهب بمرحها الدائم وإشراقها الغائم وعكس عصبية مبادنة لم تملك لها دعماً ، وودت وهي في حالتها تلك أن نظير من حبيبها بكلمة عطف مشجعة أو إشارة غزل مسرية . انتظرت المسكينة أن يتأقلمها ، كهداها به ، أحاديث الهوى والعبابة ، أن يغيرها بمداعبته وتذليله ومحيطها بحضانه وعطفه ، وأبكى هيبات ا .

تقد جيبها وهو متجهب صنعة الوجه طابس الأسارير بمقالة من ضاق بإساعه ذرعاً وارند لوقت مضيقاً منه محققاً : « إن من المؤلم حقاً أن يعكر المرء صفو مزاجه برفقة امرأة مريضة متعبة ا .

وقدت الكلمة كطعنة الخنجر المسموم إلى الصميم من قلبها ، ولكنها لم نشأ التعقيب على كفته الطائفة ، فإ نسبت بينت شفة ، وتظاهرت بأنها عدت على الأمر في غير احتفال ، ودخلت مخدع نومها ، وجلست إلى منضحتها الصغيرة ، وراحت تنفت على الصنعات البيضاء ما يلعب قلبها من سخط ونقمة وما يؤج بين جوارحها من وقدة الغضب ولذعة الحسرة . وصر اليراع صريره المتدافع في تلك اليد الرخصة الناعمة ، ذات الأصابع المطروعة الأليسة ، المشابهة في لبها لمادة الهلام^(١)

كان أمها عمل كثير مرهق وجهاد طويل الشقة محدود مراحل البعد وما أزمعت القيام برحلتها تلك الأتلخس وحبيبها إلى مكان بلاء قصي ، يفرطل فيه لهما وعملها وبدءان من حياة إنتاج خصية حافلة تحقق لهم ما يغبان من مجد وشهرة وتنش اسمها معاً لأمعاً متوهجاً في سجل الحب والظنود .

كانت موارد دخلها في تلك الفترة مقصورة على مسدرين ، هما مؤلفاتها التي تنشرها ومقالاتها التي ترأس بها « مجلة العالمين » . مقدر نشاطها في الإنتاج وكده قوى التريجة تكون سمة الدخ ووفرة الرزق ورغد العيش . انصرفت الكاتبة جاذة إلى العمل مستغرقة قواها وملكاها في التأليف والكتابة ، شاشنة أوقات فراغها بالنافع المجدي من القراءات والمشاهدات ، مؤثرة حياة البيت الهادئة على حياة التشرود بين صاهر الليل ومرانع النهو وانجابه ، على حين انطلق صاحبها في هفنة المنهوم يقتطف لذائذ الشباب لذة في أر الأخرى ،

(١) مداد الوصف لآكندر ديماس الابن .

ورمضي في المدينة متفتح الجوارح الى مرائع الألس وملاعب الهوى والتمنون ففيها مستراحه ومرآحه ، بل فيها شبح حبه ، ومنطلق خياله وشعره !

كان يقضي نهاره وليله متجولاً في شوارع المدينة ، ماخراً بزوارق الجندول ترعها وتروأها ، معرجاً على مكائن الخلان والعشاق ومغاني الجمون والخلاعة ، متجولاً وسط المباني الأثرية ، مستظلاً أسرار المعالم التاريخية التي تمتلئ بها المدينة منذ أزهى عصورها وأحفظها بالأبجاء والمفاخر ، إنه مبهور مسحور ، لا ترتوي له غلة ولا تشبع له غرمة ، محموم الفكر مأخوذ الشاعر . لقد وجد لشاعريته في مدينة الهوى والأحلام ثقافتها وصقلها ، بل وحيها وإلهامها ، فهو يصفيها إعجاباً ووده ، ويحس عليها قلبه وحبه ، ويشعر وهو في غمرة الحلم والنشوة ، أنه شاعرها الناطق المبدع ، وقبيلها الصارح المطرب !

فلا عليه إذا اعتنق اليوم بين ذراعيه أناسها وأهلها جميعاً ، ولا عجب إذا وسع قلبه الرقيق صدقات الكثيرين من أبنائها وبناتها ، من العلية والصفوة الى العامة والدهماء ، فهو البشري في قرارته ونزعتيه ، وشعبي في عطفه ومحبه وأن الجميع لأخوانه وخلانه ، بل أهله وأقرباؤه ، وإن لهم عليه لولاءاً وقرباً وإن لهم عنده نسباً ورؤماً . وبالجملة كان الشاعر يحب الناس على حين كانت « جورج ساند » تكرههم ، وكان مولداً بالخطاة في المجتمعات ، بعكس حبيته التي كانت تهوى التأمل والتمزلة .

لقد استحب الشاعر الكل واستناب الى سكرة الحياة العائنة الإلهية ، فهو يقضي مطاوعة نهاره متنزهاً في القوارب ، فإذا ما خرجت الحياة بعد عمل اليوم الشاق لتبحث عن حبيبها التقت به في الحانات سكراناً مريداً !

إنه يعيش في الخارج أيامه ، لا يفهم معنى لنظام والداعة ، ولا يتسبغ إستقرار الحياة البيتية وسلامها ، فهو الأول أن يتحول في أنحاء المدينة وينسى أحياءها الشعبية ، مصطحباً في جولاته رمزاً من البحارة وفتة مختارة من بنات الهوى !

لم يقف أمر الشاعر عند هذا الحد ، بل كان في طبيعته طيش وزق ، يعد بشيء ثم ينسى فيخلف الوند ، يقتنع بنكرة ثم يتأثر بقصصها فجأة ويفهم سبب ، يرتد شخصاً ثم يعرض

عنه بنعة وفي غير أدب ، يظهر إعجاب به بحبيته ثم يطري أمامها محاسن من صادف في المدينة من فتيات وغايات :

وهنا ضاقت المرأة به ذرعاً ، وبرت بطباعه وأخلاقه وتقلت عليها وطأة حبه ، وكرهت انفسها أن تستعبدها العاطفة لمن هو أضعف منها شخصية وأهون ارادة وأقل عزماً وهكذا بدأت عوامل الصراع الخفيف بين رجولة «جورج سانتد» وأنوثة «ألفريد دي موسيه» وهي عوامل أصفرت من بعد عن تزق فؤاد الشاعر وإنبهار حده وخيبة أمله وتقرض الصرح الذي شاده بمقله ودمه .

أخرجها السخط عن طبيعتها ، وهي المرأة الحساسة المهتنة ، ونال من كبرياتها هذا السرف المنهوم في ارتقافات أفانين المتع ، واستثار غزتها المجروحة غرور الشاعر وردوته واستهتاره ، فأطلقتها في وجهه صيحة طاصفة مدونة ، عقب شجار عنيف شب بالندق : « إننا لا نحب بعضنا بعضاً ، فقد انقضى ما بيننا ولن يمتحن قلبانا بعد اليوم ، فاعرفنا الحب من قبل ولا مستنا مواس من لراعيه وتباريحه ! »

لقد طار العصفور من قفصه ، وما كانت هذه الكلمات اللاذعة ، الثائرة بحرارة الغضب وصعير السخط إلا فصل الخطاب في مصير هذا الحب الوليد ، إنها فتحة اللوزة على الميثاق المبروم والهدد المتطوع ، بل هي جواز العبور إلى منقعة كانت من قبل عليها حراماً ، فهي مستطبعة أن تحيا فيها اليوم متحررة من الترامات العهد ، برثمة من موثقه ، فاعاد العهد عندها مستولاً . إنه تقليد جرى عليه عشاق باريس في ذلك العصر ومثانة متبعة بينهم اتخذوها لهم في دنيا الحب شرعة ومنهاجاً !

وكأنما هيأت لها الأقدار ، في تلك الفترة اللدقيقة التي انقبضت فيها عن صاحبها «موسيه» والنسوت محصورة على مضامين تنسها تكفي حبها وتندب حظها ، رجل الأحلام المنشود ، ليهب لها شعرها المنمقود الذي تستم به هتاءة النفس ومادة الروح .

وتفصيل الأمر ، أنها كانت جالسة بشرية الفندق ذات يوم صنأ أديمه وورق نسيمه حتى ألمس بأقسامه البديلة ربوع المدينة ومعانيها ، وكانت مرندية ثوباً حاك في تفصيله زي الرجال ، وقد علت جبهه ببنة منشاة نارحة البياض ، رانها ريفعة عنق عريضة ، كشكك التي

يزين بها الرجال أعناقهم . وكانت في تلك اللحظة تدخن سيجارها الكبير وتتابع بفكرها وتلظها حلقات الدخان المنفرفة في الهواء ، كأنها موجات أثرية انفكرها المبلبل الماطر ، على حين راحت هبات النسيم الناعمة تتلاعب بحصل عمرها الجميل الوحف ، وتبحث بذواته المموجة ، ذاهبة بها كل مذهب . وظلت مستغرقة في سيجاتها الخالمة غير ملتفتة الى صاحبها «موسيه» الذي اتخذ له مقعداً بجوارها ، وكانت تبدو لآعين المارة في هذا الوضع الغريب الغامض وهي جالسة جلستها الشاعرية الآخاذة ، حين مرَّ على مقربة منها شايلان ايطاليان أيقان .

أما أحدهما فكان غزير عمر الرأس أشقره ، أقسى وضيقاً طامراً البنية ، يبدو في السابعة والعشرين من عمره ، فهو شاب في ريق النضاب وزهرة العمر ، وقد عرفت فيما بعد ، انه طبيب وإن اسمه «بترى باجيللو» ، أما الشاب الآخر فهو صديق «باجيللو» وصفيه . ونشاء غرائب الصدق أن يكون صاحب الفندق الذي نزل به «الحبيبان» صديقاً للطبيب الشاب ، وتواصل الصدفة حوك فبيجها وحبك أطرافها ، فيستدعي الرجل صديقه الطبيب لزيادة أحد الزلاء ، ويحيي «باجيللو» فيقاد الى غرفة المرأة التي شاهدها وصديقه بالأمس وأطلقا عليها اسم «المدخنة الحسناء» .

دخل عليها «باجيللو» فوجدها تنكسة رأسها في استرخاء وضعف وقد أحاطته بكثا يديها وهي تشكو من صداع أليم ، وتمدل في جاستها ، شأن من وقده المرض وبرحت به نوبته ا أمسك يديها يتحسس راحتها ويختبر نبضاته ، وهي مقدمات اتحصن المعتادة عند كل طبيب ، ولكن «باجيللو» أداها وهو منمش حالم ، ثم اقترح عليها أن ينصدها فوافقته على رأيه ، واستشعرت بعد انقصة راحة فرجت عنها ما كانت تحس من ألم ، واطمأنت الى أنها مستطبعة النزول الى ملهى الفندق «Le Casino» لتعضي سهرتها فيه ، وقبل أن يتبعد عن «موسيه» ، الذي كان شاهداً لواقعة الحال من بدايتها الى ختامها ، بادرها الحبيب المبهور وهو يصرُّ على تاجذبه صرير الغضب المكتوم ، قائلاً : «جورج ، لقد أخطأت وأعجلني النوم حتى ضللت في فهم شعوري بحوك ، فمقدرة اذا قلت لك أي لا أحبك !» .

وفي تلك الاية الحاصنة في تاريخ علاقتها الغرامية ، أغلق كل منها الباب على نفسه ، واستقل بفرقة حتى مطلع الصبح .

كان عليها أن تهجره بعد أن قضى فيها أمراً، وعالها بحقيقة شعوره، وكشف لها خبيثة قلبه، ولكنها تشبث باللقاء في الفندق يوماً أو بعض يوم، مدفوعة إلى ذلك، كما زعم في مذكراتها، لعاطفة من الأمومة كانت تحمها نحو حبيبها، فقد عزّ عليها أن تخلفه وحيداً في مدينة غريبة لا يفقه لسان أبنائها، وهو إلى جانب ذلك علق خالي الوفاض من الدرهم والدانق.

وكأنما أراد القدر أن يقيه فرساً إلى جانبها ولو لفترة من الزمن، فقد انتكست وطودها المرض، ولم يمض قليل وقت حتى كان «موسيه» هو الآخر طريح الفراش، يشكو أعراض حمى خبيثة، على حين برئت «جورج صاند» بعد أيام من تكسبتها تلك.

لقد حالت حماء بينه وبين كل مقاومة، وقع فريسة للمرأة وهو لا يدري أسلته المقادير إليها وتركها تفعل به ما تشاء. واصطنعت المرأة الحنان وتكلفت المعنف وتظاهرت بالاخلاص والتضحية، وأخذت في البدء تعنى به وتسر عليه وتحرص على معاوئته في كبح جماح المرض ثم تراخت عزمها وفقرت همتها وأبتردت جهامتها، وطادت إلى الخروج ليلاً مع أصمطها متناسية ذلك المريض المنموذ الذي يتر في وحدته ذذاباً وحسرة.

ولكن شعوراً من العطف النبيل ما لبث بعد قليل أن غلبها، فعادت إلى تريضه بعد أن اشتدت عليه وطأة الداء، وكتبت إلى صديقتها الروسي «بوكواران» تنبئه بحقيقة ما صار إليه حالها، راجية إياه ألا ينبيء أحداً من أصحابها وحسادها بباريس عن هذا الذي ألمّ بهما، وألحقت في الرجاء ألا يبس بينت شفة عن مرض «موسيه» أمام والدته الرقيقة، لئلا يروع النبا شفقتها على ابنها ويصدم أعصابها صدمة تلقفها. وكتبت إليه رسالة ثانية تنبئه فيها بما صار إليه حالها من كلال وضعف وضى، وما انتابها من أرق عرق حرمها لتدب الرقاد وتركها مسلوقة الحواس مهوكة الأعصاب. ثم تلقاها طامة صادقة من الأيثار، فتناشده مرة أخرى أن يكتم نبأ مرض «موسيه» عن أمه، خشية أن يودي بها الخبر وتعجل الصدمة بوقتها وكتبت إلى السيور «بيروز» تفص عليه واقعة حالها مع زميلها في الرحلة، وترجوه في إلحاح وإلحاف أن يرسل إليها بعض المال يستعينان به على تدبير أمورهما، بعد أن أخذت تسير من سيء إلى أسوأ. فقد قالت له متوجهة، إن الطبيب جزم بأن أزمة المرض لن تزال

خطورتها «موسيه» قبل أسبوعين، ثم يقفل طجراً عن مفادرة الترش مدي شهر كامل، وتفقات
 التعرض والعلاج كثيرة لا تتفاجع والمأل يأسرب من بين أدمها جزافاً لتسديه فقفاهما
 المتزايدة، وما مادة تملك في حقيبتها سوى «تيز فرنكا لا تفني ولا تشبع، بل لعها تؤلم
 وتفرع. وعمد التول إن الموقف حرج والوضع ميقوس منه، إن لم يتداركها الفوت
 ونسرع اليهما النجدة. ثم هي لا تنسى أن تذكر له في خاتمة خطابها أن صاحبها «موسيه»
 أصبح في حال فحمة من المذنبان والورثة، شأن المحوم الذي وقده الداء وبرحت به وطأته
 حتى أن كتابة هذا الخطاب المؤلف من صفحات ثلاثة استغرق من وقتها تسع ساعات كاملة.
 وكانت «جورج ساند» قد استعدت طبيياً مسبقاً لتشخيص الداء ووصف الدواء، ولكنها
 لم تستشعر لنتقة فيما فعله الطبيب وما قال به، وأأكد شكها أن حالتها وحال مريضها لم تتحسن
 بيد أئمة على علاج هذا الطبيب وعندئذ لم تجد بداً من استدعاء طبيبنا الشاب «باجيلو»،
 وسارعت تكتب إليه ترجموه أن يجعل بزيادة مريضها الفرنسي، على أن يصطحب معه طبيباً
 آخر لدشاوره وتبادل الرأي فيما يجب أن يتخذ من علاج. وقد قالت للطبيب في خطابها
 أن أخشى ما تخشاه هو سوء حالة المريض العقلية من جراء تخليط الحلى وجنونها فهي تخشى
 على عقله أكثر مما تخشى على حياته؛ ثم انها لا تستطيع أن تقف مكتوفة اليدين إزاء هذه
 الحالة، فهي تناهض نفسه وفنه أن يتقدا هذا المريض من عذاباته، لأنه مريض ليس كمنه
 مريض آخر، انه فاعر مفلن ونافر مبدع، وزجل في مستقبل العمر له في فرنسا أنصار ومحبون
 وهي تؤمل في شفائه، لأن ما أئمه به لم يكن إلا نتيجة لسرفه وإفراطه في السهر والمقامرة
 ومعاقرة الحمر ومعاشرة النساء الساقطات وإجهاد العقل وكذا القريحة في الانتاج والنظم،
 وهو في حال من حذر الحس وإعياء الجسم لا توصف! والدليل عندها على بدء اضطراب
 قوى عقله وتبليطها، ما كان يطيف في وهمه، من أشباح وخيالات، يراها ويبتادددا في
 كل مكان من الغرفة، عبيطة به مطبقة الخناق عليه، فلا يملك إلا أن يصرخ ذوقاً من
 الرعب والوهل، لقد كان يبكي أحراً البكاء، وهو موقن بأنثف، فإذا طووه العحو وهذا
 قليلاً في فراشه، جزم في قرارة نفسه بأنه مشرف على الجنون لا محالة.

ثم هي، بعد أن أمرض على الطبيب حالته المؤلمة، تكشفه عنها للشاعر وإبشارها له،

فهو معشوقها الذي تلتفت في هواه واختارته لنفسها من بين الناس أجمعين ، وهي من أجله حزينة والهامة ، وعليه متحصرة ثانية ، وله متوجمة باكية . واختتمت رسالتها مؤكدة « لباجيلو » إنها تثق في صداقته وإخلاصه ، فهي مؤمنة بأنه ميمد لتربين وحيدين بدأ عطفه شفافية ، ترد لها الهدايا المفقودة وتسلل عليهما البرء والعافية . وهكذا حلَّ الطبيب الشاب محل زميله الطبيب المنس ، وأخذ من حجره المريض بفتق « دانيل » متردده الذي يمكث فيه الساعات الطوال مطبياً مريضاً . وأحضر « باجيلو » زميله الدكتور « زوانون » طبيب مستشفى « سان جيوفاني » للشاوررة وتبادل الرأي والتروي في أمر الفحص والعلاج . وقد أسفر تشخيص المرض عن إصابة « موسيه » بحمى التيفود العصبية ، وهي أشد أنواع الحمى خطراً وأسوأها أثراً .

ولقد طانت « جورج ساند » في بداية تمريرها لصاحبها الأحوال والمتاعب إذ كانت تجلس مع الطبيب « باجيلو » على أريكة مجاورة لكراس المريض ، ساهرةً الليل حتى مطلع الفجر ، مرلقة شاعرها ، حاتة عليه ، مستجيبة له مسرعة عنه ما وسعها الجهد ، حتى أنها لم تتمكن من خلع ثيابها لتستبدل بها غيرها مدة ثمانية أيام كاملة .

وأباحت للطبيب الشاب الفرصة سهلةً مواتيةً ليجاذب من وقعت في نفسه موقع الافتنان والاعجاب ، أحاديث الأدب والشعر ، ويناقل هذه الغاية الناضرة المصنولة العقل والفكر ، منادرات الأدباء والشعراء ، ويظلي في أذنيها المأثور المذب من أخبارهم وطرائقهم . تحدثا في الأدب الايطالي ، وتطارحا الرأي في كُتُابه وشعرائه ، وانعظفا في حديثهما الشيق ، والحديث ذو شعبون ، نحو الفن الايطالي ومدارسه وكبار فنانيه ، وكان الطبيب يحدتها في كل هذا . وفي تاريخ السندفة وآثارها ، وطادات أهلها وطباعهم ، حديث المعارف الملم بما يرويه ويحكى عنه . وكأنتا كان الرجل يكتم عاملةً تبرى جوانحه ، فهي تنضح على لجة حديثه وتقصص عن مخبرتها بما يقطع نبرات دوته من تهديج وتحبُّس ، وما يعتري أعصاب يديه وجفنيه من إختلاج ورعشة .

وكانت « جورج ساند » تواجته بين الخير والخير بدوال غريب ، فهي تستنسر من مر ما يفكر فيه ، ولما ذاتتدوا نظراته أحياناً ذاهلة ، كن ظب بعقله بعيداً عن مجال الحديث .

ولكن الطبيب صامت لا يجير خطاباً ، كأنما يخشى أن يخونه المنطق فيفضح المكتوم من سره ويظهر المخبوء من أمره . أما هي فترمه بنظرة ملاؤها السحر والفتنة ، وتسيه بلحظ فاقن جمع بين الكحل والنجل ، وآعابنه بسداجة معبودة وبمسارات رقيقة غنّارة ، كأنما تستفحه عن لغوها وتثقلها ! .

لقد أقامت المرأة قيامته ، وصلبته حسه ووعيه ، وتركته خائف القلب منتفض الجوارح مبلبلاً مدهوشاً ١٦

إنها وقفت في نفسه منذ اللحظة التي شاهدها تدخن سيجارها في شرفة الفندق ، ولكنه اليوم بها هائم ولها واضع ، لا يطيق فرأفها لحظات قصاراً ، ولا يربط متمناه بأمل غير أمل البقاء بجوارها ليظل مأخرذاً يندب حديثها ، عمداً وبكأس عينيها ، مقتوناً بمجيد ما تظلمه به كل يوم من أفانين عيها ودلالها ، كأنها تعتمد أن تستدير بها نوازعه وأن توقد بلهبها مرحلته ! .

وضاق المريض ذرعاً بهذه الأحاديث ، التي لم يكن ليحي مرماها وهو محموم غائب الرغد ويرم بجلبة الصوت وضجة الكلام ، ولم يتحرّج ذات ليلة أن ينهرها وهو نافذ الصبر محتاج العصب ، ويطلب إليهما غاشئاً ، أن يعتمدا عن فراشه ليهدأ في رقدته ويستغرق في نومه فما كان منهما إلا أن زحزحا مقعديهما لصنق منضدة صغيرة بجوار المدفأة ، وواصلتم المطارحة والحديث ا وحنم «باجيللو» كلامه قائلاً لها : «أحبك تنوين الكتابة عن البنديّة ، فهلاً سجلت ، يا ذات البيان ، ذكرها في قصة خالدة من قصصك الجميلة الرائعة ؟ » . وأجابته جروج موجزة : «أحسني سأفعل» ، ثم تناولت ورقة وصرفت على مطورها بيراعها الكفي صرّ البرق إذا خطف على حين تناول «باجيللو» قصة الشاعر الروائي «هرجو» وراح يقلب صفحاتها بصر زائف وعقل شتيت ونفس شاردة « وظلت صاحبنا تكتب مدى ساعة من الزمن ، ثم ألفت بالقلم جانباً وضرت الورق وغلّفته ، واسترخت في جلستها . بعد أن أحاطت رأسها الجميل يديها الناعمتين وظلت في متمدها صامتة جامدة لا يسمع منها صاحبها غير تردد انقاصها تعلق بصدورها البديع وتسط .

وأخيراً أمسكت بالقلم وحاولت أن تخط على الغلاف شيئاً ولكنها لم تقبل ، وناولت

الطيب الرسالة فانتظر اشواتها فلتأمن أنها ستكونه تسليمها إلى بعض من سذكهم له
وأفصحت نظرة الرجل عن سؤاله ، وعندئذ أسكت الكتابة بقلها وخطت على الغلاف هذه
الجملة : « إلى النبي باجيلو 1 » . ثم تناولت مصباح الشمع ، وخطت في دلال إلى فراش
مريضها ، الذي كان مستغرقاً في نومه ، ومرت إلى الطيب الواقف بجوارها رفوة ذات معنى
وتكلفت أن تسأله عنه ، وهل سينام ليلته هادئاً مطمئناً ، فلما أجابها بالإيجاب وودعها
بالرجوع لعبادته صباح الغد ، أذنت له بالانصراف ، فتناولت الرسالة وودعها فاصداً بيته ،
وسار في الطريق مستحسناً خطاه ، وهو يتحرّق شرفاً إلى قراءة ما خطته أنامل قاتنته .
كانت رسالة المرأة صدىً مردداً لوساوس ضمير قوام على إيلامها . لقد حاولت أن

تخمد تنفسها بمدورة عواطفها وعنادة ضميرها وقلبها ، لتعقد شعورها حيال هذا الذي
يطاردها بنظراته الدالة للفتنة ، وثابها بأنعامه الآنة الشاكية ، ويلاحقها بكلماته الساحرة
وحركاته الفاتنة ، ولكن هيبات ، فقد كان لتأثيره المغفل في قرارها دوي وصدى ،
فأنجذبت في غير وعي اليه ، وإن حاولت التحفظ بضرب مكشوف من الدلال والتأني ،
وتكلمت الأناة والريث لتسكنه حقيقة ما خلع قلبها من شعور وما ارتكض فيه من عاطفة !
قالت له أن كلاً منها وُلد تحت سماء تنوير سماء الآخر ، وقد طبعت البيضة كلاً منهما بخصال
خاصة ، مركبة فيه أفكاراً ومثلاً تباين أفكار الآخر ومثله ، فهل يمكن أن يتماثل القلبان
ويتجاوب الشعوران ، فيعاطف كل منهما الآخر بعد هذا الاختلاف والتباين ؟

نعم ، إن سماءها المنجذبة الغائمة بلون القمام ، قد تمت فيها صباحاً سوداوية عميقة فائرة
تشيح فيها رجفة الكتابة ، وإن كانت كآبها غير المبارحة تشرق في بعض الأحيان بالمرح
والعدوية والرفقة ، محاولة أن تبدد من ظلماتها الخفية ، على حين أن سماء المشرقة ذات
الشمس السافرة العالبة ، قد غرمت فيه من المشاعر الحارة والعواطف المضمرة ، ما سكب
في قلبه أفانيق الوجد والوله ، ووضح على وجهه التسميم بهذه السرعة المتوجهة بالفتنة والحس ،
فهو ابن الطبيعة الحساسة الشاعرة ، التي يثيرها الحزن والاستدعاء ، ولا يتحملها الإعراض
والترشيد .

لقد كاشفته في خجل مثير ، بمطوحيه إليها نظراته الجريئة المتحممة ، وأساريره القوية

الميرة، من استشمار الخوف والفرح، قبوله العارمة التي تطلعا واضحة على صفحة وجهه، وتقرأها مبنوثة في نظرات عينيه، تروغ دعتها وأمنها، وتسايبها الزانة والعقل وتجعلها مبهورة مضيفة، طحيزة عن كبح جماعه ومطامنة ذلواته.

إنها لتعجب لهذا كله وتملك الميرة عليها مالمكها، فاعهدت من قبل هذه العاطفة المشبوبة الضرام في وطنها، ولا لتتها مثل الذي شاهده هنا من حرارتها وقوتها وغنى ألوانها. إنها لتحب وتتألم وتستفرقها عذابات الحب وآلامه، وتتقدم الى فارس أحلامها وهي موزعة القلب بين الرجاء والبأس، والطمانينة والخوف، ولكن نزقة وخبلته في إظهار كوامنه، أعجزها عن فهم عقده وامتنعان خبيثته.

فهي لا تعرف إن كان هذا هو الحب حقاً أم أنه شيء آخر سواه، لا تعرف إن كانت لغة التلب تكتنهما لكي يتفاهما معاً ويتبادلا عن طريقها الأفكار والخواطر، مادام كل منهما يعجز عن أن يجيد لغة الآخر، ويأخذ عنها ما يسني له صور التعمير الكلامي وطوع عصيبا أمله، أم أن الأمر على التقيض مما تخال وتظن؟ ثم هي من بعد، لا تستطيع أن تحرس السنة الوسوس ولا أن تهدي، نوائر الشكوك، فتوحى ال نفسها الطمانينة والثقة بأن صاحبها رغم مباينته لها في كل شيء، سيكون في هواه أوفى المحيين.

نعم! إنها لا تدري ما إذا كان يفهم حقاً آلامها وأوجالها، أو يقدر صادقاً هومها وأحزانتها، وهل تراه يعطف عليها عطف الحب على محبوبه، أم يشفق عليها إشفاق السيد التياح المتعجب، على عبده الضعيف المتذلل؟ ثم هي تسأله ملحة مشفقة في آن ماذا جذبه اليها وعظمه عليها؟ أي فتنة إمرأة الحريم تُسبب في المقاصير، لتكون بعيدة منال الزمام على كل من رامها، وتغفل لوجه مولاهما وجلادها وحده، ثم تراه سر من الأسرار طالعه فيها. وغم عليه خبيثه فأراد أن يبتك حبيبه ويكشف أمره، ليسع شعبة له عارضة، أو يرضي نزوة للشباب سواراة متعجلة!

فإذا كان حقاً قد مرسته الآلام والأوجاع، وعركته الأحزان المغلقة في القلوب المصدوعة والكبود الدائمة، وإذا كان عرف كيف يسيل قلبه من عينيه، وكيف تطلب غار الحزن في أنفاسه وزفراته، ولا يبخل على حبه أن يبكيه بدموع حموة لآترة ولا يحيف،

إذا كان حقاً عرف هذا كله وأحسه واكتوى به ، فإنها الصبغة أن تفسن عطفه على حظ عاثر قامته ، وأن تؤمل في إشفاقه على جسم مرجع عرقته الهموم وأضنته ، وتردى في هاوية الألم حتى قرارها ، وعندئذ تمد إليه يد الصداقة البريئة الخالصة ، بل الأخوة النبيلة المكاتئة ، بن ذراعي الحب الوفي ولطمة الهوى وبراحت به وقدة الهيام والعشق .

إنها لن تحجم عن أن تدفع بنفسها في أحضانها ، ليرتضا معا ، ضماغ الحب من الشفاعة والروية النادية بنبع العاطفة ومفيضها المذب ، ويتساقا أنخاب الوفاء ليشفادبا ، وتكشف كل منهما لخاصه عن أقصى ما يقدر عليه من التضحية والابتار والذبل .

قرأ صاحبنا الرسالة للمرة تلو المرة ، ومار طويلاً في أمر صاحبتها ، ولجج به الدهش والعجب ، وتساءل وهو يقرب عينيه بين سطورها للمرة الأخيرة : أتراد وحي القلب العميد وإلهام الطبع الرفيف ، يرتعان معبوده انى أمسى طباق الظهارة والملائكية ، أم هي وساوس نفس رجيمة ليس من طبعها أن تكون ظاهرة الدخيلة مأمونة المغيب ، فهي تتوهم في غيرها ما تحم معتلاً يبر جنيتها ، ويعجزها أن تتصور في هذا الغير ما أمرزها أن تراه محققاً في نفسها ؟

ولم ينقله من غدايات شكه وحيرته إلا اثنتان مؤقتاً الى وجه من التفسير يؤكد سياق الواقع وترضاه تأنجه ، فهو طبيب صغير ناشئ ، ما زال يخطو على عتبة الحياة الجادة العاملة ، يود صادقاً أن يجوز خطاها الأولى لا يلوي على شيء ، ولا يتألم في غير ما يدور اليه منهج هذه الحياة من ونا وريث ، وليس وراء الاستسلام لحتمها العاطفة غير الركون والجورد والنشط مع الأرواء بعيداً عن محاسبة الضمير وتأثير زواجر النفس ، وفي ذلك إضراح لكل أعباء الواجب الانساني التي يجب أن يستهديه في كل خطوة يخطوها في طريق الحياة ثم ان مريضه رجل أجنبي ناه عن الدار والأهل ، بعيد عن المؤاساة والمطف وقد وثق في شرف طبيبه ومروءته ، وأطمأن الى صدقه ورعايته . فكيف يرضى لهذا المريض إلا عاجز أن يكون منلوم المرض مهدور الشرف ، وكيف يقدم بذاتة على الإجهاز على هذه لوصلة النبيلة التي نضاه بمهنته كطبيب ، وترابطه بمحاضرته ومستقبله كأنسان شريف النفس طاهر القلب ، اميز على أسرار الناس وأعراضهم .

ولكن ما حيلته وهذا هو وضعه من قضاء التدر العجيب الذي نصّ عليه حكيمه، وقدّر له مخالطة أبطال الخدعة وما لبستم في محنتهم تلك، وهياً له أن يسير طائفاً مختاراً الى حيث بهوى نؤاده ومراد خاطره؟ ولكنه يصطدم بصخرة الواجب، وللواجب قانون حقيق أن ينسخ الهوى الحرام، وينهي مشدداً عن تبذل الاضفاف والدناءة، ومع كلّ فهو محب وامق، يضطرم قلبه بسير لعاطفة لا يرحم ولا يخف، ولن يسري عن مكظومه؟ إلا أن يشفي عما يلقي، ويقضض عما يحس، أما خفق الصوت وكمم الأناص، فوراء مقدوره وفوق طاقته، وعما لن يجدياه غير معاناة المرهقات المرزلات للصبر والعزم 11 .

ولكن حبه من هراه أن يتمتع بقرب من بهوى ويتزود بالنظرة المروجة من عين من يحب، فما بعد الهوى الشريف، والحب العفيف، لذة الحس، أو متعة النفس، أو نجوى لقلب.

ولكن ما وضع صاحبنا «موسيه» من هذه القصة المرّة التي تحاك فصولها أنتاجمة على مقربة منه، وتتوالى مشاهدتها الجريئة على قيد خطوات من فراش مرضه 12 هل لاحظ فشكّ هل انتشم وقع التعبيرة، فكى بقلبه حبه، ولم يخرج بسر ما عرف عن موضع الكتمان من صدره؟ يا لشاعر المسكين، انه رجل منكود الحظ، طار الجسد، فا كان تحليط الحى وهذيان المرض، ليصجبا عن عينيه، مأماته التي يوشك أن يتردى في فرارها المظلم، بل أن حساسيته التي أرهفها المرض وزاد في وقدها ونبضها، هي التي هدته الى مكانن الخيانة وبواطن الاثم، ووقفته على مبادل هذا الحب الشائن، وخزيه الفاضح، وسلحته بالعلم اليقيز، والحق المبين، عن هذا الحادث الخجل، وبهما تلقف موجع التزاد، منلوم الكرامة، مزروف الصدر، لحبيته الصارخة في حبه، ولمس يديه متاذر خيانة من اصطفاها قلبه الرقيق وعلقها نؤاده البريء، وززها ضميره الطاهر الطيب عن مشاين الغريزة، وحوافرها العمياء المظلمة .

فأجأها بدلائل خيانتها، وجسبها بشواهد إعما، وأخذ طليها نائفاً حنثها بالهد، ومينتها بالمرئق . ولكنها استخمت به وصخرت منه - وزادها استغفافاً وسخرأ، شحوبه البادي وضعف جسمه الضارح وتحاذل أعضائه من وقدة الداء ونسكته، وعجزه بطبيعة الحال عن إنقاذ تحديه أو إظهار مقاومته . فهو منهما بموضع المنبرد الممتن!

كانت تعبّره بمجنونه ولوته، وتصرخ في وجهه لتذكره بأنه ذائع الرشد ملات العقل،

وتهدده بإرساله إلى مأوى المجانين بالمدينة ، ليقتضي ثم عمره حبس جدرانته ، رهين أسوارها وسلاسلها وكان لضمنه ووموته ، يكاد يرفق في قرارة نفسه أنها مستطبعة إقناذ عربها ، بل قد تذهب مع عشيقها إلى ما هو أنكى من هذا وأفسح ، ففي مقدورها أن تقتله غيلة ، وفي مقدور عشيقها الطبيب أن ياعدها على موأارة الجنة وإخفاؤها !

وهكذا كان المسكين ضامئاً بين وساوسه وأوهامه ، موزع الحس بين أطيافه وخيالاته ؛ لا يستطيع أن يقضي أمراً أو يعقد عزماً أو يهتدي سبيلاً ؛ وزيد وساوسه وتحز في نفسه وتوجسه ، فكل حركة مألوفة هي عنده دليل خيانة فاضحة وبرهان إثم جديد .

فهذه المنضدة الرتيبة المنسقة ، التي يعارها قذح الشاي وسائر أدواته الفضية اللامعة ، هي بغير شك معدة لآكرام العشيق ، مهيباً لمطارات الخلوة ونشأكي الصباية . لقد صدق حدسه وارتبط قلبها برباط واحد لانهما شرباً من قذح واحدة ، جريباً على مصطلح العشاق ؛ وأخفاً يستهم المعهودة ، وطادتهم الجارية ! . ثم ما هي ذي تجلس إلى فراشها في ليلة هادئة ساجية ، لتكتب على ضوء الشعلة رسالة طوية تستفرقها ، فإذا فاجأها في جلستها تلك ، وسأطأ عما تكتبه وإلى من ، اضطربت وعلاها الوهل والجزع ، وتبادر مرتبكة إلى إلقاء الشعلة ؛ ويسجب المسكين لشذوذ مسلكها ، ولا يستطيع في بادئ أمره أن يفسر التناقض البادي في هذا العمل ، فتزيد شكوكه وتتجسم أوهامه ، وخاصة عندما يراها تغادر الغرفة مهرولة ، فيزيد ما لئناً وتقريباً ، ويجري خلفها صائحاً فيها ، مشيراً بإيمها ، معلناً خيانتها وجورها ، وبعد فاطد هناك ستر يحجب سرآئرها عنه ، لقد شامدها بعيني وأسه تكتب لعشيقها الغادر ، وهذا حبه من مفصل الأمر وبجمله ! .

وهكذا أدرك المسكين ، وبقايا الحمى تلهبه وتكاد تذهب بقوى عقله ، أن ذلك الطبيب أصبح عشيقها ! . أدرك أنها اغتنمت فرصة مرضه وخدعته ؛ أدرك أنها نعمدت ارتكاب هذه النذالة لتجهز على البقية الباقية من أمته وتقطع بينهما في المستقبل كل صلة ؛ أدرك هذا كله إدراكاً حقيقاً جازماً صحيحاً . وفي تلك اللحظة التي خلدها من بعد في أشعاره ، أحس «موسى» إحساساً طارئاً غريباً ، أن كل شيء قد انتهى ، وأن الكرامة آتت من العجب

وأن الحرية أغلى من الهوى ، وأن الحياة أرحب وأجمل من أن تحصر في عنق امرأة واحدة ، فعمد المزم على أن يتخذ نفسه ، ويحطم قيده ، ويتخلى عن « جورج ساند » متى استطاع مفادرة الفراش .

ولقد ردَّ إليه الألم رجولته ولم تثنه الجسرة الدفينية عن عزمه . فلم يكذب يثنى حتى جمع أمتته وحزم حقائقه وودع المرأة المنشودة ، وطاد بمفرده من حيث أتى .

عاد إلى باريس يحمل شخصية رجل ، ولكن قلبه كان قد مات ، مات فترة قصيرة من الزمن لتبعث عذاباته في خلالها عمراً خالداً على مر القرون والأجيال .

— ١٠ —

تكفير وإنتاج

كان لوفع الصدمة في نفس الشاعر حزٌّ عميقٌ دونه حز النعل المطلق المرهف . وكان جرح قلبه الصيب من العمق إلى الحد الذي يكاد يصعب معه دواؤه وهماؤه ، لقد كادت تخالف له الشجيرة عقدة تسمية في مكنيتها أن تكأ جرحه كلما التأم ، وتستوقد ضرام قلبه بالسخط القائر كلما استقرَّ أو هدأ . كان قد وعد أمه التلهة على أخباره ، في رسالة متأخرة منه إليها بالعودة وشيكاً ريثما يبل من عقابيل دائه ويرأ من أوهان مرضه ، ويتنقته جسمه الضارع وتستوسق بيته المحطبة . وقد ذكر وهو في غمرة جارفة من حزنه ونأسه ، أنه سيعود، إليهم حاملاً جسماً منحللاً وتقساً محطمة وقلباً يثرف دماً ، ولكنه لن يثرف رفته وطهارته وما يمكنه لهم من إعزاز وإيثار وحب .

طاد « موسيه » إلى باريس وحيداً متوحشاً ، في أواخر مارس ١٨٣٤ . لقد كان المسكين خزيناً على ما خلقه من عظام القناد وعنار الجلد ، تتحسراً على هناة ولتته وسعادة أدبرت ، ونعيم لالا سناه في سماء العمر لطفاً لمت كرهضة البرق ، ثم خبا وانعكأ . ولكنه مرتاح البال مطش الضمير ، فقد كان وفيّاً لهده ، خالص النية في الولاء لمرفقه . ولم يكن مرفقه في طلب المتع والشباط مع الأهواء ، إلا مظهرأ لحيه المرح وسعادته المتوهجة ، أراد أن يشاركه

الناس في سعادته ومرجه ، وأن يبادلوه أنحاب الهناءة والمحبة ، وأن يعانقهم ويعانقوه ، وهم جميعاً في غمرة من حُميماً السرور والنشوة ، تتجاوز بهم حدود الخير والشر ١٢ :

ولكن صاحبه أماعت به الظن ونال من كبرياتها هذا المظهر الشائن ، لأنه في رأيها دليل أنوثة مشيئة ، لا رجولة مثله بزواتها وثباتها ورجاحة عقلها . وتقل عليها هذا الثوب المعيب من الحب الطائش النزق ، وجرح كبرياءها كأثني مسترجلة الطياح ، عشوشنة في خصالها وخلالها ، أن تظل أميرة لهذا الحب الذليل الخنث ، فهي تؤثر عليه الرجولة القوية الآسرة ، تزيتها الارادة الكليسة الماضية ، والعزم النافذ السحلان ١ .

ولكن الشاعر ما وصل إلى « بادوفا » حتى انتكس عزمه واستخذت إرادته ، ولأن قلبه لمن خلف وراءه في جنة الهوى والحب لم يتالك نفسه فجوع أشتات قلبه ، ومبب ذوبها المنتقد في رسالة حارة تفيض بالشكوى وتئن من التراجع بحث بها إليها من جيفيف .

قال لها في رسالته تلك ، إنه تركها متعبة منهوكة مما قامته طيلة شهرين كاملين ، ونهى لها أن تكون سعيدة هائلة في حياتها ، وأمل أن تكون هذه الحياة مائة بلوياتها ومشوقاتها ، بعد أن غصت بأتراحها ومنغصاتها ، إنه لم يتكر في رسالته ما قامه هو الآخر من العذاب والألم ، ومن التنقيص والحسرة . لقد قامى بدوده ضويلاً وبكى بقلبه كثيراً ، لا شيء إلا لأنه ما زال يحب طفلة المدلة « جورج » ويتطوي على دفين غرامها جوانحه ، إنه لأمر جد عجيب ، ولكن ما تفسير ما حدث ؟

لقد قامت بينهما شبه عقدة من شذوذ النفس كورنت غرامهما بالشذوذ وطبعته بطابع الغرابة ، وفتح عليه على الهوة التي فصلت بينهما وبنت روايت غرامهما في لحظة ، إنه حب بعيد المنال مُسْتَع ، كذلك الذي يندأ بين الأتارب المحرم زواجهم عرفاً وشرعاً ؟ وردت عليه السكاتبه برسالة أخرى تقول له فيها: إنها لا يعنياها في شيء أن تكون أمه أو عشيقته ، فسواء عندهما ألهمته الحب أو الصداقة ، سعدت معه أو شقيت ، فهذا كله لن يغير من أمرها مع شيئاً ، وما أمرها مع إلا أنها تحبه أمن الحب وأقواه ؛ كيف إلا وهي ما إن سمعت بأذنيها ما نسبها إليها - في ساعة من ساعات هذيانه وتخليعه - من المعجز عن إشعاره بلذات الحب ودمه ، حتى استجرت في بكائها ، ولجت في جزنها ومخاطباتها ولكنها

الآن تشعر واثقة ، بأن ثمة جانباً من الحقيقة يلعب فيما قاله يومئذٍ لها وقت أن كان محموم الجسم
ملغول الذهن ، ولكن أنى لها أوله أن يعد ذلك أو يدركه على وجه الحق ؟
لقد كانا مجبهما المشرب العارم ، في شغل عن كل ما يقطع عليهما سلمة الأحلام
الجيلة ومواكب الآمال العذاب . ثم جاءت في نهاية رسالتها بوصف قصير لحياتها بالبندية ،
ولم تنس أن تبثه في ختامها العار أشواقها المؤججة ، وأن تطبع على ثفره ، على البعد ،
قبلاتها العديدة المثبتة !

ووصل « موسىه » إلى باريس في ١٢ أبريل سنة ١٨٣٤ ، وحاول أن ينسى كل أحداث
هذه الرحلة وأموالها ، ولكن المحاولة كانت فوق طاقته . فلقد ألعت عليه الذكريات الموحجة ،
ونكأت في نسوة جراحه المندمة .

ولما أن نجَّ به الشوق واستبدت بقلبه العاطفة ، كتب إليها يقول : « إن المباحج التي
ذقتها وأنا حالم ، بين ذراعيك ، كانت أظهر من كل سرور آخر عرفته ، ولكن لا تهولي إنهما
كانت أقل من غيرها أو أهون شأنًا . لقد قضيت بين ذراعيك لحظات تردني ذكراها عن
التطلع إلى أية امرأة أخرى في الوجود » ؟

وقتل الشاعر آلامه وأوجاله ، وفرَّج عن شكوكه وعذاباتِه ، بالاستغراق في ليلج القراءة
والكتابة والتأمل . وكان في تلك اللحظة يديم قراءة قصة « جان جاك روسو » الخالدة :
« هيليز الجديدة » .

وظلت خطباتها تتوالى عليه ، فهي تكفه بما لها من دلال عليه قضاء كثير من حاجتها
ومهاها في باريس ، وهو يرد عليها مؤكداً لها صداقته ، شاكياً إليها حاله و« ه » !
والمعجب في أمر صاحبنا أن « جورج مانند » لما عانتته اعزها على الحجى إلى باريس ، وفي
صحبته صديقها « باجيلو » ، سارع يكتب إليها مرحباً بها وبه ، شاكياً إياها ، بدعوة خاصة من
عنده ، على الحضور معها إلى باريس !

وخضرت « جورج » مع « باجيلو » في أغسطس سنة ١٨٣٤ ، وقد احتار الطيب فندقاً من
فنادقها الثلاثة فيه ، على حين قطعت « جورج » في شتمها بالسكاي ملكاي
ولما أن علم « موسىه » بحجى حبيبته ، صاح هائج المنق في صدره من جديد وارت كوا من

حبه ووطه ، وكتب اليها راجياً أن تفسح له في فرصة زيارتها ، فهو يود مخلصاً أن يودعها
 اندفاع الأخير ويطلع على نثرها قبلته الأخيرة ، ناذناً فيها مضموم حبه ، وحم قلبه وسدره .
 واستجابات المرأة الى ملتمسه وجة مشفقة ، وجاء « مرسية » ومكثا عندها مدة من
 الزمن ، تشاكيا فيها تباريح قلين منطورتين أقصدها من كنانة الدهر سهم مُراش ، وما رجع
 الشاعر حزينا الى داره حتى حرم أمتته على عجل ، وخصص من فوره الى باد Bado ، عام
 ينسى في وحدته الجديدة وساوته وهواته .

ولكن جور حياته ما زال معتكراً كآبياً ، وقلبه ما زال مزوقاً ينض بألمه وشجوه ،
 فا وجدتم سبيلاً الى النسيان والسرور ، ولج به الحنين الى « ملاك » الثاني ، وعروس أحلامه
 المضيمه ، فكتب اليها رسالة تتوهج بسورات التبريح وتتقد بنفثات اللوعة والوجد ، رافعاً
 اليها أحرّ التوسلات وأوجع الاعترافات ، فهو يقول فيها : « أي جورج حبيبي الموموقة
 ليس ثمة رجل أحب كما أحببت اإني امرؤ عاجز مضيع ، غريق في لجة الحب حتى فرارها .
 إني لا أدري إذا كنت أنهج في حياتي نهج الآخرين ، فأمشي وآكل وأنكلم ؟ كل ما
 أعرفه أنني أحبك وهو حسي من كل شيء » ا

وأرسل إليها خطاباً آخر ينيثها فيه بعزمه على العودة الى باريس ، مصفاً أذنيه عن
 تحذيرها له من شكوك « باجيلو » التي بدأت تقض مضجعه وتتمس عليه عيشته : اسمه
 يقول لها : « إني لأعترف لك بأنني أراعي أحداً فيما أقوله وأفعله بعد اليوم ، وإذا كان
 هذا « البندق » يتألم ، فليتألم ما وسه احتمال الألم ، إنه عفتي بدوري كيف أكتوي بفصص
 الألم وكيف أخرج كؤوسها حتى الثالثة : » .

ولما رجع « مرسية » إلى باريس ، أرسلت إليه « جورج مائد » خطاباً حزينا تلح عليه
 فيه أن يبي لها في فرصة لقاؤه من جديد . ولم يكن أمام صاحبنا المتمسك من أن يستجيب إلى
 هذا النداء الجميل ، فذهب تقوده أمانه الالهيفة ، إلى حيث سعد منها بساعة لقاء وعتاب ،
 اختلساها من غلظة الزمن ، ولكنها كانت جرات من الحسرة والغيرة تظلي بلهبها قلب الحبيب
 « باجينو » الذي لم يطق أن يظل واقفاً منهما موقف الرقيب المشاهد ، لا يملك برادر غيرته
 ويعجز عن أن يعجب تليها جام قتمته ، فتقل راجعاً من حيث أتى ، لا يلوي على شيء ا

وظلت قصة اتعاشير حلقة من التلاقي والاتصال ، حتى قرأ رأياً على أن يساكنها في منزلها ، وكان ذلك في أكتوبر من ذلك العام .

ولكنهما ما تلاقيا حتى قام بينهما ، من جديد ، ما يشبه عقلة الصحراء . فافترا فراقاً لا لقاء بعده . وضجرت « جورج ساندمن حياة المدينة ، وتَسَقَل عليها جوار باريس » فتخصصت المرفوهان في ديسمبر عام ١٨٣٥ . ولم يبد « موسى » يطلب عودتها أو يشاق رؤيتها . وهكذا أسدل الستار على اتفصل الأخير من مأساة شاعر الحب والألم !

قد يتداخل القارئ المصري الذي طفت عليه إهداء الحياة المادية فكادت تلف الأوتار الحساسة في روجه وعقله — أقول قد يتداخله العجب العاجب من هذه الحياة العاطفية المضطربة ، المليئة أبدأ بصور شلوذها وتناقضها . ولكننا لسارع فننضي عجمه ، عند ما نقول له ، إن منهج العصر الرومانتي الذي كان يقوم على تغليب العاطفة على الفكر ، وإعلاء شأن القلب ليسيتر على الذهن ، والمغالاة في الجرح إلى إتيان ما لا يقدره المنطق كله من أعمال وأفعال وأخيلة وآراء ، كان المرجح الأول لشيبة ذلك العصر الوطانة الحاملة والطادي لها في كل ما كان يأخذ بكظمها من مشاعر هو اطف ، وما كان يتقود زمامها من حوائز وأهواء !

وفرغ « موسى » لاتتاجه الأدبي العظيم مرة أخرى ، وعكف من يومئذ على كتابة ذكرياته الفاجعة في صورة اعترافات أليعة مرة ، غلت المرارة فيها الندوة وطفت فيها الشقاوة على الهناة . وهكذا سرود « موسى » كتابه « اعترافات نبي العصر » من سواد قلبه وصدره ، وطبعه بطابع تشاؤمه وحيوته ، وأجرى عليه أقيسة وسامحه وشكته ، وجعله رمزاً أبدئياً لتلك العلة الفائلة التي ابتدع لها اسمها الطريف « مرض العصر » فعبر بها أصدق التعبير وأبلغه عما كان يخالج شيبة عصره ، وما مثل يخالج شيبة الأعرص التمازية !

وصف الشاعر في كتابه هذا قصة شاب طائفي للزواج هو « أوكتاف » . والمطالع لما ساقه « موسى » من أوصاف لهذا الشاب ، وما زحج به أفق حياته من المراطف المُرْججة التي تزيد عُرْابها الطرائف والمفارقات ، يرفن أن « أوكتاف » هذا ليس إلا شاعرنا « موسى » الذي تقمص شخصية البطل وأدار على لسانه أنكاره وخوابره في الحياة

والأخلاق. كما يرقن أن بطله القصة « بريجيت برسون » ليست إلا صورة صادقة « لجورج ساندر » . أما صاحبنا « باجيلو » فهو ، بغير شك ، « سميت » بطل القصة الثالث . وماغ من « ديجنيه » وهو شخصية أخرى من شخصيات القصة البارزة ، رمزاً يمثل كل من استعبدهم شعوات الجسد في فترات التخاذل النفسي ، وكأنه يرمض بها أيضاً إلى نفسه . وقد لا نكون غالين إذا قلنا ان « موسيه » برضه هذه القصة قد اقترب قليلاً من المذهب الواقعي في الأدب ، ذلك المذهب الذي يستهدي ضميم الحياة فيما يعالجه من صور وأفكار وخواطر ، ويمثل ما يقود الحياة الانسانية من خني الأحاميس . وهكذا قلّ الألم الفاجع منبعه الشر الذي يمدد بكفائته من الرقود والحفسر لمواصلة إنتاجه وإبداعه .

نعم إنه اليوم ابن الألم وشاعره ، يشوحيه سرره وآياته ، ويستلهمه في الحياة رواثمه وبيئاته . قال لأخيه برقة وهو طارق في سبحات فكره : « إنه لمن يؤس الانسان أن يكون الألم عنده مصدر شعور بالألذة فينعم به كما لو كان ينعم بمحادث سعيد ! » وقد أحسن « موسيه » وصف حالته من بعد ، فكتب عام ١٨٣٩ يقول : « كنت أعتقد أنني لن أضر بأدنى ندم أو ألم من جراء البعاد والهجر . نعم ، لقد ابتعدت زهواً ، ولكن ما إن قلت النظر حوني حتى رأيتني أخبط في صحراءيهما ، وأحسنت ان جميع أفكاري تتساقط من حولي تساقط الورق اليابس من منابته على المنصورون وأخذ يدب في نفسي شعور مبهم ، ولكنه أشاع في الحزن العميق ، ولما أن أعجزتني مقاومته ، امتياست وتركت جبل نفسي ملقى على غاربه ، ووقعت فريسة الألم ، وتكررت لعاداتي وخصالي . وقطعت ما يبني وبين العالم ، وحبست نفسي في غرفتي مدى أشهر ، أبكي حظي وأندبه . وظلت وجيداً لا يقع نظري على مخلوق . ثم ما لبثت أن هبدأ نائري ودمت أخلاطي ولانت بزاتي ، ذلك لأنني عرفت معنى التجربة ، وآمنت صادقاً أن الألم يعاندا حقيقة الحياة ! »

وفي تلك الفترة طلب ال صديقه مسبر « بيلوز » رئيس تحرير مجلة العالمين أن يكتب له قطعاً خيالية ، فأعلمه بمدقليل قطعة نثرية جزلية باسم « لا يلمهي بالحب » . وكثير من أجزاء القصة يحصل في أطرافه وسفكاً بارعاً لحالة الشاعر النفسية في ذلك الوقت . فبطلها

« كميل » و« رديكان » يتجاذبهما صراع عنيف بين الحب والكبرياء . وكانت قصته المسماة ، « فاتازيو » ، وقد صلبها « لبيارز » قبل الرحيل إلى إيطاليا ، من خيرة قصصه التي صور فيها بأمانة خواطر الشباب وأحلام المراهقة ، فهي نموذج حي صادق لكل انسان يعيش بقلبه أكثر مما يعيش بذهنه .

وعاد الشاعر الشاب إلى حياة الهم والتمصف ، واتصل في ذلك الحين بمجموعة من شبيهة العصر الثيامة المتغطرة ، كان على رأسهم الأمير « Belgiojoso » الإيطالي وزوجه « كاترين » الكاعب الحناء التي كانت واسطة عقد الجماعة وبدراؤها الساطع . وقد أنغمس معهم « موسى » في كثير من مبادئهم وصحبهم في مبادئهم ومراتب طوم ، وهكذا أفرق في حيا نفوته بالحر والمرأة والشعر ، البقايا الداخنة من حياة غرامه الناس مع « جورج ساند » . وقد عاب عليه بعض نقاده شدة انغماسه في طوم وتبذله في مراحه وعربدته لظرفاء ، مما أضاع عليه كثيراً من فرص الانتاج والنظم ، ولكن التأمل في ظواهر نشاطه العقلي خلال تلك الحقبة (١٨٣٥ - ١٨٣٦) يروعه منها كثرة التوليد والانتاج ، وتعدد ألوانه ومناحيه . فقد كتب من المسرحيات الشعرية لوسي ، ومنزل باربرين ، والشعندان ، وأكل « اعترافات فتى العصر » . ونظم ليالي مايو واكتوبر وديسمبر . وكانت قطع إنتاجه جميعاً موفية على التام والأحكام ، شأن من يصدر فيما يكتب وينظم عن ملكة مطبوخة لا كافة فيها ولا اعتراف . وقد كانت تلك الحقبة أغنى حقبة صوره جميعاً بالرائع والبدائع .

سأله صديقه « ألفريد تاتيه » A. Tatté في إحدى أمسيات مايو البديعة الساجية عن سبب اطرافه وصمته وظهوره أحياناً بمظهر السام الداهل ! فأجاب « موسى » قائلاً : « منذ جام وأنا أعبد قراءة ما سبقت لي قراءته ، لقد قلبت النظر في الحياة والناس ، وتأمكت في مجتمعاتهم وعماشدهم ، فلم يظالمني منهم غير المشهد المتكرر والمستوم الذي طالما طالعت عيناى من قبل . لكم بذلك من جهد طويلاً شاقاً ، كي أطرده لؤلؤ الذكريات التي ظلت تهاجني وتمص عليّ هنا . فلما بكيت واستخرطت في بكائي نسل دمي حزني ، وعندئذ شعرت بأني أقوى من ذكرياتي وأحزاني ، واستطعت أن أتمحّر من ربتة الماضي . وهاءنذا اليوم قد دفنت مسابى الأول بيدي ، ودفنت معه غروري وكسبي . »

كان تصور الشاعر لحالته ، إنما هو تصور لحظات السابقة لمرحلة تخضت فيها
شاعرتة عن طرفة جديدة من طرفه الزائلة ، تلك التي خلدت بحمسه متلائيًا صاطعًا في
محاوات القريض .

إنها « ليلة مايو » تنتظره على موعد من مواعيد الربيع ، موسم الحب والأحلام
والأزاهير .

ففي ليلة من تلك الليالي القمرية الزاهية ، أسمع « موصيه » أخاه « بول » بعد عودتهما
من زهرة بديعة ، مادار من حوار بينك وبين عروس شمسه « La lune » . وهما هي ذبي
عروس القمر تناجي شاعرها منشدة :

أيها الشاعر ، أمسك بقيشارك الصادح ، وأطبع على ثغري قبلة .
فهذه الأزاهر والورود ، قد نضت الأكام عن توأرها .
أن الليلة ميلاد الربيع ، والأنسام مضطربة بأفئاسه .
وهذه الأطياف الممزقة ، تباكر غصونها في انتظار خيره .
إنها تحلق فوق الشجيرة المخضرة ، لتحط على أعراسها الرطبة .
فأمسك القيثارة يا شاعري ، وأطبع على ثغري قبلة .
أهه لكم سرت عنك مض الألم .
فياطفي على شبابك القريض ، تذبله وقدة الحب وترديه .

لا شيء يسو بقلب المرء كالألم العظيم .

فأجمل ما نسمع من أناني الحياة ، يسع من هوة اليأس العميم ، تلتفظها آنة معولة في
ندبح أبدي أليم .

أترأه قد سُرمي عنه ؟ أهو مستطيع أن يهض من كيونه ، فيمشي بين الناس مطلقًا من
عقاله ، غرقًا في صفاء قلبه ، يرضع من ندى الحياة صواجده الجديدة ، ويرشها حالمًا

بمذاق حديد !

هيات هيات ؟ فإكان شاعر الألم ليني لشوة الألم ، وما كانت عذابات قلبه المعنى
لنسيه ، وهو مخدور ، حلاوة التعذيب !

لم تمهله عروس عمره طويلا ، لقد أقتته وحبيباً من جديد ، وهذا هو نابه بأكيك
مستضحكاً ينث أنات التبيع ، وينث في مبع الدهر حشرات ليلة وطانة يفرطها من
عقد لياليه !

وهكذا بدأ الشاعر نشيد « ليلة ديسمبر » بوصف شبح قادم ظلّ يلازمه ويتابمه منذ
أن كان صغيراً يطلب العلم ، حتى هبّ يافعاً غريراً يضطرم قلبه بحميا الحب . ثم خلق من
وساوس ذهنه الى وساوس قلبه ، فأمسك بشناره ووقع لحبيته المهجورة ، على أوتار قلبه ،
ترانيم غصه وبأمه : -

ارحلي ارحلي ، فالطبيعة الخالدة ،

لم تهدي اليك ما تشتهي ،

يا طفلي المكينة المستلحة .

ألا تعرفين التفقر والعوز ؟

اذهي اذهبي ، واتبعي القدر ،

إن من يفقدك لم يفقد كل شيء ،

فهبيا ألسن الى الريح هوأنا المنتهي !

يا السهي الأيدي ، أنت الذي طالما أحببتني ،

إذا أنا عصيتك ، فلم تصفيني بعينك ؟

ثم يكشف الستار عن هذا الرقيق الحزين - أي شجوه - ويناجيه قائلاً : -

لقد منحني السماء قلبك ،

لحينما ينقلك وقر الألم ،

جشي ولا بدخلتك انقلق ،
فاني متابعتك على نهجك ،
ولكنني لن أمسك ،
أيها الصديق : إنني الوحيدة !

- ١١ -

فوق قة المجد

لم يكن من عادة الملك « لويس فيليب » أن يحجو الأدب بتشجيعه ، وعطفه ، وما كان أكبر أدياء عصره ليفوزوا منه بأكثر من ابتسامة طابرة ، وكلمات لا تغني ولا تشبع . ولقد حوت هذه الهضيبة التي مني بها الادب في نفس شاعرنا المرفه . وكان يشعر في قرارة نفسه بمظم الفارق بين عهد هذا الملك وعهد سلفه العظيم « لويس الرابع عشر » . ولهذا كان دائم الرجاء في أن يعتلي صديقه وزميل دراسته « الدوق دورليان » عرش فرنسا ليهد إلى الادب ورجاله يدناً مشحونة حافزة ، ويرسع بنجومهم المتلاثلة بلاطه وقصره . وقد كان هذا الامل نعم الحافز له على مواصلة الانتاج والدأب ، فقطع عامي ١٨٣٧ ، ١٨٣٨ وهو ما كلف على قراءاته ونظم شعراهم وكتابة مسرحياته . وقد استهوته قصص القاص الايطالي « بوكاشيو » وأثرت الى حد ملحوظ في منهجه القصصي .

وتلقى في أحد الايام كيساً مبرعاً بالأصغر الرنان ، وصله من أحد معجبيه ، الذي لم يشأ أن يذكر له اسمه ، فكان لوقع هذا الحادث السعيد في نفس « موسيه » ما هباً له مادة وحي جديدة . فعزم على أن يكتب قصة يعف فيها سمات الحياة الباريسية ومعنائها ، وهكذا قدم للادب المسرحي قصته الخالدة (Gamme) أي الغزوة وأتبعها بقصة أخرى سماها « اميلين » ، حاول أن يصور فيها كيف تتكون نضجة الطوى على مذبح العقل والواجب .

وأوحت إليه علاقته بمس تعرف إليهن في تلك اثرة من نساء ، « كأميه دالتون » و« بوليز حارسيا » و« راهيل » وغيرهن من كواكب المجتمع الباريسي في ذلك العصر ، أن

وبينه هو الصدر الذي كتب له ^(١).

والفاطميون يرون أن طائفة أولياء الله طائفة الله، وعبادتهم عبادة الله، ومن خاتمهم آية الله، ومن وصيهم فقد وصى الله، ومن أدى أمانتهم فقد أدى أمانة الله لأن الله تعالى يقول في كتابه العزيز «ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله» ويقول في موضع آخر «من يطع الرسول فقد أطاع الله» ويقول في موضع ثالث «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» ويقول النبي عليه الصلاة والسلام «من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع الإمام فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى الإمام فقد عصاني» ^(٢) لذلك يقول الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه «نحن أبواب الله وأحبابه لعباده ومن تقرب بنا قرب، ومن استشفع بنا شفيع، ومن استرحم بنا رحيم، ومن أعرض عنا ضل» ^(٣) ويروون عن الحسين بن علي أنه قال «من أحبنا بقلبه وجاهد معنا بالسانه ويده فهو معنا في الرفيق الأعلى، ومن أحبنا بقلبه وذبح عنا بالسانه وضعف أن يجاهد معنا بيده فهو معنا في الجنة دون ذلك منزلة، ومن أحبنا بقلبه وضعف أن يجاهد معنا بالسانه ويده فهو معنا في الجنة دون ذلك وليس دون ذلك شيء» ^(٤).

ولقد استمرت طريقة اختيار الخليفة الوراثية سائدة في الدولة الفاطمية فكان للخليفة عند ما يشعر بدنو أجله يعهد بالخلافة قبل وفاته ^(٥) لمن يرى أن يكون ولي بعده وتتجدد البيعة بعد وفاته له بالجامع، وله أن يمضي موت والده إن رأى لزوماً لذلك، فبلا ستر الخليفة القائم بأمر الله موت والده المهدي مدة، كما أخفى الخليفة المنصور بالله موت والده القائم خوفاً من أن يعلنه أبو يزيد بن كيداد الخارجي. فلما تغلب عليه أظهر موت والده سنة ٣٣٦ هـ مع أنه مات سنة ٣٣٤ هـ كما ستر للموت أبيه المنصور مدة ^(٦)

ولما استولى على الدولة الفاطمية الضعف، انتقل هذا الحق لأصحاب الحل والعقد فكانوا يختارون الخليفة من يشتهون غير مراعيين أن تكون الخلافة للكبير فالأكبر من البيت

(١) كتاب المنة ورقة ١٥٥ ب و ١٦٦ أ ١٦٧ (٢) كتاب المراج لابي يوسف ص ١٠
(٣) كتاب المنة ورقة ١١٦ (٤) كتاب المنة ورقة ١٦ و ١٧ (٥) أخبار الدول المنقطة لابن
صهر الخطوط الفوتوغرافية ورقة ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ والنجوم الزاهرة لابي المظالم ص ١١٢ و ١١٣
و ١٧٦ وأخبار معمر لابن ميسرة ص ٢ و ٥٢ و ٥٤ (٦) أخبار الخلفاء الفاطميين ص ٥١ و ٥٦ و كتاب
المتنصر في أخبار البشر لابي الفداح ص ٢ من ٨٠ و ٩٠

مؤكداً إمكان قيام « التراجيدية » التقديمة بجزر المرحبة المصرية التي تجود بها فراخ
الابداعيين وهكذا ظل يتوقد صُعداً في معارج الشهرة الى أن انتخب عضواً في الأكاديمية
الفرنسية وانتخب مقعده بين صفوف الخالدين.

ومن يومئذ والشاعر ما كف على اتاحه ، موالٍ لنظم أشعاره وتر كتاباته . ولكنه
في غمرة دأبه وجهده ، لا ينسى مطالب القلب . فهو يتنقل ، ولو برغمه ، بين محابه ومراجه ،
كالنحلة لا تفي تزرف فوق الورود والياحين ، لترشف من عطرهما وتمتص من رحيقها ،
شهدما الحبي ورضاهما للمسول .

ولكنك أبداً شاعر الألم والحزن ، لا يسده الحب إلا الـ التعذيب ، ولا يسده التعذيب
الألـ الى البكاء والآنين :

لقد فقدت قرني وحياتي ،
ولجعت في صداقتي ومرحي ،
ومسلبت حتى افتخاري ،
الذي كان يُشعرُ بنبوغي .

وحينما عرفت الحقيقة ،
ظننتها وفيه صديقة ،
فإذا فهمتها ووعيتها ،
بجنتها وكرمتها !

ولكنها أبدية سرمدية ،
ومؤلاء الذين يحورها ،
جهنوا كل شيء !

وقد روعه بأ وفاة صديقه «الدوق دورليان» الذي كان يعقد عليه أعظم الآمال . ثم ما لبث أن جمعه القضاء في صديقه وصفيه «ألفريد ثاتيه» . وأناخت الأحداث المتتابعة على كاهله المنقل ، فبدأ كالمحطم اليأس الذي استنزفته الأيام ذخائر قلبه ، وكادت تسلبه حساسة وجدانه . وأسلم همومه وأحزانه إلى الموسيقى ، يستلهم روحانية أنغامها العزاء والسوى . وصبَّ سموم نفسه في الشعر ، يبكي بصيونه ما شاء له التراجع والابتين .

ثم نزل عمالاة الكتابة للسرحد ، حتى أخرج له سلسلة رائعة منلذاته من بعد في سماه الأدب العالمي الرفيع ، واشتهرت له مسرحياته المعروفة بالأمثال « Les Proverbes » . وقد تروَّج هذا المجد المثلاىء مسرحيته الكبيرة « لورازامبو » التي استلهمها مما اخترته في طولياحه الباطن ، أثناء معاهداته الطرفية في رحله إلى إيطاليا مع حبيته « جورج سانده » .

الخطاةة

كانت هذه الحياة المترتبة الكأس بما سمي الحب وشواغل القلب ، كالمسهم المنسوتة ، سلطت على هذا الجسم الرهيف التحيل ، فانتابته في كل موضع حتى سقط صاحبه صريماً وهو يجاهد مستيقناً جراحه وكلمه الفائرة .

كان قد أصيب بذات الرئة في شتاء طم ١٨٤٢ ، وظلت نكسات العلة تلم به على فترات متباعدة ، حتى إذا جاء شتاء طم ١٨٥٦ ، كان الاجهاد المستمر والرحق المتصل قد أذبلأ زهرته وأطفأ سراج مقاومته وجلده . لقد شاخ هذا القلب العاني الكليل . وجهه يده به ، بعد أن ثلَّ العمر كله يفتح بين الجوانح خفقات الحياة والحب والألم

لقد كان نبيلاً حتى في ضعفه ومجزه ، فلقد استجزه وفاؤه لأصدقائه وأجب التقدير والمجامة ، فبينما كان مريضاً نضرو سقام ، يتعلوَّح على فراشه من علة القلب في مارس عام ١٨٥٧ ، إذا به يسمع أن صديقه « اميل أوجيه » قد رشح لعضوية الأكاديمية . فا تروانى في أن يركب عربة ليحضر الخفلة ويمنحه صوته ، ويشارك الصديق فرحته ، وهو في أثناء ذلك لا يكاد يتماصك من هزاله وضعفه !

وامتدت عليه وطأة العلة في اليوم الأول من شهر مايو سنة ١٨٥٧ . ورغم أنه لم يفقد إشرافه وهندسه نفسه إلى حد أن راح كماداته يتحدث عن مشروعاته الأدبية التي يزمع إتخاذها بعد إبلاؤه من مرضه : الا أن نوبته في هذه المرة كانت عميقة قاضية . وبينما هو يسأل من احتاط به من الأهل والأصحاب الحزائي الجوعين عن سائر خلافه وأصغائه ، إذا به ينمض على حين بئسة ، كمن هزته رجفة عصبية ، ويضع يده على قلبه يتحسس خفقانه الضئيلة المتقطعة ، وإذا وجهه يشبه ويفض بريقه . ولما أن سئل عما إذا كان يشكر من شيء ، أجاب في صوت خفيض لاهت الأتقاس . وهو يضع رأسه على الوسادة : « سأنام ، وإنما لنومتي الأخيرة ! وما خالج الجميع علك في انه وقد نيام ، لولا انها نومة الأبد ، التي سعدت بأفقاسه الغالية بعد طول انتظار وعذاب .

اتمد زاوره الموت « كمديق رقيق » كما كان يسمى .

وهكذا كانت أيامه الأخيرة حزينة طليعة ، عانى فيها الهوان والسقم ، وعرض خلالها الوحشة المروعة لولا وفاء بعض الأصدقاء . وكانت تعود به الذكريات إلى أيام مضت وأماسي انقضت من سني الشباب ، فيتذكر حبيباته من التيللات ومتوسطات الحال والبنايا . ولكن طيف الحبيب الأول ما كان ليفارق مخيلته ، انه خيال المرأة التي أشعرته بجميع انفعالات القلب المتناقضة ، من كبرياء الانتصار الى حرارة العائمة الى شفقة المصاحبة الى ذلة الخيانة الى ألم العيرة وخيعة الهجران ، انها المرأة ذات العميون العميقة السوداء ، إنها « جورج ساند » ! ألا ما أصغفه حين قال :

« ليس ثمة ما يبقى على وجه الرمس » ،

« غير دموع تكبها العميون بين حين وآخر ! »

المراجع : References :

- 1 - Biographie d'Alfred de Musset (par Paul de Musset)
- 2 - La vie amoureuse d'Alfred de Musset (par Maurice Donnay, de l'Academie Française.
- 3 - Un grand amour romantique (par A. Feugère).
- 4 - Alfred de Musset (by Henry Dwight Sedgwick).

فهرس الكتاب

| | |
|----|---------------------------|
| ٣ | تصدير |
| ٥ | الشاعر رمز امصره |
| ٦ | أسرة الشاعر |
| ٨ | ميلاد الشاعر |
| ١١ | مرحلة التعلیم |
| ٢٠ | هوايات الشاعر |
| ٢٣ | اول العهد بالانتاج الادبي |
| ٢٨ | جنة الحب وجحيمه |
| ٣٤ | مدينة الهوى والحلم |
| ٤٩ | تكفير وانتاج |
| ٥٨ | فوق قمة الجبل |
| ٦١ | الخاتمة |

فك الاغلال

بحث في الثقافة التقليدية وعلاقتها بالثريفة القومية

بقلم اسماعيل مظهر - ظهر مع مقتطف يناير ١٩٤٦

الالوهية والفكر

بحث في العقائد المألوفة

مترجم بقلم اسماعيل مظهر عن لورد بلهور
وهو بحث مثبت للالوهية ناف لما يدعيه بعض الماديين
من ان في المادية الطبيعية قصداً او ما يشبه القصد

ظهر مع مقتطف فبراير ١٩٤٦

الفريدك لا موسيه

شاعر الحياة والالم

بقلم الاستاذ صلاح الدين الشريف

يظهر مع مقتطف مارس ١٩٤٦

الازهر

بين الماضي والحاضر

بحث في تاريخ الازهر الشريف وتطوره ومركزه العلمية

والدينية واتسالة بحياة الاسلام من قلم الاستاذ منصور

علي رجب المدرس بكافة اصول الدين

يظهر مع مقتطف ابريل ١٩٤٦

اطلبيها مع مقتطف مارس ، وعن النسخة ١٠ فروس